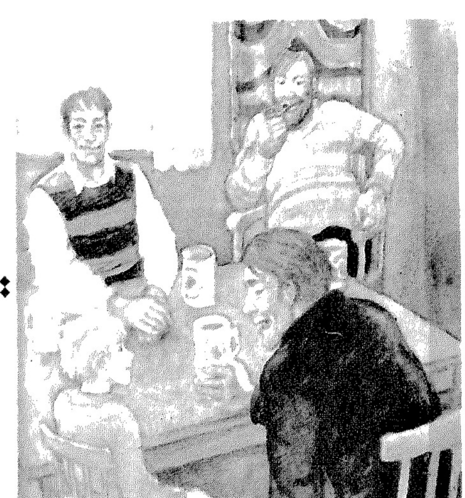


مغامرات هكلبري فن



تأليف : مارك توين

ترجمة : مختار السويفي



روائع الأدب العالمى للناشئين

مغامرات

هكلبرى فين

مارك توين

مغامرات
هكلبرى فين

مارك توين

ترجمة:

مختار السويفى



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٣

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(روائع الأدب العالمى للناشئين)

إشراف: حسان كمال

مغامرات هكلبرى فين
مارك توين
ترجمة: مختار السويفى
تصميم الغلاف
والإشراف الفنى:
للفنان : محمود الهندى
الإخراج الفنى والتنفيذ:
صبرى عبدالواحد
الإشراف الطباعى:
محمود عبدالمجيد
المشرف العام :
د. سمير سرحان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التربية والتعليم
وزارة التنمية المحلية
وزارة الشباب
التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم:

لا سبيل أمامنا للتقدم والرقى وملاحقة العصر إلاّ بالمزيد من المعرفة الإنسانية.. نور يهدينا إلى الطريق الصحيح، ولأن مكتبة الأسرة أصبحت أهم زهور حدائق المعرفة نتنسم عطرها ربيعًا للثقافة المصرية الأصيلة.. فإننا قطعنا على أنفسنا عهدًا ووعدًا ليس لنا إلا الوفاء به لتثمر شجرة المعرفة عطاءً للأسرة المصرية.

د.سمير سرحان

المؤلف

ولد « مارك توين » فى ولايه ميسورى سـنة ١٨٣٥ م ·· وعاش حياة بائسـة فى فترة الطفولة ، فلم ينل الا حظا متواضعا من التعليم ··

وعندما كان فى الثالثة عشرة من عمره ، اشتغل كعامل طباعة ·· ثم ساعد أخاه الأكبر فى اصدار احدى الجرائد المحلية الصغيرة التى كان يكتب فيهـا بعض القصص القصيرة بين حين وآخر ··

وفى سن العشرين هجر الطباعة واشتغل ملاحا على البواخـر النهرية العاملة جيئة وذهابا فى نهر المسيسبى ·· وقد قال مارك توين فيما بعد : أن معظم

الشخصيات التي وصفها في قصصه ورواياته ، كانت شخصيات حقيقية صادفهـــا أثناء عمله في بواخــر المسيسبي ٠

وفي ســــنة ١٨٦٢ ، بدأ مارك توين عمله في الصحافة ٠٠ وأخذ يكتب بانتظـام في بعض الجرائد والمجلات ٠٠ وبعد نحو خمس ســنوات ، أصدر أول مجموعاته القصصية ٠٠ ثم أصدر بعد ذلك مجموعة من الكتب ، تناول فيها وصف انطباعاته والأحداث التي صادفها والشخصيات التي قابلهـــا أثنــاء سفرياته ورحلاته ٠٠

ومن أهم الكتب والمؤلفات التي أصدرها ، رواية « مغامرات توم سوير » سنة ١٨٧٦ م ٠٠ و « الأمير والفقير » سنة ١٨٨٠ م ٠٠ و « مغامرات هكلبري فين » سنة ١٨٨٤ م ٠٠

ويقول معظم نقــاد الأدب ، ان رواية « مغامرات هكلبري فين » تعتبر درة فريدة بين جميع الأعمـــال

الأدبية التى كتبها مارك توين ، كمـــا تعتبر علامة بارزة فى الأدب الأمريكى الكلاسيكى بصفة عامة .

غير أن متعة القارىء ستـــزداد حتما ، اذا كان قد قرأ أيضا رواية « مغامرات توم سوير » قبل أو بعد هذه الرواية .. ففى كل من هاتين الروايتين سيعيش القارىء فى رحاب المغامرات الطريفة التى قام بهـــا هذان الصديقان .. سواء فى ذلك المغامرات التى قاما بها معا واشتركا فيها سويا ، أو المغامرات التى قام بها كل منهما على حدة ..

واسم « مارك توين » هو الاســـم المستعار لهذا الأديب الأمريكى الشهير .. أما اسمه الحقيقى فهو : صـــمويل لانجهورن كليمنس .. ولكن قراء الأدب وعشاق الاطلاع على الأعمال الأدبية ، يعرفونه باسم الشهرة الذى عرف به وذاع به صـــيته فى مختلف أنحاء العالم ..

وقد مات مارك توين فى سنة ١٩١٠ م .

ومن يريد الاستزادة من المعلومات المتعلقة بحياة هذا الأديب الكبير .. فنرجوه الرجوع الى المقدمة الخاصة برواية « مغامرات توم سوير » المنشورة ضمن هذه السلسلة ..

« المترجم »

الفصل الأول

عصابة توم سوير

لن تعرفنى جيدا الا اذا كنت قد قرأت « مغامرات توم سوير » .. وعلى أية حال فان هذا لايهم .. !

أريد أن تعرف فقط أن كتاب « مغامرات تـوم سوير » قد انتهى على النحو التالى :

لقد عثرنا ــ أنا وتوم ــ على كنز من النقود كان اللصوص قد خبأوه في الكهف .. وكان نصيب كل منا ستة آلاف من الدولارات الذهبية .. وقد تولى القاضى تاتشر استثمار هذه النقود لصالحنا .. وكان كل منا

يحصل على دولار واحد ـ كفائدة يومية ـ على مدار السنة .

وكانت الأرملة مسز دوجلاس قد تبنتنى واعتبرتنى ابنا لها ، وأعلنت أنها أصبحت مسئولة عن تربيتى وتهذيبى .

ولكن الحياة فى بيت محترم طول الوقت كانت صعبة بالنسبة لى .. خصوصا اذا وضعنا فى الاعتبار النظام الدقيق الصارم الذى كانت تفرضه الأرملة كأسلوب للحياة .. لهذا فلم أطق استمرار الاقامة فى هذا البيت وقررت الفرار ..

وقد اتصل بى توم سوير واخبرنى أنه ينوى تكوين عصابة من اللصوص .. وانه لن يشركنى فى عصابته تلك الا اذا عدت للحياة فى بيت الأرملة مرة أخرى .. وعلى هذا فقد قررت العودة ..

وكانت الأرملة تأسف على حالى ، وتدعونى دائما بالحمل الضال المسكين .. وألبستنى مرة أخرى

ثيابا جديدة نظيفة ٠٠ وأنا لا أحب مثل هذه الثياب لأنها تجعلني أتصبب عرقا ولا أشعر فيها بالراحة ٠٠

وهكذا عدت مرة أخرى الى الالتزام بالنظـــام المقـــرر في هذا البيت ٠٠ فاذا دقت الأرملة جرس الدعوة الى تناول الطعام ، فان عليك أن تكون جالسا الى المائدة في الوقت المحدد تماما ٠٠ واذا جلست الى مائدة الطعام فلا يمكنك أن تبدأ في تناوله ٠٠ وعليك أن تنتظر قليلا حتى تميل الأرملة رأسها وتقول بعض شكاواها عن الطعام ، حتى ولو لم يكن هناك أي سبب للشكوى ٠٠

وقد جاءت أختها مسز واطسون لتعيش معنـا في البيت ٠٠ وهي عذراء عجوز تلبس نظارة طبية ٠٠ وكانت تجبرني هي الأخرى على العمل الشاق في حفظ الكلمات المكتوبة في كتاب الهجاء لمدة تقرب من ساعة كل يوم ٠٠

لقد مللت كثرة التنبيهـــات والتوجيهات التي كانت تقولها مسز واطسون بصفة مستمرة : هكلبري

.. لاتضـــع قدمك على هذا الشيء .. هكلبرى ..
لاتنحنى على هذا النحو وقف معتدلا .. هكلبرى ..
لاتتثاءب وتفتح فمك عن آخره على مثل هذا النحو ..
لماذا لاتحاول أن تصبح مهذبا .. ؟!

وفى المســاء كانت الأرملة تســتدعى الخدم الذين يعملون فى بيتها ، حيث يؤدى الجميع صلواتهم قبل أن يتوجهوا الى النوم ..

صعدت الى غرفة نومى .. ولم تكن لدى أية رغبة فى النــوم .. فجلست بجوار النافذة .. وشــعرت بالوحدة .. وسمعت صيحة أطلقها طائر الليل كعلامة على أن شخصا ما قد مات .. كما سمعت نباح كلب يأتى من بعيد كعلامة على أن شخصا آخر على وشك الموت .. وهكذا أحسست بالبؤس والخوف ، وتمنيت لــو ن لى شريكا أو صديقا يواسينى فى أحزانى .. !

وبعد فترة طويلة .. سمعت دقات ساعة المدينة :
وم .. بوم .. بوم .. اثنتى عشرة دقة .. وبعــد نتهاء الدقات عاد السكون ثقيلا أكثر من ذى قبل ..

وفجأة .. سمعت فرع شجرة ينكسر .. ورأيت بين الأشجار شيئا يتحرك في الظلام الدامس .. ثم سمعت مواء قطة .. وهذا شيء عظيم ، فمواء القطة هو النداء السرى بينى وبين توم .. وعلى الفور رددت مواءه بمواء من عندى .. وأطفأت نور الحجرة ، وقفزت من النافذة على السطح المنحدر ، ومنه قفزت الى الأرض .. وانا على يقين بأن توم سوير ينتظرنى .. !

وعلى الفور أخذنا طريقنا هابطين الى سفح التل .. [لأن البيت الذى أعيش فيه يقع بأعلى التل] .. وهناك قابلنا جو هاربر و بن روجرز وولدين أو ثلاثة أولاد آخرين .. وذهبنا جميعا نحو شاطىء النهر ..

وقمنا بفك رباط أحد القوارب .. وركبناه وأخذنا نجدف فى النهر لمسافة ميلين ونصف ميل الى أن وصلنا الى نقطة معينة على جانب التل ، وهناك رسونا ..

وتسللنا خلال بعض الاعشاب والشجيرات ..

وأرشدنا توم الى فتحة صغيرة فى جانب التل .. وقمنا باشعال شموعنا وبدأنا نزحف الى داخل تلك الفتحة ، حيث وجدنا أنفسنا فى مكان يشبه الغرفة ، ولكنه كان رطبا باردا .. وهناك توقفنا ..

وقال توم :

ـ والآن .. سيبدأ عمل عصابة اللصوص التى كوناها .. وعلى كل من يريد أن ينضم الى تلك العصابة أن يقسم على أنه سيلتزم بنظام العصابة وقواعدها .. وأن يكتب اسمه ويوقع امضاءه بالدم !

وأخرج توم من جيبه ورقة كان قد كتب فيها قواعد ونظام العصابة وأخذ يقرأها .. ثم أقسم كل واحد منا بأنه سيخلص للعصابة ولن يبوح أبدا بأسرارها .. وأنه اذا تعرض أى فرد من أفراد العصابة للأذى من أى شخص آخر ، فان على أى فرد من أفراد العصابة أن يقوم بقتل هذا الشخص وقتل عائلته أيضا ! ..

وقد أعجب كل فرد بهذا القسم ، واعتبروه شيئا بديعا .. وتساءل بن دوجرز :

ـ والآن .. ما هو العمل الرئيسى لهذه العصابة .. ؟!

فقال توم بلا تردد :

ـ سنقوم بقطع الطريق على العربات المسافرة ونحن نرتدى أقنعة تغطى وجوهنا .. ونقوم بقتل الناس والاستيلاء على ساعاتهم وأموالهم .. كما نقوم بخطف بعض الناس والاحتفاظ بهم كرهائن فى هذا الكهف الى أن نحصل على الفدية .. !

ـ فدية .. ما معنى فدية .. ؟!

ـ لا أدرى بالضبط .. ولكن هذا ما تفعله بعض العصابات الأخرى .. وقد قرأت عن ذلك فى الكتب .. وعلى أية حال فهذا واجبنا وعلينا أن نفعله ..

ـ ولكن كيف نفعله .. كيف نفعل شيئا لا نعرف معناه ..

ـ ما هذا ·· ان علينا أن نفعله معناها أن علينا أن نفعله ·· هل تريد أن تخالف ما جاء فى الكتب ·· وتفسد علينا كل شىء ·· ؟!

ـ ولكن يا توم سوير ·· كيف سيفتدى هؤلاء الناس ·· مادمنا لا نعرف ماذا سنصنع بهم ·· وما رأيك أنت فى تلك المشكلة ·· ؟!

ـ لا أعرف ·· ولكن ربما أن الاحتفاظ بهم كرهائن حتى يفتدوا معناه أن نحتفظ بهم حتى يموتوا ·· !

ـ ان هذا سيؤدى الى متاعب ومشاكل كثيرة ·· اذ يجب أن نقدم اليهم الطعام ·· كما انهم سيبذلون محاولات كثيرة للهرب منا ··

ـ ما هذا الذى تقوله يا بن روجرز ·· كيف يهربون منا ونحن نقيم عليهم حراسة مشددة ·· ان علينا أن نطلق عليهم النار اذا تحرك أى واحد منهم ولو قيد أنملة ·· !

ـ حراسة ؟! ·· معنى ذلك أننا سنبقى فى

حراستهم طول الليل دون أن ننام ٠٠ وأعتقد أن هذا تصرف غبي ٠٠ لماذا لا يقوم واحد منا باحضار عصا غليظة و « يفتدى » هؤلاء الناس بمجرد وصولهم الى هذا الكهف ٠٠ ؟!

ـ لا نستطيع أن نفعل ذلك لأنه غير مذكور بالكتب ٠٠ هذا هو السبب !

ـ موافق ٠٠ ولكن لدى سؤالا آخر : هل سنقوم بقتل النساء أيضا ٠٠ ؟!

ـ بن روجرز ٠٠ لو كنت غبيا مثلك لاكتفيت بغلق فمي حتى لا أتكلم ٠٠ هل سنقوم بقتل النساء ٠٠ هه ٠٠ ان هذا لم يرد بالكتب ٠٠ انك ستقوم باحضار النساء الى هذا الكهف ٠٠ وعليك أن تتصرف معهن بمنتهى الأدب واللطف ٠٠ وبعد فترة ستقع النساء في حبك ٠٠ ولن تقبل أية واحدة منهن أن تعود الى بيتها مرة أخرى ٠٠ !

ـ معنى ذلك أن الكهف سيصبح مزدحما بالنساء ٠٠ وبالرهائن الذين سنحتفظ بهم حتى

يفتـدوا .. ولن يكون هناك مكان لنا نحن اللصوص أفراد العصابة .. وعلى أية حال استمر .. فلم يعد لدى شيء أقوله .. !

وهـكذا انتخبنا توم سوير رئيسا للعصابة .. وانتخبنا جو هاربر نائبا للرئيس .. وعدنا بعـد ذلك الى بيوتنا .. فتسلقت السطح المائل حتى وصلت الى نافذة غرفة نومى ، قبل أن يطلع ضوء النهـار . وكانت ملابسى الجديدة ملوثة بشحم الشموع وبالأوحال .. وكنت مرهقا للغاية . !

وفى الصـباح نلت بعض التوبيخ من مسـز وطسون بسبب قذارة ملابسى .. أما الأرملة مسـز دوجلاس فلم توبخنى ، وانما قامت بتنظيف ملابسى مما علق بها من شحم وأوحال ونظرت الى نظرة ملؤها الأسف والحزن . لدرجة أنى فكرت أن أتصرف تصرفا مهذبا ، ولو للحظـة بسـيطة ، ان كنت قادرا على ذلك ..

أما بالنسبة لأبى .. فقد مر أكثر من عام دون

أن أراه ٠٠ وكنت مسرورا لذلك ، لأنه كان يضربني ويؤذيني دائما ٠٠ وفي خلال تلك الفترة سمعت أنه قد غرق في النهر ، اذ عثر الناس على رجل غريق على بعد نحو اثنى عشر ميلا من المدينة ، واعتقد الناس أن هذا الغريق كان أبي ٠٠ لأن حجم جسمه كان مماثلا لحجم جســـم أبي ، كما كان يرتدي مثلــه ملابس رثة ممزقة ، وله شعر طويل مماثل لشعر أبي ٠٠

وقد واصلنا لعبة اللصـــوص لمدة شهر ٠٠ ثم استقال جميع الأولاد من العصابة ٠٠ لم نسرق شيئا ٠٠ ولا قتلنا أحدا ٠٠ وانما كنا نتظاهر بفعل ذلك فقط ٠٠ كنا نتظاهر بالهجوم على رعاة الخنازير وعلى النساء اللواتي يحمـلن الخضراوات على عربات صغيرة يتوجهن بها نحو السوق ٠

وقد أطلق توم سوير على الخنازير اسم «سبائك الذهب » وعلى الخضراوات اسم « المجوهرات » ! ٠٠ وكنا نعود الى الكهف لنتخيل احصـــاء مـــا استولينا عليه من الذهب والمجوهرات ٠٠ ونحصي أيضا عدد ما قتلناه من الناس ٠٠ !

وفى مرة أرسل توم أحد أفراد العصابة ليتجول فى الشوارع وهو يحمل احدى المشاعل المشتعلة ..
[وهذه الاشارة معناها أن على جميع أفراد العصابه أن يتجمعوا فورا] ..

وعندما اجتمعنا ، أخبرنا توم بأن لديه معلومات سرية عن فرقة كاملـــة من التجــار الأسبان وأثرياء العرب ستتوجه فى اليوم التالى لتعسكر فى « كهف هولو » .. ومعها مائتان من الأفيال وستمائة حصان وأكثر من ألف حمار .. وكل هذه الحيوانات محملة بالماس .. ومع هـــذه الفرقة حراســـة لا تزيد عن اربعمائة جندى .. ولذلك فعلينا أن نتربص فى انتظار هذه الفرقة ونهجم عليهم فى الوقت المناسب ، ونقتل بعضا منهم ، ثم نستولى على الماس .. !

وأخبرنا توم فى نهاية الاجتماع أن علينا جميعا أن ننظف بنادقنا وسيوفنا وأن نبقى مستعدين يقظين للحظة الحاسمة .. وكانت مهمة تنظيف الأسلحـــة مهمة شاقة لأن بنادقنا وسيوفنا كانت كلها مصنوعة

من الخشب ، ولا يؤدى تنظيفهـــا الى أى تحســـين يذكر ٠٠ !

لم أصدق أننا سنستطيع أن نهزم كل هـــؤلاء الاسبان والعرب ٠٠ ولكنى كنت أريد أن أرى الخيل والأفيال ٠٠ ولذلك فقد تجمعت مع أفراد العصـــابة فى اليوم التالى ٠٠ وتربصنا فى مخبأ على أحد جوانب التـــل ٠٠

وعندما تلقينا اشارة البدء خرجنا مندفعين من بين الأشجار وبدأنا الهجوم ٠٠ لم يكن هنـــاك أسبان ولا عرب ولا خيول ولا أفيال ٠٠ بل كانت هناك رحلة مدرسية تتكون من مجموعة من الأطفال ٠٠ فحاصرناهم واستولينا منهم على بعض قطع الكعك ٠٠ ولكن عندما ظهر المدرس المشرف على الرحلة ألقينا الكعك ولذنا بالفرار ٠٠ !

وعندما أخبرت توم سوير بانى لم ار آية قطعة من الماس ٠٠ اندهش وأخبرنى بأنه كانت هناك أحمال ثقيلة من الماس ٠٠ وكثير من العرب والأسبان ٠٠ !

وسألته لماذا لم نستطع أن نرى هذه الاشـــياء التى رآها ٠٠ فقال لى أننى اذا قرأت كتابا يسمى « دون كيشوت » فانى سأعرف السر فى ذلك وأصبح فى غنى عن السؤال ٠٠

وأخبرنى توم أن كل ذلك كان نتيجة لفعــــل السحر ٠٠ وأفهمنى بأن لنا أعداء يسمون السحرة ٠٠ وأنهم قاموا بتحويل كل قافلة العرب والأســبان الى مجرد أطفال يقومون برحلة مدرسية ، وذلك لمضايقتنا وازعاجنا ٠٠ وهنا قلت له ان من الواجب علينا اذن أن نهجم على هؤلاء السحرة ٠٠

فقال توم على الفور :

ـ ان هـــذا يدل على العبط ٠٠ هـــل تعرف لماذا ٠٠ لأن هؤلاء السحرة يستطيعون استحضار بعض الشياطين الذين سيمزقونك اربا قبل أن تنطق بكلمة ٠٠ شياطين ضخمة طويلة مثل الأشجار وعريضـــه مثل بناية الكنيسة ٠٠

فقلت بلا تردد :

ـ اذن علينا أن نقوم نحن أيضا باستحضار بعض الشياطين لمساعدتنا ·· وبذلك نتمكن من الهجوم على القافلة ·· !

ـ ولكن كيف سنقوم باستحضار الشياطين ·· ؟

ـ لا أدرى ·· ولكن كيف يتمكن الآخرون من استحضارهم ·· ؟!

ـ آه ·· انهم يحكون مصباحا قديما أو خاتما مصنوعا من الحديد ·· وفى لمح البصر ، تحضر الشياطين مندفعة وسط البرق والرعد وسحب الدخان ·· وهؤلاء الشياطين مسخرون لخدمة أى شخص يحك المصباح أو الخاتم ·· واذا طلبت منهم أن يبنوا لك قلعة طولها أربعين ميلا ، ويملأونها لك بالحلويات أو بما تشتهيه نفسك ·· أو طلبت منهم أن يحضروا اليك ابنة ملك الصين لتتزوجها ·· فان هؤلاء الشياطين سيحققون طلبك قبل أن تشرق الشمس فى صباح اليوم التالى ··

وصممت على أن أقوم بهـذه التجربة .. وكان لدى مصباح قديم مصنوع من الصفيح ، وخاتم مصنوع من الحديد ، وأخذت أحكهما بكل ما أوتيت من قــوة حتى تعبت وتصبب منى العرق .. فقد كنت بالفعل أريد أن تبنى لى الشياطين قلعة كبيرة لكى أبيعهـا .. وقد باءت جهودى بالفشل ، ولم يحضر ولا شيطـان واحد ..

وهكذا اقتنعت أخيرا بأن توم سوير كان يتخيل كل هذا الموضوع برمته ..

الفصل الثانى

هك يعيش مع أبيه

ومر نحو ثلاثة أو أربعة شهور .. وحل فصل الشتاء .. وقد انتظمت فى المدرسة معظم الوقت ، واصبحت أستطيع ان أتهجى بعض الكلمات ، وبدات اقرأ وأكتب ..

فى البداية كنت أكره الذهاب الى المدرسة .. ولكن بمرور الوقت اعتدت على ذلك .. كما اعتدت أيضا على تحمل النظام وتقاليد وعادات الأرملة مسز دوجلاس التى أكدت لى بانى اتحسن بطريقة مرضية

.. وأنها أصبحت راضية عني .. ولم أعد أتسبب في حدوث أية مشاكل ..

وفي صباح أحد الأيام .. وبينما كنت أتناول أفطاري .. مددت يدي بسرعة الى الملاحة الموضوعة على المائدة ، وأخذت بعض الملح ، ورميته خلف كتفي الأيسر كطريقة لابعاد سوء الحظ .. وعندما لمحتني مسز واطسون صاحت قائلة :

ـ ابعد يدك يا هكلبري .. يالك من ولد جبان .. !

وعندما خرجت من البيت في ذلك الصباح كنت مكفهرا وأشعر بالغضب .. لقد اسرعت الى حديقة البيت وتسلقت سورها وقفزت الى الشارع .. وكانت الأرض مغطاة بالثلج .. ولاحظت وجود آثار لأقدام مطبوعة على صفحة الجليد فأخذت أتأملها .. ولاحظت أن الكعب الأيسر للحذاء الذي كانت تلبسه هذه الأقدام التي تركت آثارها على صفحة الجليد ، كان

على شكل صليب ، وكانت تلك طريقة متبعة لطـرد الشياطين ..

وهبطت من أعلى التـــل الى سفحه ، وتوجهت فورا الى بيت القـــاضى تاتشر الذى قال لى بمجرد أن رآنى :

ـ مالى أراك تلهث يابنى وأنفاسك متقطعة .. هل جئت لتحصل على فوائد أموالك .. ؟!

فاجبت بسرعة :

ـ لا يا سيدى .. لقد جئت لأعطيك كل هـذه الأموال .. كل الآلاف الستة من الدولارات الذهبيـة .. أرجوك أن تأخذها جميعا دون أن تسألنى عن شىء .. حتى لا أضطر الى قول الأكاذيب .. !!

تفهم القاضى تاتشر هذا الموضوع .. فقـــام وأحضر ورقة وكتب عليها بعض الكلمات ..

وقدمها لى وهو يقول :

ـ وقع بامضائك هنا .. فهذه الورقة تثبت أنى اشتريت ثروتك منك .. وأنك قبضت ثمنها .. !

ووقعت على الورقة .. وغادرت البيت بسرعة ..

وفى تلك الليلة .. عندما صعدت الى غرفـــة نومى .. وبمجرد أن أغلقت الباب واستدرت متوجها الى السرير .. فوجئت بأبى جالسا على مقعد بالغرفة .. ومع ذلك لم أخف منه ..

لقد كان فى حوالى الخمسين من عمره .. وله شعر دهنى طويل لا يسرحه بمشط .. ويتدلى حول راسه ووجهه ، ومع ذلك فان فى استطاعتك أن تلحظ بسهولة بريق عينيه ينفذ بين خصلات الشعر الاسود .. وكانت لـــه ســـوالف كثيفة تغطى خـديه .. ولا تستطيع أن تتبين اللون الحقيقى لوجهه .. أما عن ملابسه فهى عبارة عن أسمال بالية ..

وعندما لاحظت أن نافذة الغرفة كانت مفتوحة ،

فهمت على الفور أنه تسلل الى الغرفة من خلالها ، بعد أن تسلق السطح المنحدر .. وطل أبى ينظر الى صامتا الى ان قال فى النهاية :

ـ هـــاه .. أراك ترتدى ملابس عظيمة .. ولعلك تظن أنك أصــبحت شــخصا هاما .. أليس كذلك .. اذن .. دعنى أســمعك وأنت تقــرأ القراءة والكتابة .. ولعلك تظن أنك أصبحت أحسن وأفضل من أبيك الذى لا يقــرأ ولا يكتب .. أليس كذلــك .. اذن .. دعنى أســمعك وانت تقــرأ شــيئا .. !

واخــذت أحــد الكتب .. وبدأت أقرأ شيئا عن جورج واشنطن والحرب .. وبعد أن قرأت لمدة دقيقة، ضرب أبى الكتــاب وألقـــاه على الأرض . .وقال بغضب :

ـ لقـــد أصبحت تستطيــع القــراءة فعلا .. اسمعنى الآن جيدا .. اذا شاهدتك مرة فى تلــك المدرسة ، فســوف اسلخ جلدك .. فاهم .. ؟!

وأخذ يتمتم ويغمغم بكلمات لم أسمعها جيدا ..
ثم قال فى حقد ظاهر وواضح :

ـ لقد أصبحت مدللا يفـوح منـــك العطر .. لديك سرير .. وملابس للنوم .. ونظارة .. وأرض غرفتك مفروشـــة بالسجاد .. بينما أبوك ينـــام فى الشارع بلا مأوى .. لقد أخبرونى بأنك أصبحت غنيا لديك أموال طائلة .. لقد جئت الى المدينة منذ يومين .. وطول الوقت وأنا أســمع النـــاس يتحدثون عن ثروتك .. لقد وصلت سيرتك الى مناطق كثيرة على طول شواطىء النهر .. ولهذا جئت اليك .. لآخـــذ جميع أموالك .. وعليـــك بتســـليمها الى غـدا فأنا أريدها .. !!

فقلت له بهدوء :

ـ لم يعد لدى أى مال .. ويمكنك أن تتأكد من ذلك اذا سألت القاضى تاتشر .. !

ـ طبعا سأسأله .. والآن أخبرنى .. كم تحمل من النقود فى جيبك .. ؟!

ـ ليس معى سـوى دولار واحد ٠٠ وانى أريده لكن ٠٠٠

ـ اعطنى اياه فورا ٠٠ !

وأخذ الدولار وأخبرنى أنه ذاهب الى المدينـة ليشترى بعض الويسكى ٠٠

وفى اليوم التالى ، ذهب أبى وهو سكران الى القاضى تاتشر وطالبه بالنقود ورفض القاضى أن يعطيه شيئا ٠٠ وأقسم أبى بأنه سيحصل على هـذه النقود بقوة القانون ٠٠

وقد لجأ القاضى تاتشر ومعه الأرملة الى القانون أيضا ٠٠ وذهبا الى المحكمة ٠٠ وطالبا القاضى بـأن يحكم بابعاد هذا الأب الفاسد عن ابنه ٠٠ وأن يوافق القاضى على أن يتولى أحدهما رعاية هذا الابن والحرص على مصالحه ٠٠

ولكن قاضى المحكمة كان جـديدا ٠٠ ولم يكن يعرف شيئا عن سمعة أبى ، لذلك فقـد حكم بأنه

لا يوافق على ابعاد الابن عن أبيه .. وقـد سر أبى بهذا الحكم كثيرا ..

وهددنى أبى بالضرب اذا لم أعطه فورا بعض النقـود .. فاقترضت ثلاثة دولارات من القـاضى تاتشر ، فخطفهم من يدى وذهب ليسكر ، وبعد أن ثمل تماما ، أخذ يتجول فى الشوارع محدثا ضجـة وصخبا شديدا ، وظل يصرخ ويلعن كل شىء ؛ ويخبط على كفة ميزان مصنوعة من الصفيح ، حتى منتصف الليل .. وعند ذلك أمسكوا به ووضعوه فى السجن .. وفى صباح اليوم التالى قدموه الى المحكمة فحكم عليه بالسجن لمدة اسبوع ..

وبمجرد اطلاق سراحه .. ذهب فورا الى القاضى تاتشر وطالبه بالنقود من جديد .. كما قام بالبحث عنى ليمنعنى من الذهاب الى المدرسة .. كمـا بدأ يتردد كثيرا على بيت الأرملة ، الى أن هددته بأنه اذا لم يبتعد عن بيتهـا فانهـا ستسبب له الكثير من

المتاعب ٠٠ فأصابه الجنون وصرخ في وجهها بأنه سيريها من هو ولى الأمر الحقيقى لهذا الولد ٠٠

وهكذا خطفنى أبى فى أحد أيام الربيع ٠٠ وابتعد بى لمسافة ثلاثة أميال ، ووضعنى فى كوخ قديم مبنى بفروع الشجر يقع فى الغابة المجاورة لشاطىء النهر ٠٠

ولم تتح لى أية فرصة للهرب ٠٠ فقد كان يغلق باب الكوخ بالمفتاح ، ويحتفظ بالمفتاح تحت رأسه طوال الليل ٠٠ وكانت لديه بندقية ٠٠

وكنا نعيش على ما نصطاده من الأسماك ، أو ما يصطاده هو من حيوانات الغابة باستعمال البندقية ٠٠ وبين حين وآخر كان يغلق على باب الكوخ بالمفتاح. ويذهب الى أقرب محل ليبادل بعض الأسماك أو الحيوانات ببعض الويسكى ٠٠ وبعد أن يشرب ويثمل يبدأ فى ضربى ٠٠ !

ومر شهران وأنا فى هذه الحالة البائسة ٠٠ وأصبحت ملابسى مجرد أسمال ممزقة تعلوها القذارة ٠٠

وأخيرا بدأ أبى فى استعمال العصا باستمرار
.. وكان يضربنى بقسوة شديدة لدرجة أنى لم أعد
أتحمل استمرار الحياة على هذا النحو .. وقــررت
التخلص من هذا العذاب بأية طريقة .. فحـــاولت
الهرب من الكوخ عندما يكون أبى نائما أو عندما يكون
بالخارج .. ولكن لم يكن هناك أى منفذ .. ولا توجد
ولو نافذة صغيرة تتسع لمرور أى كلب من خلالها ..
أما ماسورة المدخنة فهى ضيقة ولا تصلح طريقا للهرب
.. أما الباب الخشبى فقد كان قويا ومحكما .

وفى النهاية جاء الفرج .. وعثرت على منشار
صدىء كان مخفيــا بين الألواح التى يتكون منهـــا
السقف .. فقمت بتنظيف المنشـــار .. وبدأت على
الفور فى قطع الخشب بالجدار السـفلى للكوخ وكان
يتكون من جذع شجرة كبيرة ..

كان عملا شاقا مضنيا .. وما أن أوشكت على
الانتهاء منه حتى سمعت طلقة من بندقية أبى تنردد
فى الغابة فى مكان قريب من الكوخ ، وعلى الفور تخلصت
من آثار عملى وأخفيت المنشار ..



كان أبي يضربني بقسوة شديدة ..

وأمرني أبي بالذهاب الى القارب لاحضار الأشياء التي جلبها معه ·· وكانت عبارة عن جوال به نحـــو خمسين رطلا من الدقيق ·· ولحم ·· وطلقات للبندقيه ·· وأربعة جالونات من الويسكي وبعض أشـــــياء أخرى ··

ووضعت جميع هذه الأشياء بداخل الكوخ ·· وبعد قليل حل الظلام ·· وبعد أن تناولنا طعـــام العشاء بدأ أبي في الشراب ·· وضمنت أنه سيصبح ثملا في خـــلال ســاعة على الأكثر ، وعندئذ سأتمكن من سرقة المفتاح ، أو اتمام نشر الفتحة التي صنعتها في خشب الجدار السفلي ·

وأخذ أبي يشرب ويشرب الى أن تهاوى ساقطا على البطانية المفروشة على الأرض · ولكنه لم ينم وظل مستيقظا وهو يئن ويغمغم بأصوات غريبة ويتقلب من ناحية الى أخرى ·· وظل على هذه الحال لفترة طويلـة الى أن غلبني النعاس وأصبحت غير قادر على الاحتفاظ بعيني مفتوحتين ·· واستسلمت للنــوم مستغرقـــا فيه ··

ولا ادرى كم مر من الوقت وأنا نائم .. الى أن سمعت صرخة مخيفة مرعبة فاستيقظت مذعـورا .. فشاهدت أبى وهو يقفز صارخا وهـــو يلعن الحيات والثعابين التى تهاجمه .. ويقول ان الثعابين تزحف على ساقيه .. ثم يقفز مرة أخرى وهو يصرخ ويقول ان ثعبانا قد عضه فى خده .. ولكنى لم أر حية ولا ثعبانا .. ولم أر من قبل رجلا له مثل هذه النظرات المتوحشة .. !

وفجأة سقط أبى على الأرض وهو يلهث ويتنفس بصعوبة .. ورقد وهو يئن .. وأخيرا سكت وهمد ولم يعد يصدر منه أى صوت .. وبدأت أسمع طيور الليل .. وعواء الذئاب فى الغابة .. وسط صمت مخيف موحش ..

ولم تمض سوى لحظات .. حتى هب أبى واقفـا على قدميه مثل الوحش المتحفز للهجوم على الفريسة .. واتجه نحوى وبدأ يطاردنى وأنا أجرى مذعورا داخـل

الكوخ .. وكان يحمل في يده سكينا ويقول انى ملاك الموت وأنه سيقتلنى ليتخلص منى الى الأبد ..

وعندما كنت أحاول أن أفهمه أنى هكلبرى ابنه ولست ملاك الموت ، كان يضحك ضحكة مخيفة .. ويواصل مطاردته لى وهـــو يلعننى .. وبينما كنت أحاول الافلات منه ، استطاع أن يمسك ظهر معطفى .. واعتقدت أن نهايتى قد أصبحت وشيكة .. لولا أنى استطعت أن أخلع معطفى فى سرعة البرق وأنقـــذت حياتى ..

وعندئذ كان قد بدأ يشعر بالتعب ، فاستنـــد بظهره على الباب .. وقال انه يود أن يستريح لمـدة دقيقة وبعد ذلك يقتلنى .. ثم قال بعد ذلك أنـه سينام قليلا ليستعيد قـــواه .. وعندما يستيقـظ سيرينى من السيد هنا ..

وما أن بدأ فى النعاس .. حتى أسرعت بالامساك بالبندقية وصوبتها نحوه . وجلست أنتظر أى هياج متوقع .. وأخذ الوقت يمر ثقيلا .. وببطء .. !!

الفصل الثالث

هل يتمكن من الهرب ..

ـ استيقظ .. !!

وفتحت عيني بسرعة ، ونظرت حولى لأعرف أين أنا .. وكان ضوء الشمس قد ملأ أرجاء الكوخ أثناء نومى العميق .. ورأيت أبى واقفا بوجهه الغاضب وتبدو عليه أعراض المرض .. **وسألنى بحدة :**

ـ ماذا كنت تصنع بهذه البندقية .. ؟!

فأجبت :

ـ كان هناك شخص ما يحاول الدخـــول الى الكوخ ·· فجلست مستعدا فى انتظاره ·· !

ـ ولماذا لم توقظنى ·· ؟

ـ حاولت أن أوقظك فلم أفلح ·· !

ـ طيب ·· هيا اخرج الآن لترى ما اذا كانت السنانير التى تركناها مدلاة فى الماء قد اصطادت لنا أسماكا تصلح لافطارنا ·· !

وفتح لى باب الكوخ بالمفتاح ·· وتوجهت مباشرة نحو الشاطىء ·· فرأيت بعض فروع الاشجار طافيـة فوق سطح النهر ·· وعرفت أن النهر قد بدأ موسم فيضانه وارتفع ماؤه ·

وفجأة رأيت قاربا جميلا طافيا فوق سطح المـاء

بعد أن جرفه التيار من مكان ما .. كان قاربا سليما تماما ويبلغ طوله نحو أربعة عشر قدما .. وفى لمح البصر قفزت الى مجرى النهر وأنا فى كامل ملابسى ، واندفعت سابحا نحو القارب ، واعتليته ، واستخدمت مجاديفه لتوجيهه نحو الشاطىء ..

كنت فرحا بعثورى على هذه اللقية .. وصممت على أن أخفى هذا القارب فى مكان لا يعلمه أحد غيرى .. وقلت لنفسى : سأستخدمه عندما تتاح لى فرصة الهرب .. وبدلا من اختفائى فى الغابة بعد الهـــرب كما كنت قد خططت من قبل .. يمكننى الآن ركوب القارب والسفر به الى مكان يبعد خمســـين ميلا .. لأقيم فيه بعيدا عن أبى .

وفى اللحظة التى بدأت فيها تجميع الأسماك التى اصطادتها السنانير ، ظهر أبى الذى جاء يستعجلنى .. واخذ يسبنى ويلعننى لأنى تأخرت فى هذا العمل .. وحمل معه خمس أسماك توجه بها نحو الكوخ ..

وبعد أن تناولنا طعام الافطـــار ·· جلســـنا لنستريح . وكان كل منا يبدو تعبا منهوك القوى ·· وبدأت أفكر في خطة الهرب الجديدة ·· لعلى أجـد طريقة ذكية لتضليل أبى وتضليل الأرملة ومنعهما من بدء أية محاولة للبحث عنى ·· وذلك أفضل بكثير من الاعتماد على الحظ ··

وافرغ أبى في جوفه كمية ضخمـــة من الماء ، وقال لى محذرا :

ـ هـــذا الرجل الذى كان يحاول الدخول الى الكوخ ·· لا بد أنــه كان ينوى شرا ·· ولا بـد أن أقتله ·· فاذا جاء مرة أخرى فعليــك أن توقظنى على الفور ·· سامع ·· ؟!

وكان هـذا الكلام الذى قاله أبى الآن ·· هو الذى أوحى الى بالفكرة التى أبحث عنهـا ·· وقلت لنفسى : الآن ·· يمكننى أن أهرب وأنا مطمئن تمـاما من أن أحدا لن يتعقبنى ··

وفي حوالى الثانية عشرة ظهرا ، كنا نسير بجوار الشاطىء ، وشاهدنا كثيرا من فروع وجذوع الأشجار وقطع الأخشاب طافية فوق سطح النهر .. ثم شاهدنا « طوفا » يتكون من تسعة جذوع مربوطة الى بعضها فسحبناه الى الشاطىء .. ثم جلسنا لتناول غدائنا ..

وكان الطوف بجذوعه التسعة كافيا لدفع أبى الى التفكير فى التوجه الى المدينة لبيع أخشابه .. لذلك فقد سحبنى أبى وأدخلنى الى الكوخ وأغلق على بابه بالمفتاح .. وذهب نحو النهر .

وعلى الفور تناولت المنشار .. وأكملت نشر الجزء المتبقى من الفتحة التى أنوى الهرب من خلالها .. وقبل أن يصل أبى الى الشاطىء الآخر من النهر ، كنت قد خرجت من الفتحة .. ورأيته هو وطوفه كنقطة بعيدة فوق سطح الماء قرب الشاطىء الآخر .. !

وحملت جوال الدقيق الى المكان الذى خبأت فيه القارب .. ثم بدأت أنقل الى القارب كل شيء .. اللحم ، والويسكى ، والبن والسكر ، والبارود والطلقات ، والدلو ، والمنشار القديم ، وبطانيتين ، والمقلاة ، وأبريق القهوة ، وكل شيء آخر له قيمة ..

وكنت أحتاج أيضا الى فاس .. ولكن لم يكن بالكوخ سوى فاس واحد .. وكنت قد قررت أن أتركه لأحقق به غرضا أضمره .. وأحضرت البندقية وانتهيت من شحن القارب بكل هذه الأشياء ..

وكنت قد تركت آثارا وعلامات كثيرة على الأرض من أثر زحفى خلال الفتحة وقيامى بنقل وجر الأشياء التى شحنتها بالقارب .. وقررت أن أخفى جميع هذه الآثار والعلامات .. فأخذت أغطيها بالتراب كما تخلصت من نشارة الخشب المتخلفة من عملية النشر

التي قمت بها ‥ كما غطيت فتحة الهرب بنفس قطعة الخشب التي نشرتها ‥ وثبتها في مكـــانها ببعض الأحجار ‥

وبعد أن تأكدت من أنى لم أترك أثرا يدل على فعلتى ، قمت بتغطية منقولات القارب ببعض الحشائش حتى أخفيتها تماما ‥ ثم أخذت البندقية وتوجهت نحو الغابة لاصطياد بعض الطيور التى أنوى أن أستخدمها كجزء من الخطة ‥ ولكنى رأيت خنزيرا بريـا يقف جوار احدى الاشجار فاطلقت عليه النار ، فقتل عـلى الفور ، وسحبته الى الكوخ .

وعندما وصلت الى الكوخ ، تناولت الفاس وقمت بتحطيم البـــاب ‥ ثم أدخلت الخنزير الى داخـــل الكوخ ، وهويت بالفأس على رقبته وتركته ينزف كل دمائه على الأرض ‥ ونزعت بعض خصلات من شعرى ولصقتها على سن الفـأس المـلوثة بدماء الخنزير ‥ والقيت الفأس في أحد أركان الكوخ ‥

وأحضرت حقيبة قديمة ملأتهـا بالأحجار الثقيلة وجررتها على الأرض بحيث تترك أثرا ظاهرا يدل على أن جثتي قد سحبت الى النهر وقذفت فيه ٠٠ والقيت الحقيبة والخنزير الى ماء النهر ٠٠

ثم طرأت في ذهني فكرة أخرى ، فذهبت الى المكان الذى خبأت فيه القارب ، وحملت جوال الدقيق وأعدته الى نفس المكان الذى كان موضوعا فيه بداخل الكوخ ، ثم أحدثت بالجوال ثقبا لكى تتساقط منـه ذرات الدقيق ٠٠ وحملت الجوال مرة اخرى واتجهت به نحو بحيرة ضحلة مجاورة كان لها مجـرى مـائى لا يتصل بالنهر ٠ ٠وبطبيعة الحال فقد ترك الدقيق المتساقط من الجوال خطا أبيض يصل ما بين الكوخ وشاطىء البحيرة ٠٠ وبعـد ذلك أغلقت الثقب الذى أحدثته فى جوال الدقيق ، وأعدت بقيـة الجـوال الى القارب ٠٠

الآن ·· اكتملت خطتى ·· وقلت لنفسى :
لا شك أنهم سينتبعون الأثر الذى تركه جر الحقيبة الى شاطىء النهر ، وسيعتقدون أن جثتى قد سحبت الى النهر وألقيت فيه ·· كما أنهم سيتتبعون الأثر الذى تركه الدقيق المتساقط حتى شاطىء البحيرة وسيعتقدون أن هذا هو الطريق الذى سلكه اللصوص الذين قتلونى وسرقوا محتويات الكوخ ··

وهكذا أصبحت مطمئنا الى أنهم لن يبحثوا فى النهر الا عن جثتى فقط ·· وأنهم سيتوقفون عن البحث بعد أن ييأسوا من العثور عليها ··

•

وهأنذا أخيرا قد استعدت حريتى ·· ويمكننى أن أذهب الى أى مكان أريد ·· وقررت أن أذهب الى جزيرة جاكسون ·· فهى جزيرة منعزلة غير مأهولة ولا يسكنها أحد ولا يذهب اليها أحد ·· فضلا عن أنى أعرف كل شبر فيها معرفة جيدة ·· وأخذت أجدف فى ظلام الليل حتى وصلت الجزيرة قبل مطلع الفجر ··

واخترت جزءا من الشاطىء تخفيه أعشاب طويلة كثيفة وخبأت فيه القارب ·· وتأكدت من أن أحدا لن يستطيع أن يرى القارب المخبوء من أية جهة كانت ··

وكان ضوء الفجر قد أوشك على الظهور بينما كنت آخذ طريقى متوجها الى الغابة التى تقع بوسط الجزيرة ·· ولكنى توقفت عند طـرف الغـــابة وقلت لنفسى : لأحصل على قسط من الراحة والنوم قبل أن أتناول افطارى ·· !

الفصل الرابع

فى جزيرة جاكسون ..

- بوم .. !!

استيقظت على هذا الصوت الذى يشبه انفجار قنبلة .. ففزعت واقفا ، وأفسحت لرأسى مطلا بين الأعشاب الكثيفة لأتبين الأمر ..

ورأيت المعدية وهى تسير فوق سطح النهر ، وتطـــلق بعض المتفجرات فى المـــاء .. وفهمت أنهم يفعلون ذلك ليساعدوا جثتى الغريقة لـــكى تطفو فوق السـطح ..

واقتربت المعدية كثيرا من شاطىء الجزيرة ٠٠ وقد رأيت على سطحها مجموعة كبيرة من النـــاس : أبى ، والقاضى تاتشر ، وبيزى تاتشر ، وجو هاربر ، وتوم سوير ومعه خالته العجوز بوللى وأخوه سيد وابنة عمه مارى ، ومجموعة من الناس لا أعرفهم ٠٠

وانطلق صـــوت قبطان المعدية : اضرب ! ٠٠ فانطلقت على الفور قذيفة انفجرت فى مكان قريب منى لدرجة أن أذنى كادت أن تصاب بالصـــمم من شـــدة صوت الانفجار ، كما كادت عينى أن تصاب بالعمى من كثافة دخان البارود ٠٠ وبعد ذلك استدارت المعـــدية لتواصل بحثهـــا عن جثتى فى الناحيـــة الأخرى من الجزيرة ٠

وهكذا نجحت خطتى ، حيث جعلتهم يعتقدون أنى قتلت ومت وانتهى أمرى ٠٠ ولن يخرج أحد بعد الآن للبحث عنى ٠٠ وذهبت الى القارب ، ونقلت كل ما كان فيه من حاجيات الى المكان الذى اخترته لاقامة معسكرى بين الاشجار الكثيفة المتشابكة ٠٠ واستخدمت

البطاطين فى اقامة خيمة تحجب عنى مياه المطر حتى لا تبللنى أو تبلل حاجياتى ..

وقرب مغيب الشمس ، اصطدت سمكة ، وأشعلت نار معسكرى ، وتناولت عشائى .. وبعد أن حل الظلام تماما ، جلست جوار النار أدخن غليونى وأنا اشعر بكثير من الرضا .. ولكنى كنت اشعر بالوحدة فى الوقت نفسه .. ولم أجد شيئا آخر أفعله ، سوى أن انام حتى صباح اليوم التالى ..

ومر ثلاثة أيام وثلاث ليال وأنا على تلك الحال دون أن يجد جديد .. وفى اليوم الرابع ذهبت لأستكشف المناطق الأخرى بالجزيرة .. ودخلت الى عمق الغابة ، ولشدة دهشتى رأيت بقايا نار مازال الدخان يتصاعد منها .. !

وشعرت كأن قلبى سيقفز من صدرى ويخرج من حلقى .. وأخذت أجرى بكل ما أستطيع من قوة .. وبين حين وآخر كنت أتوقف عن الجرى لأنصت ، ولكنى لم أسمع شيئا سوى صوت أنفاسى اللاهثة .

وبمجرد ان وصلت الى معسكرى .. قمت بتجميع كل حاجياتى ووضعتها فى القارب ، وغادرت الجزيرة ، واختبأت فى غابة تقع على الشاطىء الآخر من النهر .. وهناك تناولت عشائى .. ونمت نوما متقطعا .. كنت أستيقظ كل مرة وأنا أتصور أن شخصا ما يمسكنى من رقبتى .. ولكنى قلت لنفسى : اما أن أذهب الى الجزيرة لأعرف من هناك ، أو أقبل أن أموت بغيظى ! ..

وقد ارتحت فعلا لهذا القرار .. وركبت قاربى وجدفت تجاه الجزيرة .. ورسوت على شاطئها ، ثم تسللت الى الغابة وأنا أمسك بندقيتى فى يدى .. وكان ضوء الفجر قد بدأ يظهر فوق قمم الأشجار العالية .. وعندما اقتربت من المكان الذى رأيت فيه النار المشتعلة ، بدأت أزحف حذرا على يدى وركبتى .. وفوجئت بوجود نار مشتعلة .. ويرقد رجل بجانبها ممددا على الأرض .. لقد كان هذا الرجل هو جيم خادم مسز واطسون .. وقد فرحت فعلا برؤيته .. !!

قفزت نحوه وانا أصيح متهللا :

ـ هالو ٠٠ جيم !!

ولكنه هب مذعورا وركع على قدميه وقد عقد يديه على صدره ، وقال متوسلا :

ـ لاتؤذيني ٠٠ أرجوك لاتؤذيني ٠٠ فأنا لم أفعل أى شيء فى حيـــاتى يغضب شبحا ٠٠ عد الى النهر ولا تفعل شــــيئا يؤذى جيم العجوز ٠٠ لقد كنت صديقك دائما ٠٠ !!

وأفهمته بصعوبة بأنى لست شـــبحا ٠٠ وأنى مازلت حيا لم أمت ٠٠ وقلت له :

ـ هيا ٠٠ دعنا نتناول افطارنا ٠٠ وزود هذه النار ببعض الحطب ٠٠

فقال يائسا :

ـ لن تفيدنا النـــار بشيء ٠٠ فليس عنـدى سوى بعض ثمار التوت ٠٠ وهى طعام لايطهى ٠٠ !

فقلت على الفور :

ـ توت ؟! .. هل كنت تعيش على ثمار التوت فقط .. معنى هذا أنك جائع جدا .. !

وأمرته باعداد النـــار .. وذهبت من فورى الى القارب .. وأحضرت الدقيق واللحـــم والبن وابريق القهوة ومقلاة السمك والسكر والاكواب المصنوعة من الصفيح .. وكان جيم يظن أنى قد أحضرت كل هذه الأشياء باستخدام السحر .. خصوصا عندما أحضرت ســمكة كبيرة كنت قد اصطدتها وقام جيم بتنظيفهـــا وقليها ..

وتناولنا افطارا شهيا ساخنا .. وكان جيم من شدة جوعه يتناول طعامه وكأنه ذئب مفترس .. وبعد أن فرغنـــا من الافطـــار ، جلسنا لنستريح ونتجاذب أطراف الحديث.. وقال جيم مستفسرا :

ـ والآن ياهك .. اذا كنت لم تقتل ومازلت حيا .. فمن ذا الذى قتل فى الكوخ .. ؟!

وأخبرته بكل التفاصيل ، فهنأنى وقال انهـــا كانت خطة ذكية ٠٠ وسألته بدورى :

ـ ولكن ما الذى جاء بك الى هنا يا جيم ٠٠ ؟!

ـ سأخبرك ٠٠ ولكن هل تعدنى بأن تحتفظ بهذا السر ولاتخبر به أحدا ٠٠ ؟!

ـ لن أفعل ذلك أبدا يا جيم ٠٠

ـ « اذن سأخبرك ٠٠ لقد لاحظت مؤخرا أن أحد تجــار العبيد كان يحوم حول البيت ٠٠ وفى احدى الليالى سمعت مسز واطسون تقول لأختها الأرملة انها تنـوى أن تبيعنى ٠٠ فعارضـــتها الأرملة فى ذلك ونصحتها بالاحتفاظ بى ٠٠ ولكن مسز واطسون قالت انها تستطيع الحصول على ثمانمائة دولار ثمنا لى ٠٠ وحاولت الأرملة أن تثنيها عن فعــل ذلك ٠٠ ولكنى لم أســـتمر فى الانصات لأسمع بقيــة الحديث بين الأختين ٠٠ لقــد خرجت على الفــور من البيت ولذت بالفرار ٠٠

واختبأت طول الليل وطول النهار التالى ..
وأخذت أفكر فيما عساى أن أفعل .. فهناك ناس كثيرون يعرفوننى .. واذا اخترت أن أواصل طريق الهرب مشيا على أقدامى ، فسوف يرسلون الكلاب ورائى لتتعقب أثرى بسهولة .. واذا سرقت قاربا لأعبر به الى الضفة الأخرى من النهر ، فسوف يتنبهون الى سرقة القارب ويمكنهم أن يتتبعوا أثرى ويمسكوننى .. لذلك فقد قلت لنفسى ان أفضل طريق للهرب هو أن أركب أى طوف يكون مسافرا فوق سطح النهر .. ان الطوف لايترك أثرا .. !

وتربصت فى الظلام قرب شاطىء النهر ، الى أن رأيت طوفا كبيرا يأتى قادما عند منحنى النهر وفوقه مصباح يشع نوره الضئيل فوق سطح الماء . فسبحت الى أن وصلت الى منتصف المجرى .. وانتظرت حتى وصل الطوف ، فتعلقت به من الخلف .. وكان الطوف كبيرا ، يحمل على ظهره مجموعة من الرجال يتجمعون حول المصباح المضىء .. وقلت لنفسى : اذا

بقيت متعلقا بهذا الطوف حتى الساعة الرابعة صباحا ، فسوف أكون عندئذ على بعد نحو خمسة وعشرين ميلا من المدينة ، وهناك سأختفى فى الغابات ولن يكتشف أحد مخبأى ..

ولكن لسوء حظى .. تنبه الى وجودى أحد ركاب الطوف ، فتقدم نحوى وهو يحمل المصباح فى يده .. ولذلك فقد تركت الطوف على الفور وسبحت نحو شاطىء الجزيرة .. ! »

وبعد أن انتهى جيم من قصة هربه .. أخبرته بأنى كنت أريد أن أستكشف الأماكن التى توجد فى وسط الجزيرة .. فذهبنا معا ..

وكانت الجزيرة مستطيلة الشكل طولها نحو ثلاثة أميال ، وعرضها لايزيد عن نصف ميل .. وفى وسطها تل صغير له سطح منحدر .. فتسلقناه حتى بلغنا قمته .. وهناك اكتشفنا وجود كهف يقع بالقرب من تلك القمة ..

وعلى الفور ، ذهبنا الى موقع القارب ، وأخذنا نجدف حتى وصلنا الى مكان بالشاطىء قرب من موقع التل ، وبدأنا ننقل الى الكهف كل الحاجيات التى كنا نخشى ابتلالها عند سقوط المطر ٠٠ ثم خبأنا القارب بين الأعشاب قرب الشاطىء ٠٠ وأخذنا معنا الأسماك التى اصطادتها السنانير المعلقة ، وأعددنا السنانير لمزيد من الصيد ٠

وأشعلنا نارا خارج الكهف ، وطهونا الأسماك وتناولنا عشاءنا ونحن جالسين على البطاطين التى افترشناها على أرض الكهف ٠٠ وعندما حل ظلام الليل ، بدأت السماء تبرق وترعد ، وانهمر سيل المطر وبدأت الرياح تعصف فى عنف ٠٠ فقلت لجيم :

ـ ان هذا الكهف مكان رائع ٠٠ وليس هناك مكان آخر أفضل منه ٠٠ هيا ٠٠ اعطنى قطعة أخرى من السمك وبعضا من الخبز الساخن ٠٠ !

وعلى مدى الاثنى عشر يوما التالية ، بدأت مياه النهر فى الازدياد والارتفاع حتى فاضت على الشطآن .. وأصبح عمق الماء نحو ثلاثة أو أربعة أقدام فى بعض الأماكن المنخفضة فى الجزيرة ..

وفى خلال فترات النهار كنا نجدف بقاربنا وندور به حول شطآن الجزيرة ، أو ندخل الى عمق الغابة حيث يصبح الجو باردا ورطبا تحت ظلال الأشجار ، مهما كانت الشمس ساطعة وحامية .

وكانت هناك العديد من الأشياء طافية فوق سطح النهر بعد أن جرفها التيار من أماكن أخرى .. وفى احدى الليالى عثرنا على طوف كبير مصنوع من ألواح متساوية من الخشب السميك ، يبلغ طوله نحو ستة عشر قدما ، وعرضه نحو اثنى عشر قدما ، وسمكه نحو سبع بوصات .. كان طوفا رائعا فى حقيقة الأمر ..

وفى ليلة أخرى قبيل الفجر ، شـــاهدنا منزلا خشبيا محطما يطفو عائما فوق سـطح النهر بعد ان جرفه التيار .. فركبنـــا القارب وجدفنـــا نحوه ، وتسلقنا بعض جوانبه .. فشاهدنا سريرا ومنضـدة ومقعدين قديمين وأشياء كثيرة مبعثرة على الأرض .. وفى أحد الأركان شاهدنا شيئا يشـــبه الرجل ..

وعندئذ قال جيم :

ــ انه قتيــل .. أطلقت عليــه النار من وراء ظهره .. تعال هنا يا هك .. ولا تنظر الى وجهه .. !

وألقى جيم قطعة قديمة من القماش غطى بها وجه القتيل .. ولم يكن بحاجة الى فعل ذلك ، لأنى لــم أجسر على النظر الى وجه الرجل الميت ..

وشاهدنا بعض أوراق اللعب متناثرة على الأرض ، وبعض زجاجات الويسكى .. ومجمــوعة من ملابس الرجال وملابس النساء معلقة على الجدران الخشبية..

وقد استنتجنا أن سكان هذا البيت قد غادروه بسرعة وبطريقة مفاجئة ..

أما بقية الاشياء التى عثرنا عليها فى هذا البيت العائم ، فكانت عبارة عن مصباح مصنوع من الصفيح ، وسكين ، ومجموعة كبيرة من الشموع ، وفأس ، وبعض المسامير ، وسنارة كبيرة فى سمك اصبعى ، وبعض الخطاطيف ، وحدوة حصان ، ورداء كلب مصنوع من الجلد ، وبعض زجاجات الأدوية التى لا توجد عليها أية بطاقة تدل على نوع الدواء ..

وقبل أن نغادر البيت الى القارب ، عثر جيم على ساق خشبية نزعت منها الأربطة التى تثبتها .. وكانت الساق مصنوعة بطريقة جيدة رغم أنها كانت كبيرة بالنسبة لى ، ومناسبة لطول ساق جيم .. وحاولنا العثور على الفردة الأخرى فلم نجدها .. رغم أننا بحثنا عنها فى أعلى البيت وأسفله ..

وبعد أن عدنا الى الكوخ ، أخـــذنا نفتش فى الملابس التى أحضرناها .. وعثرنا على ثمانية دولارات فضية كانت مخبأة بأحكام فى ثنية أحد المعاطف ..

وقلت لجيم ساخرا :

ـ عندما أحضرت جلد الثعبان الذى عثرت عليـه عند جانب التل .. قلت لى ان أســوأ شىء فى هذه الدنيا أن يمس الانسان جلد ثعبان بيده .. لأن ذلك سيجلب الحظ السيىء .. وها نحن قد عثرنا على كل هذه الأشياء بالاضافة الى الدولارات الثمانية .. فليت حظنا يصبح سيئا على هذا النحو كل يوم ..

فقال جيم :

ـ بل هذا لا يهم .. فالحظ السيىء سيـــأتى حتما مادمت قد مسست جلد الثعبان بيدك



الحية ذات الجرس تعض جيم !

كان حديثنا هذا فى يوم الثلاثاء ‥ وبعد ظهر يوم الجمعة شاهدت حية ذات جرس ‥ وهى حية خطيرة قتلتها على الفور ‥ وطرأت فى ذهنى فكرة المزاح مع جيم ومعاكسته ‥ فوضعت الحية القتيلة تحت بطانيته حتى يفاجأ بها عندما يبدأ فى النوم ‥

وعندما بدأ جيم فى سحب طرف البطانية فوجئت به يهب صارخا ‥ فأشعلت شمعة ، واذا بى أرى حية اخرى ‥ هى فى الغالب رفيقة الحية القتيلة وقد جاءت لتنتقم ‥ فلدغت جيم ‥ وأسرعت أيضا بقتل الحية الأخرى باستعمال العصى ‥

واصل جيم صراخه من شدة الألم ‥ وأخذ يعب من وعاء الويسكى الذى أخذته من أبى ‥ واخذ يشرب ويشرب حتى فقد وعيه ولكنه لم يسكت عن الأنين والتأوه ‥ لقد لدغته الحية فى كعب قدمه ‥ وسرعان ما تورمت القدم بدرجة كبيرة ‥

وظل جيم يرقد مريضا أربعة أيام متوالية حتى

اختفى الورم بالتدريج وزال الألم وأصبح قادرا على أن يدوس على قدمه مرة أخرى ..

وقررت أن أتسلل متخفيا الى المدينـــة ، لأرى ما يحدث هناك ولأعرف الأخبار .. ونصحنى جيم بأن أتخفى وارتدى ثيابا نسائية حتى لا يتعرف على أحـــد من الأهالى .. وكانت هذه فكرة طريفة طيبة ..

وقمنا بتقصير أحد الفساتين حتى يتناسب مـــع طول جسمى .. كما قمت بثنى أطراف بنطلونى الى ما فوق ركبتى وارتديت الفستان ووضعت على رأسى قبعة نسائية عريضة . وبدأت أتمرن على الحركات والتصرفات النسائية .. ولكن جيم أخبرنى بأنى لا أجيد مشية الفتيات .. ونبهنى الى الكف عن رفـــع أطراف الفستان لأضع يدى فى جيب بنطلونى .

وعندما حل ظلام الليل .. أخذت القارب وجدفت تجاه شاطىء المدينة الصغيرة .. وربطت القـــارب بعد أن أرسيته ، وأخذت أتمشى على الشاطىء الى أن اقتربت من أطراف المدينة .

وشاهدت نورا ينبعث من نافذة بيت قديم لـم يكن يسكنه أحد منذ فترة طويلة ٠٠ فنظرت من خلال النافذة ، فرأيت امرأة فى حوالى الأربعين من عمـرها ٠٠ جالسة تخيط بعض الثياب فى ضوء شمعة ٠ كانت سيدة غريبة لم أشهدها من قبل ٠٠ وقلت لنفسى حتى ولو كانت قد سكنت فى هذا البيت القديم منـذ يومين فقط ، فسوف يكون لديها بعض الأخبار التى تهمنى وتهم جيم ٠٠ وهكذا بدأت فى طرق الباب ٠٠ وأنا أذكر نفسى بأنى الآن فتاة ٠٠ ولست ولدا ٠٠ !

الفصل الخامس

استيقظ ياجيم ٠٠ انهم يبحثون عنا !

قالت لى السيدة وهى تنظر الى بعينيها الصغيرتين اللامعتين :

ـ أدخلى ٠٠ واجلسى ٠٠ !

ثم سألتنى :

ـ ما اسمك ٠٠ ؟

فقلت على الفور :

ـ ساره وليامز ٠٠ !

ـ وأين تعيشين ٠٠ ؟

ـ أعيش في هوكرزفيل ياسيدتي ·· وهي تبعد عن هنا بنحو سبعة أميال ·· وأمي مريضة ·· وليس لدينا نقود كافية ·· رقد جئت الى هنا لأقابل خـالى آبنر مور الذى يعيش فى الجانب الآخر من هذه المدينة ·· هل تعرفينه ·· ؟!

ـ لا ·· فقد جئت لأعيش هنا منذ أسبوعين فقط ·· ولكن الجانب الآخر من المدينة يبعد عن هنا كثيرا ·· لذلك فمن الأفضل أن تبقى معنا هذه الليلة ·· هيا اخلعى قبعتك !

فقلت بسرعة :

ـ لا ·· انى أريد أن أستريح قليلا ثم أواصل بعد ذلك سيرى الى بيت خالى ·· !

واخبرتني السيدة أن زوجها سيحضر بعد قليل وسوف تطلب منه أن يصحبنى فى هذا المشوار ·· ثم

بدأت تتحدث عن روجها وعن جميع أقاربها ٠٠ وبعد فترة بدأت تتحدث عن أبى وعن جريمة القتل التى حدثت ٠٠

فقاطعتها متسائلا :

– هل تعرفين من ذا الذى ارتكب هذه الجريمة ٠٠ لقد سمعنا عنها كثيرا فى هوكرزفيل ٠٠ ولكننا لم نعرف بعد من قتل هكلبرى فين ٠٠ !

– بعض الناس يظنون أن فين الكبير هو الذى قتل ابنه ٠٠ ولكن فى نفس الليلة ظن آخرون أن القاتل هو عبد هارب اسمه جيم ٠٠ فقد هرب هذا العبد فى نفس الليلة التى حدث فيها القتل ٠٠ ولهذا فقد أعلنوا عن جائزة قدرها ثلاثمائة دولار لمن يستطيع القبض عليه ٠٠ كما أعلنوا عن جائزة أخرى قدرها مائتى دولار لمن يستطيع القبض على فين الكبير ٠٠ لانهم يشكون فى أمره ٠٠ فقد جاء فى صباح

اليوم التالى لحدوث الجريمة وأبلغ عنها .. ثم ركب المعدية مع بعض الناس للبحث عن الجثة .. وبعد ذلك اختفى .. وكان بعض الناس يريدون أن يشنقوه ولكنه فر هاربا .. وفى صباح اليوم التالى عرف الناس أن العبد جيم قد هرب .. وأنه اختفى فى الساعة العاشرة من نفس الليلة التى وقعت فيها جريمة القتل .. لذلك فان الناس يتهمونه بارتكابها ..

ـ ولكن .. هل مازالوا يبحثون عن جيم حتى الآن .. ؟!

ـ طبعا .. فان الدولارات الثلاثمائة مبلغ لا يتوفر للانسان فى كل وقت .. وهو جائزة طيبة تشجع البعض للبحث عنه .. وبعض الناس ـ وأنا منهم ـ يعتقدون أن العبد الهارب مازال فى مكان قريب من هنا .. وقد شاهدت بنفسى منذ أيام دخانا يتصاعد من مكان فى جزيرة جاكسون .. وقلت لنفسى : ربما يكون العبد الهارب قد اختبأ هناك .. وقد أقنعت زوجى

بذلك فقرر أن يذهب فى صحبة زميـــل له ليبحثـا عنه ٠٠

وهنا بدأ القلق ينتابنى ٠٠ وبدأت أشعر بأنى غير قادر على البقاء ويجب أن أخرج فورا ٠٠ وأردت أن أخفى اضطراب أعصابى بفعل أى شىء ٠٠ فالتقطت ابرة وحاولت أن ألضم فيها خيطا ٠٠ وكانت يداى ترتعشان ٠٠ ونظرت الى السيدة وهى مندهشة ٠٠ ثم ابتسمت قليلا ٠ وقلت مترددا :

ـ ان مبلغ الثلاثمائة دولار ليس بالمبلغ لهين ٠٠ أتمنى أن تحصل أمى على مبلغ مثله ٠٠ ولكن أخبرينى ٠٠ هل سيذهب زوجك للبحث عن العبد الهارب هذه الليلة ٠٠ ؟!

ـ نعم ٠٠ فقد ذهب مع زميله للبحث عن قارب ولاقتراض بندقية أخرى ٠٠ وسوف يذهبان الى الجزيرة بعد منتصف الليل ٠٠

وظلت السيدة تحملق فى بدهشة وكأنها تخمن شيئا ٠٠ فسألتنى مرة ثانية :

ـ ما هو اسمك يا حبيبتى ٠٠ ذكرينى به ٠٠ ؟!

ـ ما ٠٠ ما ٠٠ مارى وليامز !

ـ ولكنك قلت آن اسمك سارة وليس مارى كما تقولين الآن ٠٠

ـ آه ٠٠ نعم يا سيدتى ٠٠ ان اسمى ساره مارى وليامز ٠٠ ساره هو اسمى الأول ٠٠ بعض الناس يطلقون على اسم سارة ٠٠ وبعضهم يطلقون على اسم مارى ٠٠ !!

ثم بدأت السيدة تتحدث عن الفئران التى تتجول فى حرية فى جميع أنحاء البيت ، والتى تبدو كما لو كانت الأصحاب الحقيقيين للبيت وكل ما فيه ٠٠ وكانت السيدة صادقة فى هذا الوصف ، ففى كل لحظة

كان هناك فار يطل بأنفه من أحد الجحور العديدة التى تملأ الجدران ..

وأحضرت لى السيدة كرة ثقيلة مصنوعة من معدن الرصاص ، وقالت لى انها تستعملها فى اصابة الفئران .. وطلبت منى أن أجرب حظى وأقذف بها أحد الفئران .. فأمسكت كرة الرصاص فى يدى ووجهتها بقوة نحو أول فار أطل بأنفه من أحد الجحور .. ولكن لو كان هذا الفأر قد ظل فى مكانه لأصيب اصابة بالغة تجعله يتوجع من الألم لمدة طويلة ..

وقامت السيدة وأحضرت كرة الرصاص بعد أن خابت الرمية .. وأحضرت شلة من خيوط الصوف وطلبت منى أن أساعدها .. فمددت يدى الاثنتين ووضعت السيدة شلة الصوف حولهما .. وواصلت حديثها عن الفئران وقالت لى :

ـ راقبى الفئران جيدا .. واجعلى كرة الرصاص فى متناول يدك .. وكونى مستعدة !

وفجأة أسقطت السيدة كرة الرصاص فى حجرى وجعلتنى هذه الحـــركة الفجائية أضـــم ركبتى الى بعضهما ٠٠ **وعندئذ صاحت بى السيدة :**

ـ تعالى هنا ٠٠ انك لست فتاة كما تقولين ٠٠ فما هو اسمك الحقيقى ٠٠ هل هو بيل أم توم أم بوب ٠٠ أخبرنى ما اسمك الحقيقى يا ولد ٠٠ !

وأخذت أرتعش كورقة الشجر ٠٠ ولكنى تماسكت

وقلت متوسلا :

ـ أرجوك يا سيدتى ٠٠ لا تسخرى بفتاة مسكينة مثلى ٠٠ لقد كنت ذاهبة الى خالى ٠٠ ولكن

فقالت السيدة لكى تطمئننى :

ـ اجلس يا بنى ٠٠ اجلس وكـــن مطمئنا ٠٠ ســوف أساعدك ٠٠ سأطلب من زوجى أن يساعدك

أيضا ·· يبدو أنك قد عوملت بطريقة سيئة دفعتك الى الهرب ·· أخبرني بحكايتك فأنت ولد طيب ·· :

وبدات احكي ·· قلت لها ان أبي قد مات وأمي قد ماتت أيضا ·· واني أصبحت بحكم القانون تابعا لمزارع عجوز كان يعاملني بقسوة شديدة ، فلم أطق الحياة معه وقررت الهرب ·· وسرقت بعض الملابس القديمة وارتديتها لكي أتخفى ·· واني على يقين بأن خالي آبنر مور سيرعاني ·· !

وعندئذ قالت السيدة :

ـ طيب ·· والآن ما هو اسمك الحقيقي ·· ؟!

فقلت على الفور :

ـ اسمي جورج بيترز يا سيدتي ·· !!

فقالت وهي تبتسم :

ـ اذن تذكر أن اسمك جورج هذه المرة ولا تنساه عندما أسألك عن اسمك مرة أخرى فتقول انه ألكسندر

•• ثم تقول بعد ذلك أنه جورج ألكسندر عندما اكتشف عدم صدقك ••

لم أدر بماذا أجيب •• **وواصلت السيدة الطيبة حديثها فقالت :**

ـ لقد اكتشفت أنك ولد لأنك لم تلعب دور الفتاة بطريقة جيدة •• فعندما كنت تقوم بلضم الخيط فى الابرة •• لاحظت أنك لم تقم بهـــذه العملية طبقـــا لأصولها •• فقد أمسكت بطرف الخيط وبدأت توجـه ثقب الابرة اليه •• والمفروض أن أية فتاة تعلم تماما أنها يجب أن تفعل العكس •• فتمسك بالابرة وتوجه اليها طرف الخيط •• وعندئذ بدأت أشك في امـرك فاخترعت بعض الأشياء لأعرف حقيقتك •• وعنـــدما طلبت منك أن تستخدم كرة الرصاص لقتل الفئران •• أمسكت بالكرة وقذفت بها بطريقة الأولاد وليس بطريقة البنات •• فالبنت التى تقوم بمثل هذا العمل تبدو مترددة وخائفة وتقذف بالكرة بطريقة عشوائية الى مكان آخر يبعد عن الفأر بنحو ستة أو سبعة اقدام

.. كذلك عندما اسقطت كرة الرصاص فى حجـــرك فانك قمت بضم ركبتيك الى بعضهما وهذا ما يفعـله الأولاد الصبيان أما البنات فانهن يبعدن ركبهن عن بعضها في مثل هذا الموقف .. والآن .. فلتذهب الى خالك يا سارة مارى وليامز جورج الكسندر بيترز .. واذا تعرضت الى متاعب فتعال الى مسز جوديث لوفتوس فهذا هو اسمى .. وسوف أقوم بمساعدتك فى التغلب على مثل هذه المتاعب .. !!

وأسرعت الى قاربى .. وعبرت النهـــر بأقصى سرعة .. وبعد أن وصلت الى شاطىء الجزيرة قمت على الفور باشعال النار فى معسكرى القديم كاجراء لتضليل الرجال الذين سيقومون بالبحث ..

ثم قفزت الى القارب مرة أخرى .. وأخذت أجدف بهمة حتى وصلت الى المكان القريب من التـــل الذي يوجد فى أعلاه الكهف الذى نعيش فيه أنا وجيم .. وكان جيم مستغرقا فى النوم فأخذت أهزه بقوة حتى أيقظته وقلت له :

ـ استيقظ يا جيم ·· انهم يبحثون عنا !

وكانت الطريقة التى عمل بها جيم فى نصــــف الساعة التالى تدل على مدى الذعر الذى أصابه ·· ومع ذلك ففى نهاية الأمر ·· كنــــا قد نقلنا كل حاجياتنا ووضعناها فوق الطوف الكبير الذى عثرنا عليه ··

وفى ظلام الليل تسللنا بالطوف الى وسط مجرى النهر ·· ولكن بدون أن نتبادل ولو كلمة واحدة ··

الفصل السادس

كيف ضحكت عليهم ياهك ••؟!

كانت الساعة تقارب الواحدة بعد منتصف الليل حين بدأ الطوف يأخذ طريقه زاحفا فوق سطح النهر مغادرا شاطىء الجزيرة ••

وقرب الفجر رسونا على رمال الشاطىء في منطقة تنمو فيها الأعشاب والشجيرات الكثيفة حيث أخفينا الطوف وغطيناه ببعض فروع الشجر •• وقضينا النهار كله على ذلك الشاطىء •

وقام جيم باستخدام بعض الألواح الخشبية فى

صنع ساتر علوى نبتناه فوق سطح الطوف ليقينـــا حرارة الشمس ويحمينا من ماء المطـــر كمـــا يحمى حاجياتنا أيضا من البلل ٠٠ كذلك فقد صنع جيم رفا خشبيا يعلو سطح الطوف بنحو قدم ، لنضع عليـــه البطاطين وبعض الحاجيات الأخرى لنحميها من الابتلال بماء النهر حين تمر بجانبنا احدى البواخر وتحـــدث أمواجا عالية ٠

وفي منتصف المساحة المحمية بهذا الساتر هيأنا مكانا صغيرا أحطناه باطار من الطين الجاف لنستخدمه كموقد نشعل فيه النار دون أن نخشى انطفاءها فى الجو الرطب أو حين يسقط المطر ٠٠ كما صنعنا دفة خشبية احتياطية لاستخدامها فورا اذا تعرضت دفة الطـــوف للكسر أو التلف ٠٠ كما أقمنا عمودا نعلق عليه المصباح حين تقترب منا احدى البواخر المسافرة فى النهر أثناء الليل وذلك حتى نتقى الاصطدام بها ٠٠

وعندما حل ظلام الليل عاودنا الاقلاع مرة أخرى ٠٠وكان الجو بديعا للغاية فاستلقينا على ظهورنا وأخذنا

نراقب النجوم المتلألئة على صفحة السماء الصافية ..
واستمر حالنا على هذا النحو فى الليلة التالية والليلة
الثالثة دون أن يحدث شىء غير عادى .

وفى خلال كل ليلة ، كنا نمر على بعض المدن
الواقعة على شاطىء النهر ، والتى كانت تبدو لنا
كرقعة فسيحة تتلألأ فيها الانوار الساطعة ..

وفى الساعة العاشرة من الليلة الخامسة اقتربنا
من شواطىء مدينة سان لويس ، وقررت أن أنزل الى
الشاطىء لشراء بعض الطعام بعشرة أو خمسة عشر
سنتا ..

وكان فى تقديرنا أننا سنصل فى خلال ثلاث ليال
أخرى الى مدينة كايرو (القاهرة) التى تقع فى ولاية
اللينوا والتى يخترقها نهر أوهايو .. وهناك سوف
نقوم ببيع الطوف ، ونشترى تذكرتين على احدى
البواخر العاملة على نهر أوهايو ، حتى نصل الى أية
ولاية من الولايات الحرة التى منعت نظام العبيد وبذلك
يتحرر جيم من مخاوفه ..

وفى الليلة التالية هبط علينا ضباب كثيف جعل الرؤية صعبة للغاية ‥ حتى أصبحنا نخشى أن نمر على مدينة كايرو دون أن نتمكن من رؤية أنوارها ‥ ولم يعد لدينا شاغل يشغلنا سوى أن نتطلع لرؤية هـذه الأنوار من خلال الضباب ‥ وبين حين وآخر كان جيم يصيح قائلا : ها هى ها هى ‥

ولكن أملنا كان يخيب حين نتبين أن الأنوار التى شاهدناها لم تكن سـوى أنوار عابرة ‥ فنعود الى مراقبة الأنوار من جديد ‥ وبعد فترة طويلة صـاح جيم متهللا :

ـ حمدا لله ‥ لقد أصبحنا فى أمان ياهك ‥ هاهى مدينة كايرو فى آخر الأمر ‥ !

فقلت له :

ـ سآخذ القارب ‥ لأذهب وأرى وأتأكد ‥ !

وبينما كنت أتأهب للتجديف ‥ سمعت جيم يقول :

ـ حمدا لله ‥ لقد اقتربت لحظة الحـرية ‥

شكرا لك يا هك ·· ان جيم لن ينساك أبدا يا هك ·· فأنت خير صديق لجيم ·· أنت الصديق الوحيد لجيم فى هذا العالم ·· !

وأخذت أجدف نحو الشاطىء ·· ولكن فجـأة ظهر قارب عليه اثنان من الرجال ، اعترضـــا طريقى فتوقفت عن التجديف ·· **وقال أحد الرجال :**

ـ هل هذا الطوف مملوك لك ·· ؟!

ـ نعم يا سيدى ·· !

ـ هل هناك أحد من الرجال على ظهر الطوف ··؟

ـ نعم يا سيدى ·· هناك شخص واحد ··

ـ لقد هرب خمسة من العبيد هذه الليلة ·· هل الرجل الموجود على ظهر الطوف أبيض أم زنجى ·· ؟

وبدأت اشعر بالقلق والاضطراب ولكنى قلت :

ـ نحن من البيض يا سيدى !

ـ سنذهب لنتأكد من ذلك بأنفسنا ..

ـ ليتك تفعل ذلك يا سيدى .. فان أبى مريض .. وكذلك أمى ومارى آن .. !

ـ سنذهب لنرى .. هيا جدف نحو الطوف ..

وقلت بعد أن جدفنا لمسافة قصيرة :

ـ سيشكرك أبى على ذلك .. لأن الجميع كانوا يفرون عندما يعلمون بحقيقة مرضه .. وكانوا يمنعوننا من الرسو على الشاطىء بطوفنا .. !

فقال احد الرجلين :

ـ ما هى حقيقة الأمر بالنسبة لوالدك .. ؟!

ـ لا شىء يا سيدى .. انه .. انه .. انه .. !

وهنا توقف الرجلان عن التجديف ، وكان قاربهما قد أصبح قريبا من الطوف .. **وقال احدهما :**

ـ لا تكذب يا غلام .. واخبرنا بحقيقة مرض والدك .. قل الحقيقة ولا تكذب .. !

ـ نعم يا سيدى ·· ساقول الحقيقة بكل صـدق ·· ولكنى أرجو مساعدتكما ·· ويمكنكما أن تظـلا بعيدين عن الطوف ·· !

وهنا قال أحد الرجلين :

ـ هيا بنا نرجع يا جون ·· وابتعد عنا أيهـا الغلام ·· ان أباك مريض بمرض معد ·· وأنت تعرف ذلك وتحاول أن تخفيه علينا ·· هل تريد أن تنشر المرض فى هذه المنطقة ·· ؟!

وأخيرا قلت وأنا أتنفس الصعداء وأبكى فى نفس الوقت :

ـ سيدى ·· عندما كنت أقول الحقيقة ·· كان الناس يفرون منا ولا يقدمون الينا أية مساعدة ·· !

ـ مسكين ·· والآن اسمعنى جيدا ·· وعليك أن تفعل ما سوف أقوله لك ·· عليك أن تسافر بالطـوف لمسافة عشرين ميلا وعندئذ ستصل الى مدينة ·· وأخبر الناس هناك بأن معك مرضى يعانون من الحمى والبرد

.. وسأضع لك فى قاربك عشرين دولارا ذهبيا .. على سبيل المساعدة ..

وهنا قال الرجل الآخر :

ـ انتظر يا باركر .. فسوف أعطيه مبلغا آخر مساعدة منى فى محنته ..

وبعد أن وضع الرجل الثانى مبلغا آخر ..

التفت الى وقال :

ـ وداعا يا غلام .. وعليك أن تنفذ ما قاله لك مستر باركر .. وأتمنى لك حظا أفضل .. !

وابتعد الرجلان بقاربهما .. وجدفت بقاربى نحو الطوف واعتليت ظهره .. ولكنى لم أجد جيم .. لقد اختفى ! .. **وصحت مناديا :**

ـ جيم !!

فرد على جيم هامسا :

ـ هأنذا يا هك .. هل ذهب الرجال .. ؟!

كان جيم قد اختفى فى ماء النهر خلف الدفة ..
لقد غاص فى الماء تماما وأبقى أنفه خارج الماء لكـــى يتنفس .. وبعد أن صعد جيم الى ظهر الطوف .. قال مبتهجا :

ـ كيف ضحكت عليهم يا هك ؟! .. يالك من ولد ذكى .. لقد أنقذت جيم مرة أخرى .. ان جيم لن ينسى لك هذا الفضل اطلاقا .. !

وتحادثنا فيما سوف نعمله بهذه النقود .. وقال جيم ان فى استطاعتنا الآن أن نركب الباخرة لنسافر الى الولايات الحرة ومعنا نقود كافية ..

وقرب الفجر رسونا على الشاطىء .. وقضى جيم النهار كله وهو يقوم بربط حاجياتنا فى شكل ربطات يمكن حملها بسهولة استعدادا لمغادرة الطوف والسفر بالباخرة .. وعندما بدأ الظلام أقلعنا بالطوف مـرة أخرى .. وفى نحو الساعة العاشرة مساء شـــاهدنا أضواء احدى المدن القريبة .. فأخذت القارب وجدفت

نحو الشاطىء لأستطلع الأمر ‥ ورأيت أحد الصيادين فسألته :

ـ سيدى ‥ هل هذه مدينة كايرو ‥ ؟!

فقال الصياد مندهشا :

ـ كايرو ‥ لابد أنك مجنون !

ـ اذن ‥ ما هو اسم هذه المدينة ‥

ـ اذا كنت تريد أن تعرف فعليك بالذهـاب الى هناك لتعرف اسمها ‥ !

وجدفت نحو الطوف ‥ وبدأ جيم يشعر باليأس والاحباط ‥ ولكنى طمأنته قائلا :

ـ لا داعى للقلق ‥ ولا بأس ‥ وقد تكـــون كايرو هى المدينة التالية ‥

ولكنى مع هذا بدأت أشك فى الأمر ‥ وكذلك بدأ الشك أيضا يبدو واضحا فى ملامح جيم ‥ فقلت يائسا :

ـ اخشى أن نكون قد مررنا على مدينة كايرو في تلك الليلة التى كانت تغطيها الشبورة الكثيفة ‥ !

فقال جيم وقد يأس تماما :

ـ أرجو ألا نتحدث في هذا الموضوع يا هك ‥ فأنا على يقين من أن سوء الحظ سيحدث حتمـا ‥ لقد قلت لك أن لمس جلد الثعبان يؤدى دائما الى ســوء الحظ ‥ !

وعندما أشرق النهار ‥ رأينا بوضوح أننا قـد تجاوزنا بالفعل مدينة كايرو ‥ وتشاورنا فيما يجب أن نعمله لمواجهة تلك المشكلة ‥ اننا لا نستطيع أن نعود الى كايرو سيرا على الاقدام ٠كذلك فمن المستحيل أن نعود اليها بالطوف ‥ لأن الطوف لا يسير أبدا ضد التيار ‥ والشيء الوحيد الذى يمكن أن يساعدنا هو أن نترك الطوف ونركب القارب ‥ وأن نجدف ضـد التيار عدة ليال حتى نصل الى مدينة كايرو ‥

كان هذا هو الحل الوحيد ‥ لذلك فقد نمنـا

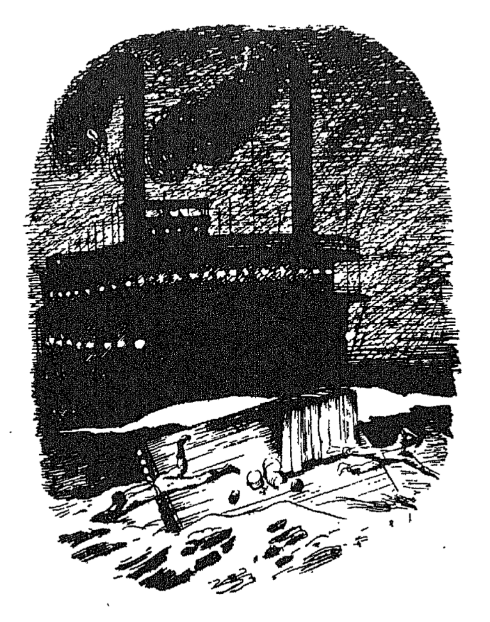
مختبئين بين الاعشاب طول النهار ·· وفى الليل ذهبنا الى حيث خبأنا الطوف ·· ففوجئنا بأن القارب قـــد اختفى !!

ولم ينطق أحدنا بكلمة ·· ان هذا هو سوء الحظ الحقيقى الذى جلبه علينا لمس جلد الثعبان ·· فمـــاذا عسانا أن نصنع ··

ولم يعد أمامنا سوى أن نقلع بالطوف الى مكان يمكننا فيه أن نبيعه أو نتخلص منه ثم نشترى قاربا نجدف به ضد التيار حتى نصل الى كايرو ·· وهكذا أقلعنا بالطوف مرة أخرى بعد أن حل ظلام الليل ··

ولكنها كانت ليلة موحشة دامسة الظلام ·· وفى خلال ساعات قليلة هبطت شبورة كثيفة جدا جعلتنا لا نرى شيئا على الاطلاق··لا مجرى النهر ولا الشاطىء ولا الأنوار ولا أى شىء آخر ··

وفجأة سمعنا أصوات آلات احدى السفن البخارية وهى تقترب فى اتجاهنا ·· فأسرعنا باشعال المصباح حتى ترانا السفينة فلا تصطدم بنا ·· ولكن ضـــوء



داهمتنا الباخرة وانقلب الطوف ..

المصباح كان خابيا جدا وسط الضباب ·· واقتربت منا الباخرة التى كانت تبدو لنا كسحابة سوداء داكنة ·· وفى لمح البصر اصطدمت بنا بعنف ··

وكانت هناك صرخة ·· أعقبها صــــوت جرس الباخرة لايقاف آلاتها ·· ثم بعض اللعنات والشتائم·· وصوت الصفارة البخارية ·· وبطبيعة الحال فقد قفز جيم من أحد جوانب الطوف ·· وقفزت أنا من الجانب الآخر ··

وغصت فى ماء النهر محاولا الوصول الى القــاع بأقصى سرعة حتى أتجنب عجلات المجاديف الآليــــة للباخرة ·· وهى عجلات هائلة يتجاوز قطرها الثلاثين قدما ·· وكنت على وشك الموت غرقا عندما ارتفعت مرة أخرى الى سطح النهر ··

ورغم الضباب فقد شاهدت الباخرة وقد ابتعدت بعد أن عادت آلاتها الى العمل مرة أخرى ·· فمثل هذه السفن لا تعبأ بالأطواف ولا بمن يركبونها ·· !

وناديت على جيم ·· ولكنى لم اسمع له صوتا ·· فعاودت النداء مرات ومرات دون جـــدوى ·· وبدأت أسبح متجها نحو الشاطىء ··

وكانت أرض الشاطىء وعرة جدا ·· ومع ذلك فقد اضطررت للسير عليها لمسافة نحو ربع ميل ·· الى أن وصلت الى مشارف بيت من البيوت العريقـة ذات الطراز القديم ·· وفجأة ·· قفزت نحوى مجموعة من الكلاب الضخمة أحاطت بى من كل جانب ·· وكان على أن أتوقف دون أن أجسر على التحرك ولو خطوة واحدة ··

الفصل السابع

الثأر ..!

وبعد حوالى نصف دقيقة ، فتحت احدى النوافذ ولم يطل منا أحد .. **وسمعت صوتا يأتى من خلالها :**

ـ من هناك .. ؟!

فقلت :

ـ أنا .. جورج جاكسون .. !

ـ وماذا تريد فى مثل هذه الساعة من الليل ..؟

ـ لا أريد شيئا يا سيدى .. لقد سقطت فى النهر من الباخرة التى عبرت منذ قليل .. !

ـ هل سقطت من الباخرة حقا ٠٠ اذن فلا تخف فلن يؤذيك أحد ٠٠ ولكن ابق كما أنت ولا تحاول أن تتحرك ٠٠ هيـــا يا بوب وانت يا تـــوم ٠٠ احضرا بنادقكما ٠٠ وأنت يا جورج جاكسون هل معك أحـد آخر ٠٠ ؟!

ـ لا يا سيدى ٠٠ فأنا وحدي !

ـ جورج جاكسون ٠٠ هـــل تعـــرف عائله شبردسون ٠٠ ؟!

ـ لا يا سيدى ٠٠ لم أسمع عنها اطلاقا ٠٠ !

ـ طيب ٠٠ عليك الآن أن تتحرك ببطء شديد ٠٠ واذا كان معك أحد فدعه يتحرك خلفك والا فســوف نطلق عليه النار فورا ٠٠ وعليك أن تتقدم نحو الباب ٠٠ وتفتحه فتحة صغيرة تكفى لمرورك الى الداخـل ٠٠ سامع !

وبدأت أتحرك خطوة خطوة ٠٠ وصعدت الدرجات الثلاث المؤدية الى الباب ٠٠ وسمعت صوت فتح المزلاج

والمتاريس ·· ودفعت الباب قليلا قليلا الى أن سمعت صوتا يقول :

ـ يكفى هذا ·· أدخل رأسك من فتحة الباب··!

فادخلت رأسى وأنا أشـــك فى أنهم ســـوف يقطعونها ·· !

ولكن على ضوء احدى الشموع بالداخل شاهدتهم وشاهدونى ·· وفى خلال ربع دقيقة رأيتهم جميعا ·· رأيت رجلا ذا شعر رمادى وعمره نحو ستين عاما ·· ورجلين آخرين فى حوالى الثلاثين ·· كما رأيت سيدة جميلة ذات شعر رمادى ·· تقف خلفها فتاتان جميلتان فى سن الشباب ·· وكانوا جميعـــا يرتدون ملابس فاخرة ·· وكان الرجال يصوبون بنادقهم نحوى ·· !

وقال الرجل العجوز :

ـ لا بأس ·· لا بأس ·· أدخل !

وبمجرد أن دخلت قام باغـــلاق الباب بالمزلاج والمتاريس مرة أخرى ·· وأدخلونى الى حجرة الجلوس

وأخذوا يتفحصونني بدقة ·· وقالوا جميعا انني لست من عائلة شبردسون ·· وعندئذ قال لى الجنتلمـان العجوز أن اعتبر نفسى كما لو كنت فى بيتى ·· وطلب منى أن أخبرهم بقصتى ··

وهنـــا قالت الســـيدة الجميلة ذات الشــــعر الرمادى :

ـ ولم العجلة يا ساؤل ·· ان الغلام المسكين مبتل عن آخره ·· وربما كان جائعا ·· !

ـ حقا ياراشيل ·· لقد نسيت ··

فقالت السيدة :

ـ فلتذهب احدى البنات لايقاظ بـوك ولتخبره بأن ·· ولكن ·· أوه ·· ها هو بوك بنفسه قد حضر ·· من فضلك يا بوك ·· خذ هذا الغريب الصغير وأعطه بعضا من ثيابك !

وكان بوك هذا غلاما فى مثل عمرى ·· فى نحو

الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة ·· وقد جـــاء يتثاءب ويدعك عينيه بيده ، ويجر بندقيته بيده الأخرى ··

وتساءل بوك قائلا :

ـ أليس هناك أحد من عائلة شبردسون ··

فهز الرجل العجوز رأسه ·· وصعدت مع بوك الى حجرته بالدور العلوى حيث أعطانى بعضـــا من ملابسه فارتديتها بعـــد أن خلعت ملابسى المبتلة ·· وسألنى بوك :

ـ كم من الوقت تنوى البقاء معنا ·· أرجو أن تبقى معنا بصفة مستديمة ·· فسوف نقضى معا أوقاتا حلوة طيبة ·· فنحن الآن فى الاجازة المدرسية ·· هل أنت موافق على ذلك ·· اذن تعال ··

وعندما هبطنا الى الدور الســـفلى ·· قدموا الى طعاما لم أذق مثله فى حياتى ·· قدموا خبزا مصنوعا من القمح ·· وقطعة كبيرة من اللحم البقرى ·· وزبدا

·· وسلطة لبن ·· وأخذوا جميعا يوجهون الى أسئلة كثيرة فاخترعت لهم قصة ·· وقالوا لى أن فى امكانى ان أبقى معهم لأى مدة أراها ··

ولأن الوقت قد أصبح متأخرا وأوشك النهار أن يطلع فقد توجهوا جميعا الى غرف نومهم ·· وشاركت بوك فى غرفة نومه ··

ولكن عندما استيقظت فى الصباح ، فوجئت بأنى قد نسيت اسمى الذى ادعيتـــه بالأمس ·· **وعنــدما استيقظ بوك قلت له :**

ـ هل تســـتطيع أن تتهجى الكلمات بطريقـــة صحيحة ·· ؟!

فقال على الفور :

ـ طبعا ·· !

ـ أراهن انك لا تستطيع أن تتهجى اسمى ·· !

ـ أراهنك ·· انى أستطيع··فهجاء اسمك هو:
ج·و·ر·ج·ج··ا··ك·س·و·ن ها ما رأيك ؟!

وهكذا كتبت هجاء اسمى على ورقة ·· حتى لا انساه بعد ذلك ·· وحتى أستطيع هجاءه اذا طلب أحد منى أن أفعل ذلك ·

كانت العائلة طيبة جدا وراقية ·· وكان البيت الذى يعيشون فيه بيتا عظيما له يد من النحاس اللامع مثبتة على بابه الخارجى ·· أما غـــرفة الجلوس فكانت رحبة واسعة تتصدرها مدفأة ضخمة تسع جذع شجرة بأكمله ·· وفوق جدار المدفأة وضعت ساعة جميلة ذات دقات جميلة عندما تعمل ·· وفى بعض الاحيان عندما يقوم بتنظيفها أحد الساعاتية الذين يتجولون فى شوارع المدن ليصلحوا الساعات ، فان الساعة كانت تدق عندئذ مائة وخمسين دقة قبل أن تتوقف !

وكانت هناك بعض اللوحات الجميلة معلقة على جدران غرفة الجلوس ·· وقالوا لى ان هذه اللوحات جميعها من رسم احدى بنات الأسرة التى ماتت منذ فترة وكان عمرها لا يتجاوز خمسة عشر عاما ··

وقد لفتت نظرى احدى اللوحـــات الكبيرة ··

وقد قالوا لى ان الفتاة قد ماتت قبـل أن تنتهى من رسمها ٠٠ وكانت اللوحـــة عبارة عن فتاة شابـة ترتدى ملابس بيضاء ، تقف على سور أحد الكبـارى متأهبة لالقاء نفسها فى النهر ٠٠ وكان شعرها يتطاير خلف ظهرها ٠٠ وكانت تنظر بوجهها نحو القمـــر الساطع بينما الدموع تترقرق فى عينيها ٠٠

والذى لفت نظرى فى تلك اللوحة ، أن الفتاة كان لها ذراعان مضمومتان الى صدرها ٠٠ وذراعان أخريان مفردوتان عن آخرهما ٠٠ وذراعان تمتـدان نحو القمر ٠٠ وكانت الفنانة تنوى اختيار أحد هذه الأوضاع على أن تقوم بمحـو الأوضاع الأخرى للذراعين ٠٠ ولكن الفنانة قد ماتت قبل أن تقوم بهذا الاختيار ٠٠ والحقيقة أن الفتاة المرسومة فى اللوحة كانت ذات وجه صبوح جميل ٠٠ ولكن أذرعها الكثيرة جعلتها تبدو مثل العنكبوت ٠٠ !

أما الكولونيل جرانجر فورد رب هذه الأسرة ، فقد كان « جنتلمان » بكل معانى الكلمة ٠٠ كان يبدو طويلا

ونحيفا ، وله وجه شاحب لوحته الشمس وحليق الذقن، وله شفتان رقيقتان في غاية الرقة ، كما تتدلى سوالفه الرقيقة على خديه ·· وله أنف دقيق يرتفع الى أعلى ، وحاجبان كثيفا الشعر ، وعينان سوداوان عميقتان تبدوان كما لو كانتا تطلان من كهف عميق غائر ·· أما شعر رأسه فقد كان مسترسلا حتى كتفيه ·· وكانت يداه طويلتين نحيفتين ··

وفي كل يوم كان الكولونيل يحرص على ارتداء قميص نظيف وحلة نظيفة بيضاء يكاد بياضها الشاهق يؤذى العينين ·· وفي أيام الآحاد كان يرتدى حلة زرقاء يتحلى معطفها بأزرار نحاسية صفراء ·· ويمسك في يده دائما عصا أنيقة ذات مقبض من الفضة الخالصة··وعلى وجه العموم فقد كان الكولونيل من ذلك النوع من الرجال الذى يخيل اليك أنك تعرفه ، وتثق فيه ··

أما الابن الأكبر بوب ، والابن الذى يليه توم ، فقد كانا شابين متشابهين الى حد كبير ·· كانا طويلين ولهما أكتاف عريضة ، ووجهان أسمران وشعر طويل

أسود وعيون سوداء ·· وكانا يرتديان حـــللا بيضاء ناصعة البياض مثل أبيهما ·· ويلبسان دائما قبعــات عريضة من النوع المعروف باسم قبعات بناما ··

أما الابنة الكبرى الآنســة شارلوت فقد كانت فى حوالى الخامسة والعشرين ، وتبدو جميلة طويلة ، فخورة بنفسها ولديها احساس جارف بالعظمـــــة ، واذا غضبت من شىء فانها تطلق من عينيها نظرات ثاقبة يمكن أن تجمدك فى مكانك اذا وجهتها اليك ··

أما أختها الصغرى الآنسة صوفيا فكانت فى حوالى العشرين ، وجميلة مثل أختها ·· ولكن جمالها كان من النوع اللطيف الرقيق الذى يفيض حلاوة وعذوبة ·

وكان للاسرة أبناء ثلاثة آخرون ، ولــكنهم قتلوا جميعا واحدا بعد الآخر ·· كما كانت هناك أيضا الابنة اميلين التى توفيت ·

وكانت الاسرة تمتلك مزارع واسعة ولديها أكثر من مائة خادم ·· وفى كثير من الأحيان كان بعض أقارب

الاسرة يحضرون على ظهور الخيل ، قادمين من المناطق المجاورة التى لا تبعد أكثر من عشرة اميال أو خمسة عشر ميلا ..

وكان هؤلاء الاقارب يقيمون لدى الأسرة نحو خمسة أو ستة أيام .. يعقدون خلالها حفلات مرحة قرب شاطىء النهر ، أو يتناولون الغداء فى الغابات القريبة ، ويقيمون حفلات الرقص فى البيت في كل مساء .. وقد لاحظت أن جميع الرجال كانوا يحملون بنادقهم فى جميع الأحوال .. حقا لقد كانت أسرة عظيمة !

وكانت هناك نحو خمس أو ست أسرات من الطبقة العليا تعيش فى المناطق المجاورة .. وكانت أهمها أسرة شبردسون ، وهى أسرة عظيمة واسعة الثراء مثل أسرة جرانجرفورد .. وقد شاهدت بعض أفراد من تلك الاسرة وهم يركبون البواخر مع أفراد آخرين من أسرة جرانجرفورد ..

وفى أحد الأيام ، بينما كنا أنا وبوك نقوم بالصيد

فى احدى الغابات القريبة ·· سمعنا وقع حوافر أحد الخيول قرب الطريق ·· وهنا قال بوك بسرعة :

ـ هيا ·· فلنختبىء فى الغابة فورا ·· !

واختبأنا ·· وأخذنا نراقب الطريق بحذر ·· وشاهدنا فتى أنيقا يمتطى ظهر حصانه وكان يحمل بندقية ·· وأخبرني بوك أن هذا الفتى هو هارنى شبردسون ·· وبعد فترة قصيرة أطلق بوك بندقيته فطارت قبعة هارني وسقطت على الأرض دون أن يصبه أذي ··

وعلى الفور انطلق هارنى نحو المكان الذى اختبأنا فيه ·· ولكننا أسرعنا بالفرار ·· ولأن الغابة لم تكن كثيفة ، وحتى أتحاشى الاصابة ، كنت أنظر خلفى بين حين وآخر ، وشاهدت هارنى وهو يطلق الرصاص مرتين نحو بوك ·· ثم استدار أخيرا وانصرف ، ولكننا مع ذلك واصلنا الجرى ولم نتوقف الا بعد أن وصلنا الى البيت ··

وبعد أن قام بوك باخبار الأسرة بقصـــة اطـلاق الرصاص على هارنى شبردســـون ، ظهرت بعض ملامح السرور على وجه الأب ‧‧ ولكنه قال بهدوء :

ـ أنا لا أحب اطلاق الرصاص من وراء الظهر ‧‧ لماذا لم تتقدم اليه وتواجهه وجها لوجه ‧‧ ؟!

فقال بوك :

ـ ان عائلة شبردســـون تطلـق النار من وراء ظهورنا يا أبى ‧‧ وهم بذلك يحصلون عـــلى أفضـــل فرصة ‧

وكانت الآنسة شارلوت تسمع هذه الحكاية وقد رفعت رأسها الى أعلى وتبدو مثل الملكة ‧‧ أما الابنان الكبيران فلم يقولا شيئا ‧‧ وقـــد لاحظت أن وجـــه الآنسة صوفيا قد أصبح شاحبا وهى تسمع هذه القصة ‧‧ ولكن وجهها عاد الى لونه الطبيعى بعد أن علمت أن هارنى شبردسون لم يصب بسوء !

وعندما اصبحنا وحدنا ‥ أنا وبوك ‥ سألته :

ـ هل كنت تريد أن تقتله حقا يا بوك ‥ ؟

ـ طبعا ‥ !

ـ ولماذا كنت تريد أن تقتله ‥ هل فعل ضدك شيئا أغضبك ‥ ؟

ـ هو ؟! ‥ انه لم يفعل شيئا ٠

ـ اذن ‥ لماذا تقتله ‥ ؟

ـ بسبب الثأر !

ـ الثأر ؟ ‥ ما هو الثأر ؟!

ـ آه ٠ نفرض أن هناك رجلا تشاجر مع رجـل آخر وقتله ‥ فيقوم أخو القتيل بقتل القـاتل ‥ ثم يبدأ الاخوة وأبناء العمومة من كلا الطرفين فى قتـل بعضهم بعضـا ‥ واحدا وراء الآخر ‥ وهكذا يظـل الثأر بينهم حتى يقتل الجميع ‥ وعندئذ ينتهى الثأر ‥ ولكن ذلك يستغرق وقتا طويلا ‥ !

ـ ومتى بدأ الثار بينكم وبين عائلة شبردسون يا بوك ؟..

ـ بدأ منذ مدة طويلة .. منذ نحو ثلاثين عاما .. كانت هناك مشكلة تتعلق بشيء ما .. ورفعت بشأن تلك المشكلة دعوى قضائية أمام المحكمة .. وبطبيعة الحال فقد حكمت المحكمة لصالح أحد الطرفين المتخاصمين .. فقام الطرف الذى خسر القضية بقتل الطرف الذى كسبها .. وهذا أمر طبيعى .. وهكذا بدأ الثار بين الطرفين ..

ـ ولكن من هو الطرف الذى بدأ القتل .. هل هو من عائلتكم أم من عائلة شبردسون ..؟!

ـ لا أدرى .. ولكنى أظن أن أبى يعرف ذلك .. كما يعرفه بعض كبار الاسرتين .. ولكنهم جميعا لا يعرفون ما هو أصل المشكلة التى حدثت فى البداية .. !

ـ وهل قتل رجال كثيرون .. ؟

ـ نعم .. ولكن البعض كانوا يفلتون من القتل

•• فقد أصيب أبى بعدة طلقـــات •• كما طعن بوب بسكين •• كذلك فقد أصيب توم مرة أو مرتين ••

ـ وهل حدث قتل فى هذه السنة •• ؟

ـ نعم •• قتل واحد من عندنا •• وواحد من عندهم !

وفى صباح يوم الأحد التالى •• ذهبنا جميعا الى الكنيسة التى تبعد نحو ثلاثة أميال عن البيت •• وكنا جميعا نمتطى ظهور الخيل •• وعندما جلسنا بقاعـــة الكنيسة كان الرجال يضعون بنـــادقهم بين أرجلهم أو يسندونها على الحائط بجانبهم •• وكذلك فعل جميـــع الرجال الآخرين من عائلة شبردسون ••

وعندما عدنا الى البيت تناولنا الغداء •• وبعـــد نحو ساعة بدأ الجميع ينعسون ويرغبون فى النوم •• واستلقى بوك على أعشاب الحديقة وبدأ ينام بجـــوار الكلب الذى كان مستلقيا هو الآخر على العشب •

وصعدت الى الغرفة العـــلوية لأستريح قليلا ••

وهناك فوجئت بوجود الآنسة صـــوفيا التى سألتنى هامسة اذا كنت أستطيع أن أتســـلل بهدوء ودون أن أخبر أحدا ، وأذهب الى الكنيسة لاحضر كتاب الصــلاة الخاص بها ، والذى نسيته على المقعد الذى كانت نجلس عليه ·· فأجبتها بأنى أستطيع ذلك بالطبع ·· وذهبت الى الكنيسة ··

والحقيقة أنى بدأت أشك فى الأمر ، وقلت لنفسى انه ليس من الطبيعى أن تهتم احدى الفتيات بكتــاب صــلواتها على مثــل هذا النحو ·· وعندما عثرت على الكتاب تصفحته بسرعة ، فوجدت بين صــفحاته ورقة صغيرة كتب عليها بالقلم الرصاص : « الساعة الثانية والنصــف » ·· ولم أســتطع أن أستنتج شيئا ·· فوضعت الورقة فى مكانها بين صفحات الكتاب ··

وفــور عودتى الى البيت ، صعدت الى الحجــرة العلوية ، فوجدت الآنسة صوفيا فى انتظارى ·· وأخذت الكتاب وقرأت الورقة فلمعت عيناها بسرور ، وقالت

لى انى أحســن ولد فى هذا العــالم ٠٠ وأن على ان احتفظ بهذا السر ولا أخبر به أحدا ٠٠

وبعــد ذلك غــادرت البيت وأخذت أتمشى على شاطىء النهر وأنا أقلب هذا الموضــوع الغــريب فى ذهنى ٠٠ ولكنى لاحظت أن جاك الخادم الزنجى الخاص ببوك كان يتبعنى ٠٠ وعندما ابتعدت عن البيت كثيرا لاحظت أن جاك قد بدأ يجرى نحوى ، **وقال بانفــاس لاهثة :**

ـ سيدى مستر جورج ٠٠ اذا جئت معى ٠٠ ساريك مكانا تكثر به ثعابين السمك ٠٠!

وسرت معه نحو ميل أو أكثر فى منطقة تكثــر فيها الحفر العميقة المملوءة بالطين ٠٠ الى أن وصلنا الى رقعة مسطحة من الأرض الجافة مملوءة بأشجار وشجيرات وأعشاب كثيفة ٠٠ **وهنا قال جاك :**

ـ مستر جورج ٠٠ اذا دخلت بين هذه الأعشاب فسوف تجد ما أخبرتك به ٠٠!

وانصرف جاك عائدا الى البيت ·· ودخلت على الفور بين تلك الأعشاب ·· وعلى مسافة قريبة رأيت مساحة صغيرة مستوية من الأرض ورجلا نائما ·· وفوجئت بأن هذا الرجل النائم هو جيم العجوز بنفسه !!

وأيقظته وأنا على اعتقاد بأن رؤيته لى ستسبب له دهشة كبيرة ·· ولكنه صاح فرحا واستقبلنى بسرور عظيم ·· ولكنه لم يندهش ·· بل بدا وكأنه كان ينتظر حضورى ··!

ثم بدأ يحكى الحكاية :

ـ لقد سبحت خلفك فى تلك الليلة ·· وسمعتك وأنت تنادى على عدة مرات ·· ولكنى لم أستطع أن أجيب حتى لا يقبض على أحد ·· ولقد أصبت اصابة بسيطة ولكنها جعلتنى أسبح ببطء ·· واعتقدت أننى

سأستطيع اللحاق بك عند الشاطىء ‥ وتتبعتك ‥
ورأيتك تدخل الى البيت ‥ فاختبأت فى الغابة القريبة
حتى الصباح ‥ وانتظرتك ‥ ودلنى بعض العمـال
الزراعيين على هذا المكان الذى أختبىء فيه الآن ‥
وكانوا يحضرون الى الطعـام كل ليلـة ‥ وكـانوا
يخبروننى بأحوالك بصفة مستمرة ‥ !

وهنا سألته مندهشا :

ـ ولكن لماذا لم تطلب من جاك أن أحضر اليك
فورا ‥ ؟

فقال بهدوء :

ـ كنت لا أريد أن أعكر صفوك ‥ كما كان من
الضرورى أن يمر وقت كاف لنصبح مستعدين تماما .
والآن أصبحنا مستعدين ‥ فقد اشتريت بعض الطعام
وأوعية ومقلاة ‥ كما أصلحت الطوف الذى ...

ـ طوف ٠٠ اى طوف يا جيم ٠٠؟!

ـ طوفنا القديم ٠٠ !

ـ طوفنا ؟! هل تقصد أنه لم يتحطم وما زال سليما ٠٠ ؟!

ـ نعم ٠٠ لقد حدثت بعض التلفيات البسيطة فى مؤخرته فأصلحتهـــا ٠٠ رغم أننا قد فقدنا جميـــع حاجياتنا فى هذا الحادث ٠

ـ ولكن كيف عثرت على الطوف مرة أخرى ٠٠ ؟

ـ لقد عثر عليه بعض الزنوج وخبأوه فى مكان بالنهر تكثر به الأعشاب بالقرب من الشاطىء ٠

لا أريد أن أطيل الحديث عما حدث فى اليوم التالى ٠٠ ولكن عندما اســتيقظت فى الصــباح ٠٠ لاحظت ان بوك قد سبقنى فى الاستيقاظ وخرج ٠٠ وعندما هبطت الى الدور السفلى لاحظت أن البيت كان ساكنا تماما ولم أر أحدا ٠٠ لقد اختفى الجميع ٠٠ !

وقرب كومة من الأخشاب فى الفنـــاء الخارجى رأيت جاك واقفا فسألته :

ـ ماذا جرى يا جاك ٠٠ ؟

فقال جاك في اهتمام :

ـ لقد هربت الآنسة صوفيا يا مستر جورج ٠٠ هربت لتتزوج من الشاب هارنى شبرادسون ٠٠ وقد اكتشفت الاسرة هربها منذ نصف ساعة فقط ٠٠فركب الجميع خيولهم وأخذوا بنادقهم وانطلقوا ٠٠ وذهبت السـيدات لتحـريض أقـارب الاسرة٠٠٠ أما سـيدى الكـولونيل فقد ذهب ومعه ابنـاه الى شـاطئ النهر ليتعقبوا هارنى شبردسون ويقتلونه قبل أن يعبر النهر ومعه الآنسة صوفيا ٠٠

وأسرعت بالذهاب الى شاطىء النهر ٠٠ وهناك سمعت طلقات الرصاص ٠٠ فاعتليت كومة كبيرة من جذوع الأشجار المقطوعة كانت موجودة فى مكان قريب من مرسى البواخر وأخذت أراقب ما يحدث ٠٠

كانت هناك مجموعـة من نحو أربعة أو خمسـة رجال يركبون الخيل ويريدون الهجوم على شابين صغيرين كانا يختفيان وراء كومة من الاخشاب مواجهة لمرسى البواخر ٠٠ وكان الشابان جالسين على الأرض ظهرا لظهر ليرقبا الطريق من ناحيتيه ٠٠

وتـوقف راكبـو الخيـول لحظة ، ثم اسـتداروا ليهجموا على كومة الاخشاب من الجهة الخلفية ولكن أحد الشـابين نهض واقفا وصـوب بندقيته نحو الرجـال وأطلقها ، فسـقط أحـد الرجـال المهاجمين من فـوق حصـانه ٠٠ ونزل الرجـال الآخرون من فوق ظهور خيولهم وحملوا الرجل المصاب الى مكان ما خلف أحد المخازن ٠

وفى هذه اللحظة انطلق الشابان وأخذا يجريان نحو كومة الخشب التى أعلوها ٠٠ واختبآ خلفها ٠٠ ومن هذا المكان أصبح الشابان فى وضع أفضل من قبل ٠٠ وكان أحدهما هو بوك ٠٠ أما الشاب الآخر فقد كان فى حوالى التاسعة عشرة من عمره ٠٠

وانطلق الرجال المهاجمون بخيولهم الى أن اختفوا عن نظرى .. وعندئذ ناديت على بوك الذى اندهش كثيرا لسماع صوتى من أعلى الكومة ثم طلب منى أن أرقب الطريق من مكانى المرتفع ، وأن انبهه اذا عاد الرجال مرة أخرى ..

فى حقيقة الأمر كنت أريد أن أنزل من فوق كومة جذوع الاشجار ، وأذهب الى أى مكان آخر ، ولكننى لم أعد الآن أستطيع ذلك .. وسالت بوك عما جرى لهارنى والآنسة صوفيا .. فأخبرنى بأنهما افلتا وعبرا آمنين الى الشاطىء الآخر .. وقد فرحت لسماع هذا النبأ .. ولكن بوك اخذ يلعن اليوم الذى تمكن فيه من اطلاق النار على هارنى ولم يصبه ..

وفجأة .. بوم بوم بوم ! ..

انطلقت ثلاث أو أربع بنادق .. وظهر الرجال وهم يمشــون على أقدامهم بدون خيول قادمين من ناحيــة الغابة .. لقد أصبحوا فى مواجهة الشابين تماما .. وهنا اندفع الشابان وقفزا الى النهر ، فانطلق نحوهما

الرجال المهاجمون وهم يطلقون الرصاص ويصيحون :
اقتلوهما ‥ اقتلوهما ‥ !

وقد أصابتني تلك المفاجأة بالدوخة ‥ حتى كدت أسقط من فوق الكومة ‥ ولكنى تماسكت بصعوبة ‥ وبقيت فى موقعى هذا خائفا دون حركة حتى حل ظلام الليل ‥ وكنت أفكر فى انى الملوم فى كـل ما حدث ‥ وأصبحت بحالة من البؤس ‥ وقررت الا أعود مرة أخرى الى بيت هذه الأسرة ‥ وأخذت ألوم نفسى ‥ ألم يكن من الواجب أن أخبر الأب بأمر تلك الورقة التي وضعت بين صفحات كتاب الصـلاة ‥ وبأمر هذا الطلب الغريب الذى طلبته منى ابنته ‥ انه كان على الأقل سيصبح قادرا على أن يغلق عليهـا الباب ويمنعها من الفرار ‥ ويمنع بالتالى حـدوث تلك المصيبة وكل تلك المتاعب ‥ ؟!

وعندما هبطت فى الظلام من فـوق الكومة ‥ أخذت ازحف بحذر نحو الشـاطىء ‥ ورأيت جثتى الشابين منبطحتين فى المياه الضحلة قرب الشاطىء ‥

فسحبتهما الى الأرض حتى لا يجرفهما التيـــار ٠٠ وبكيت عندما كنت أغطي وجه بوك ٠٠ لقد كان فتى طيبا وعاملني بكل لطف ٠٠

ووسط الظلام الحالك ٠٠ أخذت طريقى الى المكان الذى يختبىء فيه جيم ٠٠ ولكنى لم أعثر له على أثر ٠٠ فأسرعت الى المكان الذى خبأنا فيه الطوف وأنـا مشتاق تماما الى أن ألقى بنفسى فوق ظهره وأغادر هذا المكان الفظيع بلا رجعة ٠٠ ولكنى فوجئت بأن الطوف قد اختفى ٠٠ وعندئذ انتابنى الخوف والفزع وكدت أبكى ٠٠

ولكنى سمعت صوتا يقول :

ـ حمدا لله ٠٠ هأنت ذا يا صديقى مرة أخرى ٠

لقد كان صوت جيم ٠٠ يأتى من المـــاء قـرب شاطىء النهر ٠٠ فاندفعت نحو الشاطىء بسرعـــة ، وألقيت بنفسى فوق ظهر الطوف ٠٠ وأخذنى جيم بين أحضانه وهو يربت على ظهرى ويقول :

ـ باركك الله يا بنى ·· لقد كنت أظن أنك قتلت مرة أخرى ·· وكدت اقلع بالطوف منذ لحظة ·· متجها صوب مصب النهر ·· وكنت عـــلى استعداد للاقلاع بمجرد وصول جاك ليؤكد لى انك قد قتلت فعلا ·· ولكن حمدا لله ·· كم أنا مسرور بعودتك سالما يا صديقى العزيز ··

ومع ذلك فلم أشعر بالاطمئنان الا بعد أن أصبحنا في وسـط النهر وعلى بعد نحو ميلين من ذلك المكـان الفظيع ·· !

وعلقنا مصباحنا المضىء فوق عمود الطـوف ·· وانطلقنا مع التيار ونحن نشعر بأننا قد استعدنـــا حريتنا مرة أخرى وأصبحنا أكثر أمنا ··

ولم أكن قد تناولت أى طـــعام منذ الأمس ·· فقام جيم وأعد لنا عشاء طيبـــا ·· وكم أصبحت مسرورا بتخلصى نهائيا من مشاكل الثأر ·· وتخلص

..

جيم أيضا من الاختباء فى الطـين ·· وأخذنـا نقول لأنفسنا : ليس هناك مكان فى العالم ·· أفضل من ركوب الطوف ·· حيث نشعر بالحرية والبساطـة والراحة ·· !!

الفصل الثامن

اثنان من الأوغاد ..!

ومرت ليلتان أو ثلاث ليال .. وكان الوقت يمر لطيفا كمر السحاب .. كله هدوء ولطف وسعادة .. وكان مجرى النهر يتسع فى بعض المناطق حتى يبلغ نحو الميل ونصف الميل فى الاتساع ..

كنا نقلع بالطوف بمجرد أن يبدأ الظـــلام .. وقبل طلوع الفجر بقليل ، كنا نرسو بالطوف فى أية منطقة رملية قرب الشاطىء .. ثم نخفيه عن الانظار ببعض الاعشاب وفروع الشجر .. وبعد ذلك ننصب

السنانير لاصطياد الأسماك ، ونتركها تؤدى دورها دون أن نبذل من جانبنا أى تعب أو عناء ..

ونبدأ بعدئذ فى السباحة لنروح عن أنفسنا ونغسل متاعبنا في ماء النهر . ولنراقب قرص الشمس وهو يشرق في الأفق .. ونتمتع بالنسيم الذى يهب بلطف ونعومة .. والهواء النقى البديع الذى يحمل الى أنوفنا رائحة الزهور وأشجار الغابات ..

ثم نشعل نارا صغيرة لا تلفت النظر ، نطهو عليها بعض الاسماك التى اصطادتها السنانير ، ونتناول افطارا شهيا ساخنا .. ثم نجلس لنتأمل فى صمت النهر ووحدته .. وفى المساحات الشاسعة المترامية على مدى البصر .. الى أن يتسلل الى عيوننا النعاس فننام .. ثم نستيقظ فترة ونواصل بعدها النوم من جديد ..

وعندما يحل ظلام الليل ·· نشرع فى الاقلاع بالطوف مرة أخرى ·· وعندما يصبح الطوف فى منتصف النهر تماما نتركه يسبح فى حرية مع التيار ·· ونبدأ فى التدخين ونحن ندلى أرجلنا فى ماء النهر ، ونتحدث طويلا فى جميع أنواع الموضوعات وعن جميع أنواع الأشياء ·· وأحيانا كنا نتخيل أن النهر قد أصبح ملكنا لزمن طويل قادم ·· وأحيانا أخرى كنا نشاهد باخرة أو باخرتين تمخران عباب النهر قربنا ··

وفى صباح أحد الأيام ، عثرت على قارب فركبته وأخذت أجدف نحو مكان آخر من الشاطىء آملا فى العثور على بعض أشجار التوت لأجمع منها بعض الثمار ··

وفجأة رأيت رجلين يجريان نحوى وقد تقطعت أنفاسهما من شدة التعب · وتوسل الى الرجلان لكى أنقذ حياتهما ·· وأخبرانى أن الناس والكلاب

قادمون خلفهما ويتعقبون أثرهما .. فاركبتهما بالقارب ، وجدفت نحو الطوف ..

كان الرجل الأول عجوزا فى نحو السبعين من عمره ، له . والتف كثيفة من الشعر الأشيب .. بينما كان رأسه خاليا من الشعر على الاطلاق .. أما الرجل الثانى فقد كان شابا فى نحو الثلاثين .. وكان كل منهما يحمل معه حقائب كبيرة .

وسمعت حديثا غريبا دار بين الرجلين .. فقد قال العجوز ذو السوالف البيضاء لزميله :

— ما هى قصتك .. وما هو سبب متاعبك . ؟!

فأجاب الشاب :

— كنت أبيع مادة أدعى أنها تنظف القذارة المتراكمة على الاسنان وتمنع تسوسها .. ولكن هذه المادة وان كانت تنظف صدأ الأسنان فعلا ، الا أنها كانت تمحو السطح الخارجى للاسنان أيضا وتسبب

بعض الالم .. ويظهر أننى قد بقيت فى ذلك المكان أكثر من الوقت المناسب .. وعندما اكتشفوا أمر تلك المادة بدأوا يطاردوننى ، فجريت [illegible] أن [illegible] الناصية وأنت تجرى أيضا .. وأخبرتنى أنهم قادمون من تلك الناحية وقلت لنفسى لنجرى معا .. هذه هى قصتى .. والآن .. ما هى قصتك أنت .. ؟!

فقال العجوز ذو السوالف البيضاء :

ـ لقد جئت الى ذلك المكان منذ حوالى اسبوع .. وفى كل ليلة كنت أعقد للناس محاضرة ضد الخمر والمسكرات وأبين للناس مضارها وآثارها السيئة .. ونظير ذلك كنت أحصل على ستة دولارات [illegible] محاضرة .. ثم انتشر بين هؤلاء الناس خبر [illegible] لهم أننى أشرب الخمر سرا .. وفى صباح هذا اليوم أيقظنى أحد الزنوج وأخبرنى أن الناس سوف يقبضون على ويجرسوننى .. وسوف يدهنون جسمى بالزفت ويغطوننى بريش الطيور ليسخروا منى فى

جميع أنحاء القرية ·· لذلك فقد شرعت فى الهـرب والفرار فورا ، دون أن أنتظر حتى لتناول افطارى ·· رغم أنى كنت ومازلت جائعا حتى الآن ·· !

وهنا قال الشاب :

ـ أيها الرجل العجوز ·· لا بد أن نضم قواتنـا ونعمل سويا ·· !

فتساءل ذو السوالف :

ـ ولكن ما هو عملك الأساسى ·· ؟

ـ مطبعجى ·· وأحيانـا أعمل كطبيب يداوى الجروح والأمراض ·· أو ممثل ، أو أقـوم بتدريس الغناء والجغرافيا ·· وللتغيير كنت أقـوم فى بعض الأحيان بالقاء الخطب والأحاديث فى أى موضوع من الموضوعات وبمقابل معقول ·· وأنت ·· ما هو عملك الأساسى ·· ؟

فقال العجوز :

ـ آه .. أحيانا كنت أعمل كطبيب لمداواة جميع أنواع الأمراض .. وأستطيع أن أتنبـأ بالبخت وأرى الطالع اذا وجدت شخصا يعمل معي في هذا المجـــال ليزودني سرا بالمعلومات التي يمكنه تجميعها .. وفي أحيان كثيرة كنت أعمل في القاء الخطب والمواعظ .. !

وبعد فترة قصيرة ساد فيها الصمت .. تنهد الشاب بعمق وقال :

ـ خلاص .. لقد ضاع كل شيء .. !

فتساءل الرجل العجوز :

ـ لماذا .. وما هذا الشيء الذي ضاع منك .. ؟

فقال الشاب وهو يمسح طرف احـــدى عينيه بخرقة بالية :

ـ اني أفكر فيما آلت اليه أحوالي .. وهـــذه الحياة البائسة التي كتب على أن أحياها .. لقد أخذت

منى الدنيا كل شيء ٠٠ أخذت أحبابي ٠٠ أخذت ممتلكاتي ٠٠ أخذت كل شيء ٠٠ كل شيء ٠٠ ولكنها لن تستطيع أن تأخذ منى قبرى ٠٠ ففى يوم ما سأرقد فى هذا القبر ومعى قلبى المحطم المسكين ٠٠ ولكنى سأستريح من كل هذه المتاعب ٠٠ !

فقال الرجل العجوز بغضب :

ـ ولماذا تلقى علينا بهمومك هذه ٠٠ اننا لم نصنع لك شيئا يسيئك ٠٠ ؟

ـ نعم أعرف أنكم لم تصنعوا شيئا ضدي ٠٠ وأننى السبب فى كل المتاعب التى جررتها على نفسى ٠٠ انكم لن تصدقوا ما سوف أقول ٠٠. اذا أخبرتكم بسر عراقة مولدى ٠٠ !

ـ سر عراقة مولدك ٠٠ ما هو هذا السر ٠٠ ؟

فقال الشاب بوقار شديد لا يخلو من الاحساس بالعظمة :

ـ أيها السادة ·· سأخبركم بحقيقة أمرى ·· فأنا أحمل لقب دوق بحكم القانون ·· !

وكدنا نسقط أنا وجيم على سطح الطوف من شدة الدهشة ·· وواصل الشاب حديثه قائلا :

ـ نعم ·· أيها السادة ·· نعم ·· فان جدى الأكبر كان الابن البكر الأكبر لدوق بريدج ووتر ·· ولقد جاء جدى الى هذه البلاد فى أواخر القرن الماضى يتنفس نسيم الحرية ·· وتزوج هنا ·· وأنجب ابنا ·· ثم مات ·· وفى الوقت نفسه مات أبوه الدوق فى انجلترا ·· ولكن الابن الأصغر لهذا الدوق استولى بطريقة غير شرعية على لقب الدوق وعلى جميع ممتلكاته ·· دون أن يضع أحد فى الاعتبار أى حقوق لابن جدى الاكبر الذى يعتبر بحكم القانون صاحب الحق الأول فى ميراث الممتلكات واللقب ·· وأنا ايها السادة ·· الابن الأكبر لهذا الابن ·· ومن حقى شرعا أن أحمل لقب دوق بريدج ووتر ·· ومع هذا كله ·· فهأنذا أمامكم الآن وقد سلب منى الحق فى

٦

حمل هذا اللقب الرفيع ·· وأعيش حياة لا تتناسب مع مقامي ·· حيث يطاردني الناس ويلعنونني ··· أرتدى أسمالا ممزقة ·· كسير القلب ·· مضطرا الى مصاحبة بعض المجرمين على هذا الطوف الحقير ·· !

وأخذنا أنا وجيم نحاول تهدئته وتطييب خاطره ونعلن أننا على استعداد لتقديم أية مساعدة له في محنته ·· **ولكنه قال لنا :**

ـ وما فائدة هذا كله ·· ومع ذلك اذا أردتم أن تطيبوا خاطري فعلا ·· فيجب ان تعترفوا بي كدوق شرعى ·· واذا خاطبني احدكما ، فليقل لى يا سعادة اللورد ·· أو يا صاحب السعادة ·· وأن ينحني أمامي باحترام ·· وأن يكون أحدكما في خدمتي حين أتناول طعامي ·· وينفذ ما أطلبه منه من طلبات بسيطة ··

وقد رأينا أن كل هذه الطلبات سهلة ، فوافقنا عليها وبدأنا نعامله على هذا الأساس ·· ولكن يبدو أن الرجل العجوز لم يكن مستريحا الى هذا المركز

الرفيع الذي حصل عليه زميله الشاب .. فجلس يفكر في الأمر ، ولكنه ظل صامتا ..

وبعد الظهر أقترب العجوز من الشاب وقال له بهدوء :

ـ لقد أسفت لحالك يا دوق بريدج ووتر .. ومع ذلك فأنت لست الشخص الوحيد الذى سلبت منه ممتلكاته وحقوقه وألقابه الرفيعة ..

وبدأ الرجل العجوز في البكاء وسالت الدموع من عينيه .. ومع ذلك فقد واصل حديثه وهو يتنهد ويئن بصوت خفيض :

ـ دوق بريدج ووتر .. هل يمكننى أن أثق فيك .. ؟!

فقال الدوق :

ـ بلا شك .. بلا شك !

ـ اذن .. دوق بريدج ووتر .. انى اعترف لك بانى المرحوم « دوفين » (١) .. !

وأخذنا أنا وجيم نحملق فى الرجل العجــوز بدهشة شديدة .. وانتفض الدوق متسائلا :

ـ أنت .. من ؟!

وقال الرجل العجوز وهو يكفكف دموع عينيه :

ـ نعم يا صديقى العزيز .. انك ترى الآن أمامك « دوفين » الابن الأكبر للويس السادس عشر ومارى انطوانيت والذى قيل انه اختفى .. أنا لويس السابع عشر ملك فرنسا .. شرعا وقانونا .. !

ولم ندر أنا وجيم ماذا نصنع أمام هــذا الملك الجديد .. ولكننا أخذنا نطيب خاطره ونبدى له بعض الحزن على حاله .. واستعدادنا لمعاونته .. فقــال

(١) دوفين : هو اللقب الرسمى الذى يمنح للابن البكر لملك فرنسا .

بتواضع شديد انه سيستريح لو عاملناه طبقا لحقوقه الملكية الشرعية ·· وأن علينا أن نركع أمامه عندما نحدثه ·· وأن نناديه بلقب « صاحب الجلالة » ·· وأن نبقى فى خدمته لتلبية طلباته أثناء تناوله للطعام ·· وألا يجلس أحدنا فى حضوره الا اذا سمح لنا بالجلوس ··

وهكذا قبلنا أناوجيم أن نعامل الملك بهذه الطريقة ·· وقد لاحظت أن الدوق قد بدأ يشعر بالمرارة لحصول الرجل العجوز على مركز أعلى من مركزه ، وتفوقه عليه بهذا الشكل الساحق ··

وبعد لحظات ، **قال الملك المدوق :**

ـ دوق بريدج ووتر ·· فلتمد يدك لنتصافح ولنبدأ صداقة مخلصة !

وفرحنا أنا وجيم بأن السلام قد بدأ يرفرف على الطوف ومن فيه ··

وبطبيعة الحال لم يمض وقت طويل حتى تبين لى أن هذين الكذابين ليسا من الملوك ولا الدوقات .. وما هما الا اثنين من النصابين الأوغاد . . ومع ذلك فلم أقل شيئا لعدم أهمية هذا الموضـــوع .. فاذا كان هذان الوغدان يريدان أن نعاملهمـــا معاملـــة الملوك والدوقات ، فلا مانع لدينا فى ذلك .. مادامت هــذه المعاملة ستحقق السلام والوئام بيننا جميعا .. !

الفصل التاسع

الوغدان .. على المسرح !

وبدا الملك والدوق يوجهـان الينا الـكثير من الاسئلة .. لماذا نقلع في ظلام الليل ونختفى الطـوف أثناء النهار ؟ .. وهل جيم عبد هارب ؟ .. ولكنهما مع ذلك لم يبديا اهتماما كبيرا بالاجابات .. وبعد أن تناولنا طعام الافطار قال الدوق للملك :

ـ هل قمت بالتمثيل يوما في المسرح الملكى ..؟!

فقال الملك :

ـ لا .. أبدا .. !

ـ اذن • فسوف تشتـرك معى فى التمثيل ••

وعندما نصل الى أول مدينة صغيرة قادمة •• سنقوم باستئجار احدى القاعات لنقدم على مسرحها مشهـد المبارزة بالسيوف من مسرحيـة ريتشـارد الثالث ، ومشهد المناجاة في البلكونـة من مسرحيـة روميـو وجولييت لشيكسبير ••

ـ انى لا أعرف أى شىء عن فن التمثيل يا دوق بريدج ووتر •• فهل يمـكنك أن تقـوم بتعليمى وتدريبى •• !؟

ـ طبعا •• وبكل سهولة •

ـ اذن •• فلنبدأ الآن •• فأنا جاهز !

وهنا قال الدوق انـه سيمثل دور روميو •• وسيقوم الملك العجوز بتمثيل دور جولييت ! •• فقال الملك مترددا :

ـ ولكن يا سعادة الدوق •• ان جولييت كانت شابة صغيرة •• وأنا عجوز أصلع بلا شعر فى رأسى

.. وسوالفى الكبيرة من الشعر الأبيض التى تغطى خدى .. ألن يبدو ذلك غريبا وأنا أقوم بدور جولييت .. ؟!

فقال الدوق بلا تردد :

ـ هذا لا يهم على الاطلاق .. فهؤلاء الفلاحون البسطاء لا يفكرون فى شىء من ذلك .. بالاضافة الى أنك سترتدى ملابس أخرى وستضع على وجهك بعض المكياج والألوان والمساحيق .. كل ذلك سيجعلك من عالم مختلف .. !

وأخرج الدوق من حقيبته بعض ملابس التمثيل والأدوات المسرحية التى قال عنها انها الدروع التى سيستخدمها ريتشارد الثالث وزميله فى المبارزه .. كما أخرج فستانا للسهرة مصنوعا من قماش قطنى أبيض .. وقبعة سهرة مناسبة لهذا الفستان ..

واقتنع الملك بكل ذلك .. وهنا أخرج الدوق كتابا .. وبدأ يقرأ منه نص المشاهد المطلوبة ..

واندمج فى التمثيل ·· فأخذ يقفز ويتحرك من مكان الى آخر ·· وينحنى ويعتدل ليبين الطريقة الصحيحة التى يلقى بها الحوار بكثير من العظمة والمبالغة ··

وبعد أن فرغ من ذلك ·· أعطى الكتاب للملك ، وطلب منه أن يقرأ أجزاء الحوار الخاصة به وأن يحفظها عن ظهر قلب ··

ومررنا على احدى المدن الصغيرة ، فطلب منا الدوق أن نتوقف وننتظره حتى ينتهى من أداء بعض الأعمال العاجلة ··

وعندما عاد الدوق الى الطوف مرة أخرى ·· عرض علينا اعلانا مطبوعا كان معلقا على أحد جدران المدينة ·· وتظهر فى أعلاه صورة لعبد هارب ·· وكتبت تحتها أوصاف تفصيلية تنطبق تماما على أوصاف جيم ·· العبد الهارب من مزرعة بمدينة سان جاك بمنطقة نيو أورلينز ·· ومكافأة قدرها (٢٠٠) دولار بالاضافة الى المصروفات لمن يقبض عليه ويقوم بتسليمه · !

وقال الدوق :

ـ اعتبارا من الآن ·· نستطيع أن نقلع بالطوف أثناء النهار أيضا ·· واذا تعرض لنا أى أحد فسوف نريه الاعلان المطبوع ·· ونخبره بأننا قبضنا على العبد الهارب وذاهبون لتسليمه واستلام المكافأة ··

وأقلعنا فى تلك الليلة فى حوالى العاشرة مساء ·· ولم نتوقف عن الاقلاع عندما أشرقت الشمس فى صباح اليوم التالى ·· وظل الطوف يشق طريقه على سطح النهر أثناء النهار ··

وبعد أن تناولنا الافطار ·· جلس الملك يستذكر دوره ويحفظ نصوص الحوار عن ظهر قلب ·· وبعد ذلك أخرج الدوق من حقيبته سيفين مصنوعين من الخشب ·· وبدأ يتدرب مع الملك على مشهد المبارزة بالسيوف من مسرحية ريتشارد الثالث ··

وقام الدوق بدور ريتشارد الثالث ، بينما قام الملك بدور المبارز الآخر ·· وكانت الطريقة التى تبارزا بها على سطح الطوف مبهرة لنا ومسلية ·· كانا يقفزان

٥

من مكان الى آخر ويتبارزان بالسيوف الخشبية كما لو كانا فى معركة حقيقية ·· وفجأة تزحلق الملك وسقط على سطح الطوف ، فتوقفت المبارزة ، وجلسا يستريحان من عناء التدريب ·· وأخذا يقصان على بعضهما بعض النوادر والحكايات عن مغامراتهما السابقة ·· !

وكان الدوق قد أعد بعض الاعلانات المطبوعة ·· ولم يحدث أى شىء فى اليومين أو الأيام الثلاثة التالية سوى استمرار المبارزة بالسيوف ، وحفظ الحوار ، والتدرب على القائه بطريقة تمثيلية ··

وفى صباح أحد الأيام ، اقتربنا من احدى المدن الصغيرة ، فرسونا بالطوف على بعد نحو ثلاثة أرباع الميل من تلك المدينة ·· وذهبنا جميعا ــ فيما عدا جيم الذى ظل بالطوف ــ الى ساحة المدينة لنرى ان كانت هناك فرصة لتقديم العرض المسرحى المرتقب ··

ولحسن الحظ فان المدينة كانت تتأهب لأحد الاحتفالات الزراعية ·· وكان الفلاحون قد بدأوا يفدون



التدريب على المبارزة .. كان فرجة مدهشة !

من المناطق المجاورة لحضور هذا الاحتفال الذى علمنا بأنه سوف ينتهى قبل المغرب ٠٠ وكانت هذه المناسبة فرصة ملائمة لاقامة عرضنا المسرحى ٠٠ فقام الدوق باستئجار احدى القاعات ٠٠ وقمنا بتعليق اعلاناتنا المطبوعة فى مختلف أنحاء تلك المدينة الصغيرة ٠٠ وكانت هذه الاعلانات تحمل العبارات التالية :

شيكسبير !!!

عرض مسرحى رائع !

لليلة واحدة فقط !

ديفيد جاريك الصغير

الممثل بمسرح درورى لين ، بلندن

وادموند كين الكبير

الممثل بمسرح هاى ماركت الملكى ، بهوايت شابيل بودنج لين ، بيكاديللى ، لندن

مشهد المناجاة فى البلكونة بين روميو وجولييت

روميو : ... ... مستر جاريك

جولييت : .. ... مستر كين

ويشترك معهما جميع أعضاء الفرقة !

ملابس جديدة .. مناظر جديدة !

وايضا ..

(بناء على طلب خاص)

مشهد المبارزة من مسرحية ريتشارد الثالث!!

ريتشارد الثالث : ... مستر جاريك

ريتشموند : ... مستر كين

الدخول للرجال ٢٥ سنتا

وللأطفال والخدم ١٠ سنتات .

وبعد انتهـــاء الحفـل الزراعى ، قدمنا العرض المسرحى ·· ولكن لم يحضره سوى اثنى عشر متفرجا فقط ، دفعوا مبلغا يكاد أن يكفى لتغطية مصـــاريف العرض بصعوبة ·· وقد ظل المتفرجون يضـــحكون ويسخرون بالتمثيل وبالممثلين ·· لدرجـة ان الدوق قد أوشك أن يجن من شدة الغيظ والاحباط ·· وقال ان هؤلاء الفلاحين الجهـــلاء لا يفهمــون شيكسبير ·· ولا يعجبهم سوى المسرحيات والعروض الهابطة ··

وفى صـــباح اليوم التالى ، قام الدوق بطباعة اعلانات جديدة ، علقناها فى جميع أنحـــاء المدينة الصغيرة ·· وكانت الاعلانات تقول هذه المرة :

فى البلاط الملكى

لمدة ثلاث ليال فقط

أشهر ممثلين فى العالم

ديفيد جاريك الصغير

– و –

ادموند كين الكبير

في هذا العرض المسرحي العظيم

تحفة ملكية لانظير لها !!!

الدخول ٥٠ سنتا

ملحوظة : للكبار فقط

ولايسمح بدخول النساء ولا الأطفال

وبعد ذلك قال الدوق :

ـ هكذا .. واذا لم تجذبهم هذه الاعلانات . فليكن معنى ذلك أني لا أفهم عقلية هؤلاء الفلاحين الجهلاء .. وسترون بأنفسكم ما سوف يحدث الليلة .. !

وقضى الدوق والملك النهار كله فى تجهيز المسرح والاستعداد لهذا العرض المسرحى .. وفى الليل كانت قاعة العرض ممتلئة عن آخرها بالمتفرجين حتى لم يعد هناك أى موطىء لقدم ..

وعندما بدأ العرض ، وقف الدوق على خشبة المسرح ، وأخذ يتفاخر ويتباهى بنفسه وبالعرض المسرحى وبالممثل ادموند كين الكبير الذى أشار اليه بأنه سيؤدى الجزء الأكبر من عرض الليلة ..

وأخيرا رفع الدوق ستار المسرح .. ودخل الملك على الفور زاحفا على أربع وأخذ يرقص ويؤدى حركات تثير الضحك ، وكان جسمه كله مغطى بجميع ألوان قوس قزح ومنقوشا بنقط وخطوط ودوائر وأشكال مختلفة ..

واستغرق جميع المتفرجين فى الضحك .. بل وكاد بعضهم أن يموت من شدة الضحك .. والحقيقة أن منظر الملك وحركاته ورقصاته كان مثار سخرية

وكانت الطريقة التى يؤدى بها هذا العرض الغبى قادرة على أن تضحك أية قطة لو جاءت لتشاهد هذا المنظر ..

وبعد ذلك أنزل الدوق الســـــتار .. وقال للمتفرجين ان الفرقة سنؤدى عرضها هذا فى الليلتين القادمتين فقط ، لأنها مرتبطة بموعد هام فى لندن ..!

وهنا صاح عشرون متفرجا :

ـ ما هذا .. هل انتهى العــرض .. هل هذا كل شيء .. ؟!!

فأفهمهم الدوق أن العرض قد انتهى فعلا .. وحدث هياج وزمجرة .. **ولكن رجلا أنيقا قام من بين المتفرجين وصاح فيهم :**

ـ انتظروا أيها الناس والزموا الصمتواسمعونى جيدا .. لقد خدعنا .. وضحك علينا هؤلاء الممثلون.. وسوف نصبح مثار سخرية لأهل المدينـــة كلهم .. ولهذا فلا بد أن ندعى أن هذا العرض المسرحى جيـــد وجدير بالمشاهدة .. حتى يحضر أهل المدينة كلهم

ويشاهدوا العرض بأنفسهم .. وبهذا نصبح جميعا في نفس المركب .. ولن يستطيع أحد أن يسخر منا.. ما رأيكم .. هل توافقوننى على ذلك .. ؟!

فصاح المتفرجون :

ـ موافقون .. موافقون .. لابد أن يبلع أهل المدينة هذه الخدعة مثلنا .. !

وهنا قال الرجل الأنيق :

ـ اذن .. فلنعد الى المدينـــة وننصح كل من نعرفهم بأن يحضروا ليشاهدوا هذا العرض بأنفسهم !

وطوال نهار اليوم التالى ، لم يكن لأهالى هذه المدينة الصغيرة حديث ســوى ذلك العرض المسرحى العظيم .. والتحفة الملكية المنقطعة النظير !

وفى الليل أقبل الناس من كل صـــوب .. وامتلأت قاعة العرض بالمتفرجين !

وفى الليلة الثالثة امتلأت القاعة بالمتفرجين مثل

الليلتين السابقتين ·· ولكنى لاحظت أن معظم المتفرجين الذين حضروا العرضين السابقين قد حضروا أيضا هذه الليلة ، وكانوا جميعا يخفون أشياء فى جيوبهم وداخل معاطفهم ·· وتسللت الى أنفى رائحة البيض الفاسد والخضراوات العطنة والأشياء المماثلة الأخرى التى أحضرها الناس معهم ·

وبعد أن امتلأت القاعة عن آخرها ، ولم تعد تسع أى متفرجين آخرين ·· كنت أنا والدوق واقفين عند باب القاعة الخارجى ·· وتظاهر الدوق بأنه سيدور حول مبنى القاعة وأشار الى خفية أن أتبعه ·· وعندما وصلنا الى منطقة مظلمة خلف القاعة ··

قال لى الدوق :

هيا أجر الى الطوف بأقصى سرعة ·· أجر وكأنك تفر من شيطان يتبعك ·· !

ووصلت الى الطوف ·· ووصل الدوق معى فى نفس الوقت ·· وفى أقل من ثانيتين ·· أقلع الطوف

وأخذ طريقه سابحا نحو منتصف مجـرى النهر ..
وجرفه التيار مبتعدا عن المدينة ..

وأخذت أفكر فى المصـير التعس الذى سيلقاه الملك على أيدى المتفرجين الغاضبين .. ولكنى فوجئت بخروج الملك من مخبأ الطوف **وقال لنا بثبات** :

ـ هاه .. كيف سـارت الأمور معك هذه الليلة .. يا دوق بريدج ووتر .. ؟!

لقـد بقى الملك مختبئـا بالطوف .. ولم يذهب الى المسرح فى تلك الليلة ..

ولم نشعل مصباح الطوف الا بعد أن أصبحنا على بعد نحو عشرة أميال من المدينة .. وبعد أن هدأنا تمـاما ، أوقدنا نارا وطهـونا العشاء .. وكان الملك والدوق غارقين فى الضحك وهما يرويان كيف تمكنا من خداع كل هؤلاء الناس والضحك عليهم .. !

لقد جمع هذا الوغدان أربعمائة وخمسة وستين دولارا فى تلك الليالى الثلاث .. ولم أر فى حياتى

من قبل ، كيف يتم تجميع مثل هذا المبلغ الكبير عن طريق الاحتيال والنصب على الآخرين ..

وبعد فترة استغرقت فى النوم .. ولم يوقظنى جيم عندما حل موعد نوبتجيتى دورى فى المراقبة .. وكثيرا ما كان جيم الطيب يفعل هذا ، ويقوم بالعمل وحده دون أن يقلقنى ..

وقرب الفجر .. تنبهت وفتحت عينى .. فرأيت جيم يجلس حزينا وهو يدفن رأسه بين ركبتيه .. ويئن أنينا يقطع القلب .. وتظاهرت بأنى لم أستيقظ بعد .. وعرفت سبب حزن المسكين .. انه يفكر فى زوجته وأطفاله الذين تركهم وراءه .. انه يتألم لأنه لن يراهم بعد ذلك أبدا .. ان الحنين الى العودة الى بيته كان يمزق قلبه .. فكان يقول بصوت خفيض بين حين وآخر :

ـ مسكينة يا صغيرتى اليزابيت .. مسكين يا صغيرى جونى .. ألن اراكما مرة أخرى .. يالها من قسوة شديدة .. ان هذا منتهى الظلم والألم .. !

كم كان جيم زنجيا طيب القلب ·· !

وتظاهرت بأني قد استيقظت تماما ·· وأردت أن أستلم منه النوبجية ودوري في المراقبة ·· وأخذت ألمح له من بعيد عن حديث يخص زوجته وأطفاله ·· وبعد فترة حزن قصيرة ·· قال جيم :

ـ هل تعرف يا هك لماذا حزنت هذه الليلة ·· لقد سمعت صوت صفعة على وجه أحد الأطفال بينما كنت جالسا بالطوف عند الشاطىء ·· لقد ذكرتني تلك الصفعة ·· بأنني قد عاملت طفلتي الصغيرة اليزابيث بقسوة بالغة حين كانت في الرابعة من عمرها ·· لقد أصيبت المسكينة بالحمى القرمزية ولم أكن أعلم أنه مرض خطير يصيب الأطفال ·· وعندما مرت فترة الحمى وأخذت صحتها في التحسن ·· كانت تقف الطفلة المسكينة بجوار الباب المفتوح فقلت لها :

ـ أغلقي الباب وادخلي ·· !

ولكنها لم تغلق الباب ولم تدخل ·· بل ظلت واقفة قرب الباب وهى تبتسم لى فى براءة ··

ولكنى صحت بها مرة أخرى :

ـ ألا تسمعين ·· قلت أغلقى الباب وادخلى ·· !

وظلت المسكينة واقفة تبتسم ·· فجن جنونى وقلت لها غاضبا :

ـ اذن ·· سوف أعلمك كيف تسمعين الكلام·· وقمت ·· وصفعتها على وجهها صفعة أطارتها من على الأرض ·· فأخذت تبكى ·· ودخلت الى الحجرة الأخرى وبقيت هناك نحو عشر دقائق ·· ثم خرجت ورأيت الطفلة مازالت واقفة جوار الباب المفتوح والدموع تسيل على خديها ·· ولكن فى هذه اللحظة هبت ريح أغلقت الباب بعنف شديد ·· ولكن الطفلة لم تتحرك وظلت تبكى فى صمت ·· يا ربى ماذا حدث لها ·· ففتحت الباب مرة أخرى وخرجت ·· ولكنى عدت بعد لحظة على أطراف أصابعى حتى لا ترانى

الطفلة الصغيرة المسكينة .. وصرخت بأعلى صوتى ..
بوم .. بوم .. ولكن المسكينة لم تتحرك قيد أنملة
ولم تتنبه الى وجودى .. لقد أصيبت المسكينة بالصمم
.. لقد عملت الحمى القرمزية عملها .. وأصبحت
اليزابيث الصغيرة صماء لاتسمع شيئا .. وبكماء
لاتنطق بكلمة .. فجريت نحوها .. واحتضنتها بين
ذراعى .. وأخذت أبكى، وأنا أطلب من الله أن يغفر لى
قسوتى .. ولكنى يا دمك لم أغفر لنفسى أبدا هذه
القسوة .. تصور يا هك .. صماء وبكماء .. ومع ذلك
فقد عاملتها بطريقة قاسية !

الفصل العاشر

أنت محتال ..؟

وفى اليوم التالى .. وقبل أن يحل الظلام .. رسونا بالطوف على شاطىء رملى .. وكنا نرى بوضوح قريتين متقابلتين تقع كل واحدة منهما على أحد شاطئى النهر .. وبدأ الدوق والملك يفكران فيما يمكن أن يفعلاه فى كل من هاتين القريتين ..

وفى كل مرة كنا نغادر فيها الطوف .. كان الدوق يقوم بتكتيف جيم بالحبال حتى يبدو منظره كعبد هارب مقبوض عليه ! .. ولكن فى هذه الليلة ،

قال جيم للدوق أن تركه مكتفا هكذا طول النهار شيء متعب ولا يحتمل ..

وعلى الفور فكر الدوق فى طريقة أخـــرى . فألبس جيم ملابس « الملك لير » ، وباروكة شـــعر مستعار أبيض اللون .. وسوالف مستعارة .. وطلى وجهه ويديه وأذنيه ورقبته ببعض الألوان المستخدمة فى عمل المكياج المسرحى .. حتى بدا جيم فى النهاية فى لون كئيب ، مثل لون جثة غريق غرق فى النهر تسعة أيام كاملة ..

وطلب الدوق من جيم أن يبقى هكذا بداخـــل مخبأ الطوف .. واحضر الدوق لوحا صغيرا من الخشب كتب عليه : مجنون ! .. خطير جدا عندما تأتيـــه النوبة !!

وقام الدوق بتعليق هذا اللوح على عصا أقامها فى مقدمة الطوف .. وأخبر جيم بأنه اذا جاءه أحد .. فعليه أن يهب واقفا ويقفز عدة قفزات ويمثـــل دور

المجنون ·· وأن عليه ان يعوى مثل الحيوانات المتوحشة ·· وبهذه الطريقة المضمونة لن يقترب أى شخص من جيم خوفا من خطره ··

وقال الدوق أنه سيذهب الى احدى هاتين القريتين ، وأن على الملك أن يذهب الى القرية الأخرى·· وذلك حتى يستطلعا الأمر ليقررا كيفية التعامل مع أهالى كل قرية ·

وقرر الملك أن اذهب فى صحبته ·· وكنا قد اشترينا بعض الملابس الجديدة من المدينة السابقة فارتديناها ·· وكانت ملابس الملك سوداء اللون وبراقة ·· جعلته يبدو كما لو كان جنتلمان من الطبقة العليا ·· لم أكن أعرف من قبل كيف تقدر الملابس على تغيير مظاهر الناس وتغيير صفاتهم الحقيقية ·

وركبنا القارب وأخذت أجدف نحو شاطىء القرية ·· وقبل أن نقترب من القرية شاهدنا احدى البواخر النهرية راسية فى المحطة السابقة لمحطة القرية ··

وهنا قال الملك :

ـ ها هى فكرة جيدة ٠٠ فهذه الملابس الجديدة التى أرتديها تمكننى من تمثيل دور الجنتلمان القادم من سان لويس أو من سينسنياتى أو من أية مدينـة كبيرة أخرى ٠٠ ما رأيك يا هكلبرى ٠٠ أسرع بنا لكى نركب هذه الباخرة لمحطة واحدة حتى نصل الى القرية وكأننا قادمون من مكان بعيد ٠٠ !

وبينما كنت أجدف نحـو الباخرة رأينا شـابا من الفلاحين ، جالسا على الشاطىء ومعه حقيبتان كبيرتا الحجم ٠٠ وكان الشاب يجفف عرقه المتصبب على وجهه من شدة الحر ٠٠ **وقال الملك للشاب :**

ـ الى أين أنت ذاهب ٠٠ أيها الشاب ؟

ـ ذاهب الى الباخرة ياسيدى ٠٠ فأنا مسافر الى نيو أورلينز ٠٠

ـ اذن ٠٠ اركب معنا فى القارب ٠٠ سنوصلك الى الباخرة ٠٠ وسيقوم خادمى بمساعدتك فى حمل هذه الحقائب ٠٠ !

وقال الشاب شـــاكرا وهو يحمل الحقيبتين بنفسه ويضعهما فى القارب :

ـ ان حمل هذه الحقائب الثقيلة فى الحر يعتبر عملا مرهقا ٠٠ سيدى ٠٠ عندما شاهدتك لأول مرة قلت لنفسى : ها هو المستر ويلكس قد حضر بعد فوات الوقت المناسب ٠٠ ولكنى قلت لنفسى بعد ذلك : هذا غير معقول ٠٠ ان مستر ويلكس لايمكن أن يحضر على قارب صغير ٠٠ قادما من تلك المســافة البعيدة ٠٠ فهل أنت مستر ويلكس ٠٠ ؟!

فقال الملك وهو يحاول اســـتدراج الشـــاب القروى :

ـ لا للأسف ٠٠ أنــا اســـمى بلودجيت ٠٠ ألكسندر بلودجيت ٠٠ وانى آسف لمستر ويلكس الذى

لم يحضر فى الميعـــاد المناســـب ·· هل فاته شيء ياترى ·· ؟!

فقال الشاب القروى :

ـ لا ·· لم يفته الكثير ·· فنصيبه فى الميراث محفوظ ·· ولكن فاته أن يلحق أخاه بيتر ليراه قبل أن يموت ·· ان هذين الأخوين لم يريا بعضهما منذ أن كانا صبية صغارا ·· وكان لبيتر أخ ثان أصم وأبكم اسمه وليم ·· ولكن بيتر لم ير أخاه وليم طوال حياته ·· وكان هناك أخ ثالث اسمه جورج ·· كان يعيش مع أخيه بيتر هنا ·· وكان جورج هو الأخ الوحيـد الذى تزوج وأنجب ·· ولكنه مات وماتت زوجته أيضا فى السنة الماضية ·· والآن لم يبق من هؤلاء الاخوة الا اثنين هما هارفى الأخ الأكبر ووليـم الأخ الأصـــم الأبكم ·· ولكنهما للأسف لم يصلا فى الوقت المناسب لكى يريا أخاهما بيتر قبل أن يموت ··!

وتساءل الملك :

ـ ولكن ألم يرسل أحد فى طلبهما لكى يحضرا فى الوقت المناسب .. ؟!

واجاب الشاب :

ـ نعم .. منذ شهر أو شهرين .. وذلك عندما بدأ بيتر يشعر بالمرض .. طلب أن يرى أخويه هارفى ووليم قبل أن يموت .. وعلى أية حال فقد ترك بيتر خطابا الى أخيه هارفى .. قيل انه يخبره فيه بالمكان الذى خبأ فيه نقوده وثروته .. وأوصى فيه بتقسيم بقية أملاكه بطريقة تكفل حياة كريمة لبنات أخيه جورج الذى مات دون أن يترك لهن شيئا .

وتساءل الملك وهو يبدى اهتماما كبيرا بالموضوع :

ـ ولكن لماذا لم يحضر هارفى .. هل يعيش فى مكان بعيد .. وأين .. ؟!

فقال الشاب :

ــ أوه ·· انه يعيش فى انجلترا ·· فى شيفيلد ·· انه يلقى مواعظه هنــاك ·· وربمــا لم يصــله الخطاب ··

ــ وكم عدد بنات جورج··؟ وما هى أعمارهن··

ــ انهن ثلاث بنات ·· مارى جين فى التاسعه عشرة ·· وسوزان فى الخامسة عشرة ·· وجوانا فى حوالى الرابعة عشرة ·· !

ــ مسكينات ·· كيف يتركن هكذا وحيدات فى هذا العالم البارد ··؟!

ــ لن يصيبهن أذى ·· فلقد كان لبيتر أصدقاء كثيرون سيتولون أمر البنات ويرعونهن ·· هنــاك الواعظ هوبســـون ، ولوت هوفى ، وبن روكر ، وآبنر شاكلفورد ، وليفى بل المحامى ، والدكتـــور روبنسون الطبيب ·· بالاضافة الى زوجات كل هؤلاء ·· كما توجد هناك أيضا الأرملة بارتلى ·· وهنــاك

أيضا أصدقاء آخرون ٠٠ ولكن بيتر كان يفضل هؤلاء الأصدقاء الذين ذكرت لك أسماءهم عن أصدقائه الآخرين ٠٠ وقد ذكر بيتر أسماء هؤلاء الأصدقاء فى الخطاب الذى أرسله الى أخيه هارفى ٠٠ حتى يقابلهم عند حضوره من انجلترا ٠٠

وهكذا أخذ الملك يوجه المزيد والمزيد من الأسئلة الدقيقة الى الشاب القروى ، حتى أفرغ جعبة الشاب من كل ما فيها من معلومات ، وحتى تأكد من أن الشاب لم يعد لديه شيء يضيفه ٠٠

واخيرا قال الملك :

ـ ولكن قل لى ٠٠هل كان بيتر ويلكس غنيا ٠٠؟

فقال الشاب مؤكدا :

ـ غني جدا ٠٠ كانت لديه مجموعة من المنازل ٠٠ ومساحات من الأراضى ٠٠ ويعتقد الناس أنه قد

قام باخفاء ثلاثة آلاف أو اربعـــة آلاف من الدولارات الذهبية في مكان ما ..

ـ وهل سيشيعون جنازته غدا .. ؟!

ـ نعم .. حوالى الظهر .. !

وعندما وصلنا الى مرسى الباخرة النهرية كانت على أهبة الاستعداد لمغادرة المرسى الى المحطة التالية ، فلحق بها الشاب .. ولكننا لم نركبها .. وطلب منى الملك أن ارسو على الشاطىء .. ثم قال لى :

ـ والآن .. هيا أسرع باحضار الدوق الى هنا .. وقل له أن يحضر معـــه الحقائب الجديـدة التى اشتريناها .. وأن يرتدى ملابس جيدة ..

وعنـدما عدت ومعى الدوق .. أخبـره الملك بجميع تفاصيل الحديث الذى دار بينه وبين الشـاب القروى .. وفى فترة بعد الظهر ، وصلت باخـــرة نهرية أخرى فصعدنا اليهـا متوجهين الى القرية التى تقع فى المحطة القادمة ..

ووصلنا الى القرية ·· وعلى رصيف المرسى كان هناك نحو اثنى عشر رجــلا ·· فتقدم اليهــم الملك وسألهم :

ـ أيها السادة ·· هل يمكن أن يخبرنى أحدكم أين يعيش مستر بيتر ويلكس ·· ؟!

فقال احد هؤلاء الرجال :

ـ آسفين ·· لانستطيع أن نخبرك أين يعيش مستر بيتر ويلكس ·· وكل ما نستطيع أن نخبرك به، هو أين كان يعيش بالأمس ·· !

وعلى الفور ارتمى الوغد العجوز على صدر هذا الرجل ، وأسند رأسه على كتف الرجل ·· وبدأ فى البكاء والنواح ·· وقال وهو يئن :

ـ خلاص ·· هل انتهى كل شىء ·· قبل أن أحضر فى الوقت المناسب ·· كنت أريد أن أراه قبل أن يموت ·· ان هذا أمر صعب ·· صعب جدا ··

والتفت الملك الى الدوق وأخذ يبكى ويعمـــل حركات واشارات بيديه وأصابعه حتى يفهـم الناس ان الدوق هو الأخ وليم الأخرس الأصم ·· وبعد أن انتهى الملك من عمل هذه الحركات والاشارات انخرط الدوق فورا فى البـكاء ·· وبدأ الناس يواسونهمـا ويطيبون خاطرهما ·· بل وحملوا حقائبهما واتجهوا جميعا الى بيت المتوفى بيتر ويلكس الذى يقع عند سفح التل ··

وعندما وصلنا الى البيت ، تجمع ناس كثيرون·· كما خرجت البنات الثلاث الى الباب ليستقبلن عميهـا الغائبين وهن فرحات بهذا اللقاء ·· بل كان النـاس فرحين أيضا بالتئام شمل هذه الأسرة أخيرا على هذا النحو السعيد ··

وعندئذ قام الملك بالقاء خطبة فى هذا الجمع من الناس ·· ملأها بالتأوهات والدموع ·· والحزن الشديد لأنهما لم يحضرا فى الوقت المناســب لرؤية أخيهما قبل أن يموت ·· وذلك بعد أن قطعا رحـلة

طويلة تقدر بأربعة آلاف من الأميـال .. قادمين من انجلترا الى هنا .. !!

وقال الملك انه يسره هو وبنـات أخيه جورج أن يوجه الدعوة الى العشاء هذه الليلة لبعض الأصدقاء الذين ذكرهم المرحوم بيتر فى خطابه ، وهم على وجه التحديد : مستر هوبســون ، ولوت هوفى ، ومســتر بن روكر ، وآبنر شاكلفورد ، وليفى بل ، ودكتــور روبنســون ، وجميع زوجاتهــم ، وكذلك الأرملة بارتلى .. !

وكان الواعظ هوبســون ، وكذلك الدكتــور روبنسون غير موجودين فى هذا الجمع لارتباطهمـــا ببعض الأعمال فى المدينة .. كذلك لم يكن ليفى بل المحامى موجودا .. أما بقية الأصدقاء الذين أشــ اليهم الملك فقد كانوا كلهم موجودين وسمعوا الدعوة بأنفسـهم .. وتقدموا جميعا وأخذوا يشدون على أيدى الملك وأيدى الدوق .. !

وبعد ذلك أخذ الملك يوجه أســئلة دقيقة عن

أحوال وموضوعات معينة تدل على أنه على دراية تامة بهذه الأحوال والموضوعات التى كان أخوه بيتر يبلغه بها فى خطـــاباته ٠٠ وبطبيعة الحال فقد كان الملك يكذب ويدلس على هؤلاء الناس ٠٠ لأنه عرف كل هذه المعلومات من الشاب القروى الأهبـــل المحب للكلام والذى زوده بكل هذه التفاصيل ٠٠!

وقامت مارى جين ـ وكانت جميلة جـدا وذات وجه صبوح ـ باحضار الخطاب المغلق الذى تركه عمها المرحوم بيتر الى عمهـا هارفى ٠٠ وقام الملك بفض الخطاب وأخذ يقرأ محتوياته بصوت مرتفع يســمعه الجميع ٠٠

لقـد أوصى المرحـوم بـأن يعطى البيت ومبـلغ ثلاثة آلاف من الدولارات الى البنات الثلاث ٠٠ كمـا أوصى بأن تؤول طاحونة الدقيق ـ وهى عمل يدر كثيرا من الربح ـ وبقية البيوت الأخرى والأراضى (وتبلغ قيمتها نحو سبعة آلاف من الدولارات) بالاضافة الى مبلغ آخر قدره ثلاثة آلاف من الدولارات الى أخويه

هارفى ووليم ٠٠ وذكر المرحوم فى خطابه أيضا أين أخفى دولاراته الذهبية الستة آلاف ٠٠ لقد أخفاها فى غرفة الخزين ٠٠ !

وهكذا ذهب الوغدان الى غرفة الخزين ليبحثا عن الدولارات ، وطلبا منى أن أصحبهما وأنا أحمل شمعة مضاءة ٠٠

وعندما عثرا على الحقيبة ، فتحاها على الفور ، وأفرغا ما فيها من دولارات ذهبية على الأرض فى كومة صفراء براقة ٠٠ وأخذا يحصيان الدولارات الذهبية ويعدانها عدا ٠٠ ولكن الدولارات لم تكن ستة آلاف بالضبط ٠٠ كانت ناقصة أربعمائة وخمسة عشر دولارا ٠٠ !

وقال الملك وهو يشعر بالحيرة :

ـ اننا نريد ان نعد هذه الدولارات أمام الجميع ٠٠ حتى لا يكون هناك أى شك أو ريبة ٠٠ ومادام المرحوم قال انه ترك فى الحقيبة سته آلاف ٠٠ فلابد أن نعدها ستة آلاف أمام الجميع ٠٠

وعندئذ قال الدوق :

ـ لا تضيع الوقت .. فلنستكمل المبلغ الناقص من نقودنا ..

وقال الملك فرحا :

ـ هكذا فكرة جيدة ..

وأخذ كل من الملك والدوق يخرج ما فى جيوبه من نقود حتى لم يعد لدى أى منهما دولار واحد .. واكتمـل أخـيرا مبلغ السـتة آلاف من الدولارات الذهبية .. !

وحملنـا الحقيبة وصعدنا بها .. **ولكن الدوق قال للملك :**

ـ لدى فكرة أخرى .. فبعد أن نعد الدولارات أمام الجميع .. نعلن أننا تنازلنا عن نصيبنا من هذه الدولارات الى البنات .. ونعطيهن الحقيبة بأكملها .. !

وعندئذ صاح الملك :

ـ يالها من فكرة رائعة ‥ !

وعندما وصلنا الى الطابق العلوى ‥ كان الجميع قد تجمعوا حول المائدة ‥ وأفرغ الملك الحقيبة ‥ وبدأ يعـــد الدولارات الذهبية أمـــام الجميع دولارا دولارا ‥ ستة آلاف بالتمام والكمال ‥ وبدأ الملك يزهو بنفسه وهو يســتعد لالقـــاء خطبة أخرى ‥

وقال :

ـ والآن ‥ أيها الأصدقاء جميعا ‥ لقد كان اخونا المسكين طيبا ورحيم القلب وعطوفا على بنـــات اخيه فاوصى باعطـــائهن ثلاثة آلاف فقط من هـــذه الدولارات ‥ لأنه لم ينس أخويه هارفى ووليم ‥ ولكن ها نحن نعلن أمامكم جميعـــا أننـــا تنازلنا عن نصيبنا من هذه الدولارات الى بنات أخينا الصغيرات الوديعات ‥ والآن ‥ تقدمى يا مارى جين ‥ وأنت يا سوزان ‥ وانت يا جوانا ‥ خذن جميع الدولارات ‥ خذن النقود كلها ‥

فصاحت البنات متهللات :

ـ يا عمنا الحبيب ·· هذا كرم عظيم ·· هذا شيء جميل ·· !

وهنا قام أحد الرجال وأخذ يضحك ساخرا فى وجه الملك ·· وكانت صدمة شديدة حلت بالجميع ·· **فتقدم آبنر شاكلفورد الى هذا الرجل وساله فى دهشة :**

ـ لماذا تفعل ذلك يا دكتور روبنسون ·· ألم تعرف بعد أن هذا الرجل هو هارفي ويلكس ·· ؟!

وهنا ابتسم الملك ومد يده الى الدكتور مصافحا :

ـ أهلا بأعز أصدقاء أخى المرحوم ·· أهلا بك يا دكتور روبنسون ·· !

فقال الدكتور فى حزم :

ـ ابعد يدك عنى ·· هل أنت شقيق بيتر ويلكس ؟ ·· ما أنت سوى نصاب محتال !

وتعقدت الأمور ·· ولكن الناس تجمعوا حــول الدكتور ·· وأخذوا يقولون له ان هارفى ويلكس قد أثبت بأكثر من أربعين طريقة أنه هارفى ويلكس ·· ومع ذلك فقــد التفت الدكتــور الى البنات الثلاث وقال لهن :

ـ اطردن هذا الوغد المحتال فورا ·· أرجوكن ·· اطردنه الآن ··

وعنــدئذ قــالت مارى جين وهى تعطى حقيبة الدولارات الذهبية الى الملك :

ـ هذه هى اجابتى ·· خذ يا عمى هذه الدولارات الستة آلاف ·· واستثمرهم لصالحنا فى أى مشروع أو بأية طريقة تعجبك ·· !

وصفق جميع الحاضرين استحسانا لموقف مارى جين ·· ورفع الملك رأسه وابتسم وهو يشعر بالفخر والزهو ··

وعندئذ قال الدكتور يائسا :

ـ اذن سأرفع يدى عن هذا الموضوع وأكف عن التدخل فيه .. ولكن سيأتى وقت تندمون فيه جميعا على ما حدث فى هذا اليوم .. سترون بأنفسكم .. !

وخرج غاضبا .. !

الفصل الحادى عشر

الحقيبة المملوءة بالذهب !

وبعد أن انصرف المجتمعون .. سأل الملك مارى جين عما اذا كانت بالبيت حجرات اضافية تصلح لاقامته هو وأخيه .. فقالت مارى جين ان هناك بالفعل حجرة اضافية واحدة تصلح لاقامة العم وليم .. وأنها ستتنازل له عن حجرتها الخاصة ليقيم فيها على أن تنام هى فى حجرة أختيها ..

وفى الليل .. امتلأ البيت بالضيوف من الرجال والنساء الذى لبوا الدعوة للعشاء .. وقد أقيمت حفلة كبيرة .. وتناولت عشائى بالمطبخ ، وكانت البنات

وجميـــع من يعملون بالبيت يعطفون على ويكرموننى ويحاولون اشعارى بأنى فى بيتى

وعندما توجهت للنوم ·· كنت أشعر بالعـــار والخجل من نفسى ·· ولم أكن راضيا عن الجريمة التى يدبرها الملك والدوق ضـــد هؤلاء البنات الصغيرات المسكينات ·· لذلك فقد قلت لنفسى : يجب أن أسرق هذه النقود بأية طريقة ·· وأقوم باخفائهـا فى مكان ما ·· ثم أفر بالطوف الى مكان بعيد ·· وعندئذ أكتب خطابا الى مارى جين لأخبرها بالمكان الذى خبأت فيه النقود ·· !

وهكذا قمت من سريرى وتسللت الى حجرة الملك كنت أخطو بحذر على أطراف أصابعى ·· وكانت الحجرة مظلمة لأنى لم أحمل معى شمعة ·· وبعد فترة سمعت وقع خطوات قادمة · فاختبأت على الفور وراء الستارة التى تخفى ملابس مارى جين المعلقة فى تجويف بالحائط على شكل دولاب للملابس ·· وكتمت أنفاسى ..

•• ورأيت الملك والدوق وقد دخلا الى الحجرة وجلسا ينهامسان فى الظلام •• **قال الملك :**

ـ هاه •• ما هذا الذى تخشاه •• ؟

فقال الدوق :

ـ هذا الدكتور •• ما زلت أفكر فى الـــكلام الذى قاله هذا الدكتور •• لذلك فانى أعتقد أن من الأفضل أن نهرب فى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل •• ونسرع الى النهر ومعنـــا الحقيبـة المملوءة بالذهب •• !

فقال الملك مستنكرا :

ـ ماذا تقـــول •• هل نهرب ونترك ثمانية أو تسعة آلاف أخرى من الدولارات وهى قيمة الممتلكات التى تركها بيتر ويلكس •• هل نهرب ونترك كل هذه الثروة •• ؟!

وأخذ الوغدان يناقشان الموضوع من كافة جوانبه .. وقال الدوق انه ينصح بالاكتفاء بالحصول على النقود ، ولا داعى لكى يبقيا حتى يجردا البنات من كل ممتلكاتهن .. ولكن الملك أخذ يتكلم ويتكلم حتى أقنع الدوق بخطته .. واستسلم الدوق فى النهاية .. ولكنه قال معلقا :

ـ أعتقد اننا يجب أن نخفى النقود فى مكان مأمون لا تصل اليه يد ..

وقال الملك :

ـ هذا صحيح يا سعادة الدوق .. يجب أن نخفيها فى مكان مأمون ..

وقام الدوق وأخذ يتحرك على مسافة قريبة جدا من مخبئى خلف الستارة .. وقال انه يرى أن يخفيا الحقيبة داخل مرتبة محشوة بالقش كانت موجودة الى جانبى .. وقاما بالفعل باخفاء الحقيبة داخل المرتبة ..

وبمجرد ان خـرج الملك والدوق من الحجرة تقدمت الى المرتبـة وأخـرجت الحقيبـة وتوجهت الى حجرتى ٠٠ ورقدت على السرير ولكن بعد أن ارتديت كامل ملابسى ٠٠ وأخذت أنتظر ٠٠

وبعد فترة سمعت وقع خطوات الملك والدوق وهما يصعدان الى غرفتيهما ٠٠ وانتظرت بعض الوقت حتى تأكدت من أنهما قد استغرقا فى النوم ، وعندئذ تسللت خارجا من غرفتى ومعى الحقيبة ٠٠

وهبطت الدرج بحذر شـديد ٠٠ الى أن وصلت الى غرفة الطعام ٠٠ وكانت هناك شمعة مضاءة رأيت على نورها الرجال المكلفين بالسهر الى جوار التابوت الذى ترقد فيه جثة المتوفى ٠٠ لقد استغرق هـؤلاء الرجال فى نوم عميق وهم جالسون على الكراسى ٠٠ كما كانت هناك شمعة مضـاءة أخـرى فى الحجرة الأمامية ، حيث يوجد التابوت وغطاؤه نصف مفتوح ٠٠ وحاولت أن أفتح باب تلك الحجرة الذى يؤدى الى الخارج ولكنى لم أتمكن ٠٠ فقـد كان الباب مغلقـا بالمفتـاح ٠٠

وفجـــأة سمعت وقع خطوات تهبط الدرج ..
وأخذت أبحث بسرعة عن أى مكان أخفى فيه الحقيبة ،
ولكننى لم أجد سوى التابوت فأخفيتها فيه .. وأسرعت
بالاختباء خلف احدى الستائر ..

كانت مارى جين هى التى جاءت .. كانت تسير
بخطوات بطيئة نحو التابوت .. وتوقفت أمامه .
ونظرت بحزن الى وجه عمها الميت .. ثم ركعت على
ركبتيهـــا ، وأخرجت منديلهـــا ، وبدأت تبكى فى
صمت ..

وتسللت عائدا الى غرفتى .. ورقدت على السرير
أشعر باليأس والاحباط ، بسبب هذه الأحـداث
التى لم أكن أتوقعهـــا والتى أدت الى انهيـــار كل
خططى ..

وبقيت مستيقظا .. وحاولت اكثر من مرة أن
أهبط الدرج لآخذ الحقيبـة وأفر بها .. ولـــكن ذلك
أصـــبح ضربا من المستحيل .. فقد استيقظ بعض

الرجال المكلفين بحراسة التابوت .. وخشيت أن ينكشف كل شيء ..

وفى الصباح ، لاحظت أن الغرفة التى يوجد بها التابوت كانت مغلقة .. وظلت مغلقة الى أن انتصف النهار .. وعندئذ فتحت الغرفة .. وسمح للاصدقاء والمعزين بأن يدوروا ببطء حول التابوت لينظروا الى وجه الميت لتوديعه الوداع الأخير .. وقد استغرقت هذه العملية حوالى نصف ساعة .. وبعد ذلك قام بعض الرجال بتغطية التابوت وتثبيت غطائه بالمسامير ..

وساد جو حزين .. وقام الواعظ هوبسون بالقاء احدى مواعظه .. ثم قام الملك كالعادة بالقاء خطبة جوفاء تضمنت الكثير من الكلام الفارغ ..

وذهب الجميع الى ساحة المقابر .. وتم دفن بيتر ويلكس فى قبره .. وعدنا مرة أخرى الى البيت ..

وفى المساء ، أشار الملك الى أن أهله فى انجلترا سيقلقون عليه ·· وأنه يجب أن يبيع الممتلكات التى آلت اليه والى أخيه وليم لكى يسرعا بالعـــودة الى انجلترا ·· وقال الملك أيضا انه سيأخذ معه البنات ليعشن فى رعايته هناك ·· وقد فرحت البنات كثيرا لدى سماعهن بهــذا النبأ ·· وطلبن منــه أن يبيــع ممتلكاتهن أيضا قبل أن يسافرن معه الى انجلترا ··

لقد تألمت كثيرا لهذا المصير التعس الذى ستقع فيه هؤلاء البنــات الصغيرات ضحية لهـــذا الوغد المحتال ··

وأعلن الملك عن بيــع البيت والأرض وكـــافة الممتلكات الأخرى ·· وأن موعد البيع سيكون بعـــد يومين من تشييع الجنازة ·

وفى الصباح الباكر لليوم المحدد للبيع ، أيقظنى الملك والدوق ، وكانا فى غـــاية الاضـــطراب ··

وقال الملك :

ـ هل دخلت الى حجرتى ليلة أمس الأول ٠٠ ؟!
فقلت على الفور :

ـ لا ٠٠ يا صاحب الجلالة !

ـ اذن ٠٠ هل رأيت أحدا يدخل الى غرفتى فى تلك الليلة ٠٠ ؟!

وقلت لنفسى : ها هى فرصتى الذهبيـــة ٠٠ وادعيت انى أتذكر شيئا ٠٠ **وقلت بعد لحظة :**

ـ نعم ٠٠ أعتقد أنى رأيت بعض الخدم يدخلون الى الغرفة عدة مرات ٠٠

ـ اســتمر ٠٠ استمر ٠٠ ماذا فعــل هؤلاء الخدم ٠٠ ؟

ـ لا ادرى ٠٠ واعتقد انهم لم يفعلوا شيئا ٠٠ !

وعندئذ نظر الملك الى الدوق ونظـــر الدوق الى الملك ٠٠ وأخـذا يفـــكران ويهرشـان رأســيهما ٠٠
وفى النهاية قال الملك للدوق يائسا :

— ليس أمامنا سوى ان نبتلع هذه المصيبة ..
ولا نشير اليها بكلمة واحدة .. !

وانعقد البيع فى الميدان العام .. وبيعت الممتلكات واحدة وراء أخرى .. وأثناء بيع الصفقة الأخيرة ، وصلت احدى البواخر النهرية الى شاطئ القرية ، وحدث هرج ومرج ، وفى خلال دقيقتين جاء بعض الرجال يصرخون فى دهشة :

— لقد وصل أخوان آخران لبيتر ويلكس .. !!

الفصل الثاني عشر

المشكلة الكبرى ..

جاء بعض الناس ومعهم جنتلمان عجوز حسن المظهر ، ورجل آخر أصغر سنا وذراعه اليمنى مربوطة بالضمادات .. **وقال الجنتلمان العجوز :**

ـ أنا هارفى ويلكس .. شقيق بيتر .. وهذا أخي وليم .. انه أصم أبكم .. لقد صادفنا الكثير من سوء الحظ .. فقد كسرت ذراع أخي وليم .. كما أن حقائبنا قد أنزلت من الباخرة عن طريق الخطأ فى الليلة الماضية فى البلدة السابقة .. ويقولون انهم سيحضرونها الى هنا فيما بعد ..

وقهقه الملك وقال ساخرا !

ـ كسرت ذراعه .. هذا أمر محتمل .. وفقدوا حقائبهم .. شيء معقول .. شيء مقنع .. !

وضحك الملك فى سخرية .. كما ضحك بعض الحاضرين أيضا .. فيما عدا الدكتور روبنسون وليفى بل المحامى الذى عاد من ماموريته فى لويسفيل .. وصاح الدكتور قائلا :

ـ أيها الجيران الأصـــدقاء .. لا أدرى ان كان هذان القادمان الجديدان من المحتالين أم لا .. ولكنى على يقين بأن هدين المحتالين [واشار الى الملك والدوق] من النصابين .. من الواجب علينا أيها الأصدقـــاء ألا ندعهما يغادران هذا المكان الا بعد أن نقوم بالتحقيق فى هذا الموضوع .. فلنذهب الى الفندق .. ولنجعل هؤلاء الرجال يواجهون بعضهم وجها لوجه .. لابد أن تعرف الحقيقة .. !

ووافق الجميع على ذلك ، وذهبنا الى الفندق ..
واشار الدكتور الى الملك والدوق وقال :

ــ اذا لم يكن هــذان الرجلان من المحتالين .. فأعتقــد أنهما لا يمانعان فى احضــار الحقيبة المملوءة بالذهب الى هنا .. حتى نحتفظ بها الى أن يثبتا حقيقة أمرهما .. ما رأيكم .. هل توافقوننى على ذلك .. ؟

فوافق الجميع وأيدوا اقتراح الدكتور .. وكان على الملك والدوق أن يواجها هذا المأزق الصعب ..
وقال الملك فى حزن عميق :

ــ أيهــا الســادة .. عندما أعطتنى ابنة أخى مارى جين الحقيبة المملوءة بالذهب .. خفت عليهــا من الضياع أو السرقة .. فأخفيتها بداخل مرتبــة محشوة بالقش بداخل غرفتى .. لأنى لم أكن مقتنعا بوضعها فى البنك لأيام قليلة .. ولكن الخدم سرقوا الحقيبة فى صباح اليوم التالى ..

وبطبيعة الحال فلم يصدق أحد هذا الكلام ..

وصاح الدكتور كما صاح الكثير من الرجال :

ـ كلام فارغ .. كلام فارغ .. !

وبعد ذلك بدأ تحقيق عام .. وطلبوا من الملك أن يحكي قصته كما طلبوا من الجنتلمان العجوز أن يحكي قصته أيضـــا .. وكان من الواضح تماما أن الجنتلمان العجوز يقول الصدق بينما الآخـــر يقــول أكاذيب لا أحد يصدقها .. !

وقال الدكتور روبنسون مخاطبا أحد الرجـــال المجتمعين :

ـ لو كنت حاضرا منذ البداية يا ليفى بل لما ...

وهنا قاطعه الملك صائحا :

ـ ها أنت أخيرا يا مستر ليفى بل .. المحامى الذى كان صديقا عزيزا لأخى بيتر .. لقد أرسل الى أخى بعض الخطابات التى كان يحدثنى فيها عنك

ومد الملك يده الى المحامى وصافحه بحـرارة ..
وأسر اليه ببعض الكلمـات بصـوت منخفض ..

فقال المحامي على الفور :

– هذه طريقة معقولة وسأجربها لأنها ستكشف حقيقة الأمر .. وتعتبر دليلا قاطعا ..

وطلب المحامى احضار قلم وبعض الأوراق البيضاء .. وقام الملك بكتـابة بعض الكلمات .. ثم أعطى القلم للدوق وأفهمه بأن يكتب كلمـات اخـرى ..
والتفت المحامي الي الجنتلمان العجوز وقال :

– هل يمكن أن تكتب لنا بعض الكلمات على هذه الورقة .. ؟

فقام الجنتلمان العجوز بكتابة بعض كلمات لـم يستطع أحد أن يقرأها .. واندهش المحامي عندمـا رأى الورقة وحاول أن يقرأ الكلمات المكتوبة عليها ..

وأخرج المحامى من جيبه بعض الأوراق القديمة وقال للناس :

ـ هذه هى بعض الخطابات التى كان هارفى ويلكس قد أرسلها الى أخيه بيتر .. وسأقارن الخط الذى كتبت به هذه الخطابات بالخطوط التى كتبها كل واحد من هؤلاء الرجال .. لأرى أى الخطوط هو الصحيحة ..

واستراح الجميع لهذه الفكرة السديدة وامسك المحامى أولا بالورقة التى كتبها الملك والدوق .. وقال المحامى بعد ان قارن الخطوط ببعضها :

ـ ان أى واحد منا يستطيع ان يدرك على الفور أن هذه الخطوط لا تتطابق مع الخط الذى كتبت به الرسائل .. !

وبدا كل من الملك والدوق فى غاية الحرج والارتباك بعد أن كشف المحامى أمرهما .. وقام

المحامى بعد ذلك بمضاهاة خط الجنتلمان العجوز بخط الرسائل ، **وقال على الفور :**

ـ من الواضح أيضا ان خط هذا الجنتلمان غير مطابق لخط الرسائل ٠٠ بل ان هذا النبش الذى خطه الجنتلمان ليس كتابة على الاطلاق ٠٠ !

واندهش الجميع لهذه النتيجة غير المتوقعة **ولكن الجنتلمان العجوز قال بسرعة :**

ـ من فضلك دعنى اشرح لك الأمر ٠٠ ان أحدا لا يستطيع قراءة خطى ٠٠ ولكن أخى بيتر كان قادرا على ذلك ٠٠ وكان ينسخ رسائلى بخط يده هو حتى تصبح مقروءة ومفهومة ٠٠ اذن فهذه الرسائل التى معك ليست مكتوبة بخطى أنا ٠٠ وانما هى مكتوبة بخط أخى ٠٠ !

وعندئذ نظر المحامى الى الرسائل التى فى يده مرة أخرى ، **وقال مترددا :**

ـ ربما كان هذا صحيحا ·· وسنحاول معرفة هذا الأمر بطريقة اخرى ·· ولكن هناك نتيجة مؤكدة خرجنا بهـــا من هـــذه التجربة ·· [ونظر الى الملك والدوق وأشار اليهما] ·· ان هذين الرجلين ليســا أخوين لبيتر ويلكس !

ومع ذلك فان الملك لم يستسلم لهذه النتيجــة الواضحة ، بل احتج قائلا بأن هذا الامتحان لم يكن عادلا ·· **وعندئذ قال الجنتلمان العجوز :**

ـ لدى فكرة جديدة ·· هل يوجد أحد هنـــا من الرجال الذين جهزوا جثة أخى بيتر للدفن ··

وهنا تقدم أحد الرجال وقال :

ـ نعم ·· لقد قمت أنا وآب تيرنر بذلك ··

وأشار الجنتلمان العجوز الى الملك وقال :

ـ ربما يستطيع هذا الرجل أن يقول لنا ما هى العلامة التى كانت موجودة على صدر أخى ·· ؟!

شحب لون وجه الملك .. وظـــل صامتا لفترة قصيرة .. وكل النـــاس تحملق فى وجهـــه بعيون فاحصة .. وقلت لنفسى : لقد أسقط فى يده .. ولابد أنه سيستسلم الآن فورا .. ومع ذلك فلم يستسلم الملك .. **وقال وهو يتظاهر بانه كان يتذكر :**

ـ نعم يا سيدى .. أســـتطيع أن أخبرك بهذه العلامة .. لقد كانت عبارة عن سهم صغير مطبـوع باللون الأزرق .. سهم صغير جدا .. اذا لم تدقق فيه النظر ، فلن تستطيع أن تراه .. !!

وقلت لنفسى : يبدو أن أحدا لن يستطيـع أن يهزم هذا الوغد العجوز الماكر الذى لا يخجل من نفسه أبدا ..

وهنا تقدم الجنتلمان العجوز من آب تيرنر وشريكه **وقال لهما :**

ـ لقد سمعتما ما قاله هذا الرجـل .. فهـل كانت هذه العلامة مطبوعة على صدر أخى .. ؟!

فقال الرجلان معا :

ـ لا .. لم نر مثل هذه العلامة .. !

وقال لهما الجنتلمان العجوز :

ـ عظيم .. انكما لم تريا هذه العلامة التى قال بها هذا الرجل .. وما رأيتماه حقا هو حرفي «ب و» و » .. وهما الحرفان الأولان من اسمه « بيسر ويلكس » .. وكان الحرفان مطبوعين بخط صغير جد على صدر أخي .. وكانت بين الحرفين شرطة صغير تفصلهما هكذا .. [وكتب « ب ـ و »] .. وبالتأكيد فقد رأيتما هذين الحرفين .. أليس كذلك .. ؟!

فقال الرجلان على الفور :

ـ لا .. لم نر على صدره أية علامة أو حروف على الاطلاق .. !!

وساد الوجوم على جميع الناس .. **وبدأ بعضهم يقولون صائحين :**

ـ كلهم عصابة من المحتالين النصابين ·· لابد أن نغرقهم فى النهر ·· !!

ولكن المحامى صاح قائلا :

ـ أيها السادة ·· أيهـــا السادة ·· بقى شىء واحد علينا أن نعمله أولا ·· فلنذهب الى قبر بيتر ويلكس ·· ونخرج جثته ·· لنرى ما هى العلامـــه المطبوعة على صدره ·· أو ربما لن نجد اية علامة · وعندئذ نقرر أمرنا ··

وصاح الجميع :

ـ تمام ·· هذا هو الحل ·· !

صدقونى ·· لقد شـعرت بخوف شــديد · لقد أمسكونا جميعا ·· وأحاطوا بنا من كل جانب ·· وأخذوا يتصرفون نحونا مثل القطط المتوحشة ·· !

وقد ازداد خوفى أكثر وأكثر ·· عندما بدأت السماء الملبدة بالغيوم والسحب تبرق وترعد ·· وبدأ

الظلام الا من ومضات البرق ٠٠ كما بدات الريح تهب وتهز أوراق الشجر بعنف ٠٠

وساقونا الى ساحة المقابر ٠٠ وأنا أشعر بأن هذه المشكلة هي أصعب وأخطر موقف صادفته في حياتي ٠٠ فلم يكن يفصل بيني وبين الموت مشنوقا الا هذه العلامات على صدر الميت ٠٠ هذا ان كانت هناك علامات على وجه الاطلاق ٠٠

وعندما اشتد الظلام ٠٠ أصبحت هناك فرصة سانحة لفراري ٠٠ ولكن كيف أهرب في الوقت الذي يقبض فيه على معصمي بشدة رجل قوي اسمه هاينز ٠٠

وتجمع الجميع عند القبر ٠٠ وكان معهم أكثر من مائة جاروف ، ولكن لم يكن معهم مصباح واحد ٠٠ وأرسلو رجلا منهم ليقترض مصباحا من أي مكان قريب ٠ ومع ذلك فقد بدأوا يحفرون على ضوء البرق الذي يومض بين حين وآخر على صفحة السماء ٠

وساد المكان كله نوع من الجنون الذى يرهـــق الأعصاب ٠٠ فقد اشتد الظلام أكثر وأكثر ٠٠ ونشطت المعاول والجواريف وهى تحفر وتحفر ٠٠ وانهمر المطر كالسيل ٠٠ واشتد وميض البرق ٠٠ وارتفع صوت الرعد ٠ وفى لحظة واحدة ٠٠ كنت تستطيع أن ترى كل هذا الجمع من الناس الذين يقومون بهذه العملية الرهيبة ٠٠ وفى اللحظة التالية حين لا تبرق السماء ، يصبح الظلام دامســا فلا تستطيع أن ترى شيئا على الاطلاق ٠٠ !

وأخيرا ٠٠ أخرج الرجال التـــابوت من القبر وفكوا غطاءه ٠٠ وفى لمح البصر صاح احدهم :

ـ يا للســـماء ٠٠ ان على صدره حقيبة مملوءة بالذهب ٠٠ !!

وفى تلك اللحظة ، ترك هاينز معصمى ٠٠ وقفز الى التابوت ليلقى نظرة على هذه المفاجأة التى أذهلت الجميع ٠٠ وفى نفس اللحظة انطلقت هاربـا بأقصى سرعة ٠٠ وفى أول ومضة برق تالية شاهدت قاربـا

صغيرا قرب الشاطىء ، فقفزت اليه وبدأت أجدف نحو الطوف ٠٠ !

ولم أصدق أنى نجوت الا بعد أن اعتليت ظهر الطوف ، وناديت على جيم بسرعة :

ـ هيا يا جيم ٠٠ لقد تخلصنا منهما أخيرا ٠٠ فلننطلق بالطوف بأقصى سرعة ٠٠ !

وخرج جيم من مخبأه ٠٠ وهو يمد الى ذراعيه ليعبر عن سروره بعودتى ٠٠ ولكنى عندما رأيته على ضوء البرق صدمت ، وكاد قلبى أن يتوقف عن الخفقان فى صدرى ، وانكفأت مذعورا على ظهرى ٠٠ لقد نسيت أن جيم كان متنكرا فى ملابس « الملك لير » ٠٠ وانه كان مدهونا باللون الأزرق القاتم مثل لون الغرقى ٠٠ لقد كان منظره مرعبا ٠٠ !

والتقطنى جيم من الماء حيث سقطت ٠٠ وأبدى سروره بعودتى سالما ٠٠ وبتخلصنا من الملك والدوق ٠٠ وقلت أستحثه مرة أخرى :



أفزعنى منظر جيم فسقطت فى النهر !

ـ ليس الآن وقت الكلام ·· سأحكى لك كل شيء فيما بعد ·· اما الآن فعلينا أن ننطلق ··

وفى أقل من ثانيتين ، بدأ الطوف يسبح فوق سطح النهر ·· ولكن بعد فترة قصيرة سمعت صوتا أعرفه جيدا ·· وعلى وميض البرق شـــاهدت الملك والدوق يركبان قاربا ويجدفان نحونا ·· وما أن اعتليا ظهر الطوف ، حتى تقدم الملك وأمسكنى من ياقة معطفى وأخذ يهزنى بشدة ويقول :

ـ تريد أن تفلت بجلدك وتدعنا نواجه هـــذه المحنة وحدنا ·· أيها القرد !

وقلت على الفور :

ـ أبدا يا صاحب الجلالة ·· أبدا !

ـ اذن ما الذى دفعك الى الهرب وتتركنا ·· قل والا أخرجت روحك من بدنك ·· !

وهنا قال الدوق :

ــ دع الصبى فى حاله .. انك لم تبحث عنه لتأخذه عندما أتيحت لك فرصـــة الهرب .. فلماذا تطلب منه أن يفعل شيئا أنت نفسك لم تفعله .. ؟!

وتــرك الملك ياقة معطفى .. وأخـذ يلعن تلك القرية وأهلها وكل شىء فيها .. **ولكن الدوق قال له فى غيظ :**

ــ من الأفضل أن تلعن نفســك أولا .. فأنت الملوم منذ البداية .. وكل تصرفاتك وأفكارك كانت سيئة وغير معقولة .. انك لم تفعل شيئا يستحق الثناء ســـوى فكرة السهم الأزرق الذى ادعيت أنه مطبوع على صدر الميت .. فهذه الفكرة هى التى أنقذتنا .. فلولاها لما ذهبوا بنا الى ساحة المقابر .. ولما عثروا على حقيبة الذهب التى أذهلتهـــم وخلبت لبهـم .. فاســتطعنا أن نفر هاربين فى تلك اللحظــة .. لقد كانوا سيشنقوننا حتما .. !

وانقضت فترة شرب فيها الملك والدوق زجاجة كاملة من الخمـــر .. ثم بدا ينعســـان .. وسرعان ما استغرقا فى نوم عميق ..

وعندئذ حكيت لجيم كل شىء .. !

الفصل الثالث عشر

أين جيم ..؟!

وظللنا سابحين بالطوف عدة أيام متوالية .. وهكذا أخذنا نقترب من المناطق الجنوبية ذات الجو الحار .. وأصبحنا بعيدين تماما عن موطننا الأصلى .. ولم نكن نجسر على الرسو فى احدى القرى أو المدن الصغيرة التى كنا نمر عليها ..

ولكن بعد أن أصبح المحتالان يشعران بأنهما بعيدان تماما عن خطر الملاحقة .. بدآ يدبران بعض الحيل ليستخدماها فى خداع أهالى القرى مرة أخرى ..

قاما فى احدى القرى بالقــاء الخطب والمواعظ عن أضرار شرب الخمر ·· وفى قرية أخرى ادعبــا أنهما مدرسان للرقص ومستعدان لتدريب الأهالى على قواعد الرقص ·· ولكن معلوماتهما عن الرقص لم تكن تزيد عن معلومات أى حمار ، واكتشف الأهالى أمرهمـــا فطردوهما من القرية ··

وفى قرية ثالثة ادعيا قدرتهما على ممارسة الطب وعلاج الجروح والأمراض ·· ثم ادعيا أنهمـــا قادران على رؤية البخت والطالع ·· وهكذا حاولا خداع الناس بكل حيلة وضيعة ·· ولكن صادفهما الكثير من سوء الحظ ولم يكسبا شيئا ·· وفى النهاية استلقيا على ظهر الطوف مفلسين تماما ·· لا يفعلان أى شيء ســـوى التفكير فى خدعة أو طريقة جـديدة للاحتيــال على الناس ··

وفى صباح أحد الأيام رسونا بالطوف على بعد نحو ميلين من قرية اسمها بايكسفيل ·· وقال لنــا الملك انه سيذهب الى تلك القرية ليرى ما اذا كان أهلها

قد سمعوا بحكاية « التحفة الملكيــه المنقطعة النظير » أم لا ·· وطلب منــا الملك أن نظل مختبئين فى هذا المكان حتى يعود الينا قرب الظهر ·· وقال لنا اذا لم يعد حتى الظهر فيجب أن نذهب الى القــرية للبحث عنــه ··

ولقد سررت كثيرا عندما جاء وقت الظهر ولم يظهر للملك أى أثر ·· فسوف أتمتع ببعض التغيير على الأقل ·· وهكذا ذهبت أنا والدوق الى الـ[illegible] لنبحث عن الملك ··

وهناك عثرنا عليه ، وكان سكرانا [illegible] اما لدرجة أنه لم يعد يستطيع أن يمشى أو يتحرك ·· وأخذ الدوق يسبه ويلعنه ·· فرد الملك بالمثل ··

وانتهزت فرصة الشجار الذى نشب بينهما ·· فانطلقت أجرى كالغزال الهارب بعد أن اســتعدت حريتى وتخلصت من هذين الوغدين ·· وأخيرا وصلت الى الطوف وقد تقطعت أنفاسى ، وصحت لاهثا :

ـ هيا يا جيم ·· لقد استعدنا حريتنا أخيرا ··!

ولكنى لم أسمع ردا ٠٠ لقد اختفى جيم ٠٠ لم يعد له أى أثر ! ٠٠ فأخذت أجرى هنا وهناك وفى كل مكان فى الغابة القريبة من الشـــاطىء ٠٠ وظللت أنادى وأنـــادى ٠٠ ولكن بلا فائدة ٠٠ لقـــد اختفى صـــديقى العجوز ٠٠ وجلست على الأرض وأخذت أبكى ٠٠ !

ولم أطق أن أظل هكذا عاجزا عن عمل اى شىء ٠٠ فأخذت أفكر فى كيفية مواجهة تلك المصيبة ، وقابلت صبيا فسألته إذا كان قد شاهد زنجيا غريبا عن هذه المنطقة ، يرتدى كذا وكذا ٠٠ فقال الصبى .

ـ نعم ٠٠ انه الآن فى بيت سيلاس فلبس الذى يبعد نحو ميلين من هنا ٠٠ ان هذا الزنجى عبد هارب ٠٠ وقد قبضوا عليه ٠ وهناك جائزة قدرها مائتى دولار لمن يقوم بتسليمه ٠٠

فسألت الصبى :

ـ ولكن كيف قبضوا عليه ٠٠ ؟

ـ آه ‥ لقد جـاء رجـل عجوز غريب عن هذه المنطقة ‥ وقال انه يعرف مكان هذا العبد الهارب ‥ ومستعد لبيع هذه الفرصـة فى مقابل أربعين دولارا فقط لأنه مستعجل وليس لديه وقت لتسـليم العبد لأصحابه فى المنطقة التى هرب منها ‥ !

وعدت الى الطوف وقد أوشك قلبى أن يتحطم ‥ فبعد كل هذه الرحلة الطويله ‥ وبعد كل مافعلناه من أجل هذين الوعدين ‥ ينتهى كل شيء هكذا ‥ ويبيعانه الى هؤلاء الغرباء مقابل أربعين دولارا ‥ ؟!

وتوالت على ذهنى كل الذكريـات التى عشنها مع جيم طوال هذه الرحلة الطويلة الحافلة بالأحداث‥ تذكرته حينما كان أمامى ومعى طوال النهار والليل‥ حين كنا نتمتع بضوء القمر ‥ وحين كانت تهب علينا العواصف ‥ وحين كان طوفنا ينزلق سـابحا فوق سـطح النهر بكل نعومة ‥ نعومة ‥ ونحن نتحدث ونغنى ونضحك ‥

تذكرته حين كان يواصـل العمل بعد أن تنتهى

نوبته حتى لا يوقظنى ٠٠ وتذكرته حين كان يفــرح بعودتى بعد كل مرة أتغيب فيها عن الطوف ٠٠ وعندما عدت اليه مرة أخـــرى بعد حكاية الثأر ٠٠ تذكرته وهو يحنو على دائمـا ويطيب خاطرى ٠٠ وحين كان يدعونى دائما بصديقه العزيز ٠٠ وحين كان يفعل كل شىء وأى شىء فى سبيل راحتى وسعادتى ٠٠

وتذكرت حين أنقذته مرة وادعيت أنه أبى وانه مصاب بمرض معد خطير فأفلت بذلك من القبض عليه وأخذ يشكرنى على هذا الجميل ، ويقــول لى اننى خير صديق له فى هذا العالم ٠٠!

وهكذا توالت على ذهنى الأفكار والذكريات . ولكنى قلت لنفسى فى النهاية : لابد أن أعود الى عالم الجريمة مرة أخرى ٠٠ وأول جريمة سأرتكبهـا هى سرقة جيم من الرجل الذى يقبض الآن عليه ٠٠!

ودبرت أمرى ووضعت خطة ٠٠

وعندما حل الظــلام أقلعت بالطوف الى جزيرة بوسط النهر تغطيها الغابات ٠٠ وهنــاك نمت

قبيل طلوع الفجر ‥ وتناولت افطارى ‥ وارتديت ملابسى ‥ ووضعت بعض الأشياء فى صرة ‥ وركبت القارب ، وأخذت أجدف نحو المكان الذى أعتقد أنه المكان المسمى فيلب ‥ وهناك أخفيت الصرة فى الغابة ، وملأت القارب بالصخور حتى اختفى تحت سطح الماء ‥

وعندما وصلت الى أول الطريق ، رأيت لافتة مكتوب عليها « ورشة فلبس لنشر الأخشاب » ‥ فعرفت أنى فى الطريق الى المكان الصحيح ‥ وواصلت السير ‥ وكان الدوق هو أول شخص صادفته فى تلك المدينة الصغيرة ‥ كان يقوم بتعليق اعلان عن «التحفة الملكية المنقطعة النظير » وعرضها لمدة ثلاث ليال فقط ‥

اندهش الدوق حين رآنى وقال :

ــ هالو ‥ من أين أنت قادم ‥ وأين الطوف‥ هل هو مخبأ فى مكان مأمون ‥ ؟!!

وقلت له على الفور :

ـ هذا بالضبط ماكنت أنوى أن أسـألك عـه يا صاحب السعادة !

فقال وهو يبدى مزيدا من الدهشة :

ـ ماذا تقصد بأنك كنت تريد أن تسألنى ..؟

قلت له :

ـ عندما رأيت الملك سـكرانا بالأمس .. قلت لنفسى انه لن يفيق الا بعد ساعات نستطيع بعدها أن نصحبه الى الطوف .. وانتهزت الفرصة لأقضى بعض الوقت فى هذه المدينـة الصغيرة .. وبعد أن حل الظلام .. ذهبت الى حيث كان يرسو الطوف .. ولكنى لم أجده .. وقلت لنفسى لعلهم قد صـادفوا بعض المتاعب فاضطروا الى الرحيل .. وتركونى .. وجلست على الأرض وأنا أبكى .. ونمت فى الغابة طول الليل .. وهأنذا أخيرا أجدك أمامى يا صاحب السعادة .. فأين الطوف .. وأين صديقى جيم المسكين .. ؟!

وقال الدوق :

ـ لا أدرى أين ذهب الطوف ٠٠ فبالأمس عدت مع العجوز الغبى الى حيث كان يوجد الطوف ولكننا لم نعثر عليه ٠٠ لقد اختفى ٠٠ وقلنا لأنفسنا ان هذا الوغد الصغير قد استولى على طوفنا وهرب به ٠٠

ـ ولكن ياسيدى الدوق ٠٠ هل يمكننى أن أهرب دون أن يكون معى صديقى جيم ٠٠ ؟!

ـ لا أدرى ٠٠ ولكن هل تعتقد أن جيم سيفشى سرنا للناس ٠٠ لو فعل ذلك فسوف نسلخ جلده ٠٠

ـ وكيف يفشى سركما ٠٠ ألم يهرب منكما ٠٠؟!

ـ لا ٠٠ لم يهرب ٠٠ ولكن العجوز الغبى باعه بمبلغ من النقود أنفقه كله ٠٠

فقلت وأنا أبكى بحرقة :

ـ باعه ؟! ٠٠ أين ٠٠ أين جيم ٠٠ أين هو الآن ٠٠ أريد أن أراه ٠٠ أريد أن أراه ٠٠ !

ـ انك لن تستطيع أن تصل اليه ٠٠ وسوف نبقى هنا لمدة ثلاثة أيام ٠٠ واذا وعدتنى بأنك لن تفشى سرنا لأهالى هذه البلدة ٠٠ وبأنك ستقنع جيم بألا يفشى سرنا أيضا ٠٠ فانى سأخبرك بمكانه ٠٠

ـ أعدك بذلك ٠٠ !

ـ انه الآن فى حوزة مزارع فلاح اسمه ابراهام فوستر ٠٠ يعيش فى الريف فى مكان يبعد عن هنا بنحو أربعين ميلا ٠٠ على الطريق المؤدية الى لافاييت !

وطبعا كنت أعرف أنه يكذب ٠٠ كان يريد أن يبعدنى عن هذه البلدة على الأقل لمدة الأيام الثلاثة التى سيعرضون فيها « التحفة الملكية » ٠٠ ومع هذا فقد تظاهرت بأننى صدقته ٠٠ وقلت له :

ـ اذن ٠٠ ساسافر اليه الآن ٠٠ !

ومشيت فى الطريق لمسافة تقرب من ميل ٠٠ ولكننى قفلت عائـدا نحـو الطريق المؤدية الى بيت فلبس !

الفصل الرابع عشر

وصول توم وأخيه سيد

وعندما وصـــلت الى هناك ، كان المـكان هادئا ساكنا ويبدو كما لو كان فى يوم عطلة • فقد ذهب العمال جميعهم الى الحقول • وتسلقت السور وأخذت طريقى نحو المطبخ •• وكنت سعيد الحظ لأنى وجدت الكلمات المناسبة فى الوقت المناسب •

اقبلت نحو امرأة فى حوالى الخامسة والأربعين من عمرها ، ويجرى خلفها مجموعة من الأطفال الصغار •• واستقبلتنى المرأة بابتسامة عريضة وهى تقول :

ـ هل وصلت أخيرا .. !!

وتقدمت نحوى واحتضنتنى بعطف زائد وهى تقول :

ـ انك لاتشبه أمك كما كنت أظن .. ولكن هذا لا يهم .. فأنا مسرورة لرؤيتك .. تعالوا يا أولاد واستقبلوا معى ابن خالتكم نوم .. قولوا له مرحبا .. !!

ولكن الأطفال وضعوا أصابعهم فى أفواههم ، واختبأوا خلف أمهم .. وسحبتنى المرأة من يدى ، واتجهت بى نحو البيت .. وسار الأطفال خلفنا .. وعندما أصبحنا بداخل البيت ، أجلستنى على مقعد مريح وجلست أمامى على المقعد المقابل وهى لم تزل تمسك بيدى الاثنتين .

واصلت حديثها الغامض :

ـ الآن فقط أستطيع أن أنظر إليك وأتفحصك بدقة .. ما الذى أخرك .. لقد كنا ننتظرك و[illegible] ولكنك تأخرت .. هل حدث شىء للسفينة التى قدمت عليها .. ؟!

فقلت مترددا :

ـ نعم ·· حصل عطل بالآلات ياسيدتى !

فقالت على الفور :

ـ لا تقل ياسيدتى ·· قل يا خالتى ·· ياخالتى سالى ·· لقد كان عمك يذهب كل يوم لمحطة السفينة لعله يجدك قادما على احدى السفن ·· لقد ذهب اليوم منذ نحو ساعة ·· ولابد أنك قابلته فى الطريق ·· انه يبدو عجوزا وله ··

ـ لا ·· لم أقابل أحدا ياخالتى سالى ··

وبدأت أشعر بكثير من الحيرة والقلق ·· وكنت أريد أن أنتحى بأحد الأطفال جانبا لأسأله من أنا فى ظنهم ·· ولكننى لم أجد أية فرصـــــة مواتية ·· فقد واصلت مسز فلبس حديثها بصفة مستمرة ، وأخذت تربت على ظهرى ، وبدأت المرحلة الحرجة فى الحديث حين قالت :

ـ ولكنك لم تقل لى شيئا عن أختى ، ولا عن

الآخرين ·· الآن سأمسك لساني واسكت ·· اخبرني عن أحوالهم ·· وقل لى ما قالوه لك لتقوله لى ·· !

وبدأت أتلعثم ولا أدرى ما أنا بقائل ·· ومع ذلك فقد فتحت فمي وبدأت أقول أى شيء ·· ولكن لحسن الحظ حدث شيء أنقذنى من هذه الورطة ·· فقد سحبتنى مسز فلبس من يدى فجأة وخبأتنى خلف السرير ·· وهمست قائلة :

ـ لقد وصل عمك فلبس ·· لن أخبره بحضورك الآن ·· الا بعد أن أعد له مفاجأة لطيفة ··

لقد رأيت الرجل العجوز للحظة واحدة · وبدأت مسز فلبس تسأله :

ـ هاه ·· هل وصل توم ·· ؟!

فقال الرجل العجوز :

ـ لا ·· ولا أدرى لماذا تأخر ·· لقد بدأ أقلق عليه ·· !

وقالت مسز فلبس :

ـ ولكن ‥ لابد أنه قد وصل فعـلا ‥ وربما قابلتـه فى الطريق ولكنك لم تعـرفه ‥ ان قلبى يشعرنى بذلك ‥

ـ لا ‥ لا يمكن أن يحدث ذلك ‥

ـ انظر من النافذة ‥ هل هناك شخص قادم تجاه البيت ‥ !!

وما أن اتجـه الرجل العجـوز الى النافذة حتى جذبتنى مسز فلبس من يدى ، وأوقفتنى بجانبهـا ، وعندما استدار الرجل ورآنى ، انفجرت مسز فلبس ضاحكة بصوت مرتفع ، بينما كنت أنا قلقا وغارقا فى عرقى من شدة القلق والارتباك ‥ وحملق فى الرجل العجوز سيلاس فلبس واعترته الدهشة ، وقال :

ـ من هذا ‥ ؟!

فأجابت مسز فلبس ضاحكة :

ـ هذا توم سوير ‥ توم سوير بعينه ‥ !!

وهنا مادت الأرض تحت قدمى ‥ ولكن الرجل

العجوز تقدم نحوى ، وخذ يهز يدى بقوة مرحبا بى .
وأخذت مسز فلبس ترقص طربا .. وبدأ سيل من الأسئلة عن سيد .. وعن مارى .. وعن بقية أفراد العائلة ..

كنت فى غاية السرور لخروجى من هذا المأزق الحرج .. وشعرت وكأنى قد ولدت من جديد ..
وحكيت لهم الكثير عن أفراد عائلتى ـ أقصد عائلة توم سوير ـ التى أعرف بطبيعة الحال الكثير من أخبارها وأحوالها بحكم صداقتى الحميمة لتوم سوير .

وهكذا أخذت أتصرف على أساس أنى توم سوير .. وكان ذلك أمرا سهلا للغاية .. ولكن عندما سمعت صوت باخرة نهرية تأخذ طريقها نحو محطة القرية ، قلت لنفسى : ما العمل لو أن توم سوير كان قادما على ظهر هذه الباخرة ؟! .. وماذا سيكون موقفى لو حضر الى هنا ورآنى ونادانى باسمى الذى يعرفه .. اسمى الحقيقى .. لابد أن أذهب لأقابله قبل أن يأتى الى هنا ، لنتدبر الأمر سويا ..!

وهنا .. استأذنت منهم مدعيا بأن على أن أذهب

الى محطة البواخر لأبحث عن حقائبى •• وهم الرجل العجوز بالقيام لمصاحبتى •• ولكنى قلت له انى أستطيع أن أقود الحصان الذى يجر العربة ، وطلبت منه ألا يقلق نفسه بسببى ••

وهكذا قدت العربة وحدى واتجهت صوب محطة البواخر •• وفى منتصف الطريق ، رأيت عربة أخرى قادمة من الاتجاه المقابل ، وكان توم سوير راكبا فيها •• وعندئذ صحت بأعلى صوتى :

ـ قف •• !!

وما أن رآنى توم ، حتى فغر فاه من شدة الدهشة •• ثم أخذ يبلع ريقه بصعوبة ••

وقال معبرا عن خوفه :

ـ أنا لم أفعل شيئا يؤذيك أبدا ياهكلبرى •• أنت تعرف ذلك •• فلماذا تعود الآن لتخيفنى •• ؟!

فقلت على الفور :

ـ أنا لم أمت ياتوم •• أنا مازلت حيا ••

ـ صحيح ؟! •• لست شبحا ؟! •• ألم تقتل ؟!

ـ لا .. لقد خدعتهم جميعا .. تعال والمسنى بيدك اذا لم تصدقنى ..

وتقدم توم نحوى ، ولمسنى ، واقتنع بما قلت .. وكان فى غاية السرور لمقابلتى .. وكان يريد أن يعرف كل شىء فى لحظة واحدة .. وتلهف بشدة على سماع مغامراتى الغامضة .. ولكنى قلت له أنى سأحكى له كل شىء فيما بعد .. وشرحت له المشكلة التى أواجهها الآن أمام عائلة فلبس وطلبت منه المشورة فيما عسانا أن نصنع للخروج من هذا المأزق ..

وأخذ توم يفكر ويفكر .. وقال فجأة :

ـ لقد وجدتها .. وجدت الحل .. عليك ان تأخذ حقيبتى وتدعى أنها حقيبتك .. وعدت الى البيت على مهل .. وسألحق بك بعد حوالى ربع ساعة .. وعندما أصل الى البيت .. تظاهر بأنك لا تعرفنى .. !

فقلت له :

ـ موافق .. ولكن انتظر لحظة .. فهناك سر لايعرفه أحد غيرى وسأخبرك به .. هناك زنجى

محبوس ٠٠ وأنا أريد أن أسرقه لأطلق سراحه ٠٠ انه العبد الهارب الذى كانت تمتلكه العجوز مسز واطسون ٠٠ انه جيم وأنت تعرفه ٠٠

وهنا قال توم مندهشا :

ـ ماذا تقول ؟! ٠٠ ان جيم ٠٠٠

فقلت على الفور :

ـ لا تكمل ٠٠ فانى أعرف ماذا ستقول ٠٠ ستقول انه عمل بغيض ٠٠ ولكن لنفرض أنه عمل بغيض ٠٠ ماذا يهم ٠٠ أنا نفسى انسان بغيض ٠٠ ولكنى سوف أسرق جيم من محبسه ٠٠ وسوف أطلق سراحه ٠٠ وكل ما أريده منك أن تحتفظ بهذا السر ولا تخبر به أحدا ٠

وهنا برقت عينا توم وقال بحزم :

ـ سأساعدك فى سرقته واطلاق سراحه !

وكان هذا أغرب مما توقعت ، وكدت أكذب أذنى ٠٠ فمن ذا الذى يمكنه أن يصدق أن توم سوير

بنفســه سيشترك فى سرقة عبد زنجى هارب ليطلق سراحه ·· ؟!

وعلى أية حال ، فقد وضـــعنا حقيبة توم على عربتى ·· وسرت متمهلا نحو بيت عائلة فلبس ، بينما اتجه هو بعربته الى طريق آخر ··

وبعد حوالى نصف ساعة ، وصلت العربة التى تقل توم أمام البوابة الخارجية للبيت ، وشاهدتها الخالة سالى من النـافذة ، وترجل توم واتجه نحو مدخـل البيت ، واندفع الجميع نحو الباب ليروا من القادم ··

وعندما اقترب توم من باب البيت ، رفع قبعته بتحية مؤدبة **وقال :**

ــ هل هذا منزل مستر آرشيبالد نيكولز ·· ؟!

فقال مستر فلبس :

ــ لا يابنى ·· ان منزل نيكولز على بعد ثـلاثة أميال من هنا ·· تعال لتتناول غداءك معنـــا وسوف أصحبك الى منزل نيكولز لأدلك عليه ··

وشكره تـوم على هـــذه الدعوة الكريمة بأدب

شديد ·· ودخل الى البيت ·· وقال انه غريب قادم من هيكســـفيل بولاية أوهايو ·· وان اســـمه وليم طومبسون ·· وانحنى مرة ثانية بادب شديد ··

ثم أخذ توم يحكي أشياء كثيرة عن هيكسفيل ·· وعن كل فرد فيها ·· وانهمك فى الحديث وانهمكت الأسرة فى الانصات ·· وفجأة قام توم من مقعده وقبل مسز فلبس قبلة سريعة ·· ثم استمر فى حديثه ··

ولكن مسز فلبس هبت واقفة ، وأخذت تمسح مكان القبلة بظهر يدها ، وصرخت قائلة :

ـ يالك من غلام وقح !!

فتظاهر توم بالدهشة ، وقال :

ـ لقد أردت أن أفاجئك يا سيدتى ·· !

ـ تفاجئنى ! ·· ماذا تظن عنى ·· وماذا تقصد بتقبيلى ·· ؟!

فقال توم بتواضع :

ـ لا اقصد شيئا ·· ولكنى كنت أظن أنك تحبين ذلك !

فهبت فيه مسز فلبس ، بل وأوشكت أن ترفع يديها لتضربه ، ولكنها صرخت فيه قائلة :

ـ يالك من مجنون ·· وما الذى جعلك تعتقد أنى أحب ذلك ؟!

فقال توم متمهلا :

ـ لا أعرف ·· ولكنهم أخبرونى بذلك ··

ـ أخبروك بذلك ؟! ·· من هم الذين أخبروك بذلك ·· ؟!

ـ كلهم ·· كلهم ··

ـ من كلهم هؤلاء ·· قل لى أسماءهم ·· !

فتظاهر توم بالغضب ، وأخذ يلوى قبعته بطريقة عصبية وقال :

ـ كلهم قالوا لى : قبلها ·· فهى تحب ذلك ·· ولكنى آسف يا سيدتى ·· فلن أفعل ذلك مرة أخرى ·· الا بناء على طلبك ··

ـ بناء على طلبى ·· انى لم أسمع كلاما مثل ذلك طول حياتى !

وأخذ توم ينظر حوله الى أن التقت عيناه بى ، قال بصوت لطيف :

ـ توم !! ·· هل تعتقد بعد ذلك أن خالتى سالى ستفتح ذراعيها مرحبة بى ·· وتقول « أهلا يا سيد سوير » ؟!!

وهنا هبت الخالة سالى واقفة وقالت بفرح :

ـ ليغفر الله لى ·· يالك من عفريت صغير ·· لقد خدعتنى باتقان !

وتقدمت اليه لتحتضنه وتقبله ·· ولكنه اشترط عليها أن تستأذن منه أولا ليسمح لها بتقبيله ·· فضحكت ·· واستأذنت ·· وغمرته بقبلاتها وحنانها ·· ولكنها قالت فجأة :

ـ يالها من مفاجأة مدهشة ·· الغريب أن أختى كتبت لى أن توم سيحضر وحده ·· ولم تشر الى حضور سيد ··

فقال توم :

ـ هذا صحيح ·· حتى اللحظة الأخيرة كان من المقرر أن يحضر توم وحده ·· ولكن الخالة بوللى سمحت لى بالحضـور معه ·· وقررنا ـ أنا وتوم ـ أن نجعل وصولنا اليكم فى شكل مفاجأة طريفة ·· فيذهب هو أولا ويلتقى بكم ·· ثم أحضر أنا بعد ذلك وأتظاهر بأنى غريب ·· ولكنك يا خالتى سالى عاملت الغريب بقسوة ··

فقالت الخالة سالى :

ـ لقـد كنت تسـتحق الضرب والصـفع على وجهك ·· لقد تضايقت فعلا فى البداية ··

وهكذا تواصل الحديث طوال الوقت الذى تناولنا فيه طعام الغداء وطوال فترة بعد الظهر الى أن حل المساء ·· ولكن العائلة لم تشر بكلمة واحدة عن العبد الهارب ·· الى أن جـاء أحد الأولاد من أبنـاء مستر فلبس ، وطلب من أبيه أن يسمح له ولتوم وسيد ، بأن يذهبوا لمشاهدة « التحفة الملكية المنقطعة النظير »·

وهنا قال مستر فلبس :

ـ لا ·· فقد أخبرنى العبد الهارب كما أخبر بيرتون بأمر هذا العرض الغبى الذى سيقدمه اثنان من النصابين ·· وذهب بيرتون ليخبر الناس بأمر هذين النصابين ·· واعتقد أن الناس قد طردوهما الآن من المدينة ·

وبعد العشاء ·· توجه الجميع الى غرف النوم ·· وكانوا قد خصصوا لنا ـ أنا وتوم ـ غرفة بالطابق العلوى ·· وما أن وصلنا اليها ، حتى تسللنا عبر النافذة ، وقفزنا الى السقف المنحدر ومنه الى الأرض ، واتجهنا الى المدينة ، لنقوم بانذار الملك والدوق بما سوف يدبره الناس نحوهما ··

وأثناء الطريق ، حكيت لتوم كل شىء عن الملك والدوق · ·وعن التحفة الملكية المنقطعة النظير ·· وعن قصة الرحلة النهرية الطويلة التى قمنا بها أنا وجيم على ظهر الطوف والمغامرات التى صادفناها ··

ولكن يبدو آننا وصلنا متأخرين بعد أن انقضى الأمر بالنسبة للملك والدوق ·· فعندما وصلنـا الى قلب المدينة ، شاهدنا جمعا غفيرا من الناس يحملون المشـاعل ·· ويصرخون مهللين ·· ويدقون بعلب الصفيح ببعضها محدثين صخـبا وضجة عاليـة ·· وينفخون فى المزامير المصنوعة من قرون البقر ·· !

وفى وسط هذا الجمع الهائج ، كان الملك والدوق جالسين على عربة ·· عاريين ·· وقد طلى جسم كل منهما بالقار الأسود ·· ونفش عليها ريش أبيض ·· لقد شعرت بالشفقة نحو هذين المسكينين ·· انه لشىء فظيع أن يجرس الانسان على مثل هذا النحو ·· أو أن يعامل الانسان أخاه الانسان بمثل هذه القسوة ··

وبطبيعة الحـال ، فلم نسـتطع فعل أى شىء لمساعدتهما ·· وعلى هذا فقد عدنا الى البيت ·· وكنت أشعر بكثير من الحزن ··

الفصل الخامس عشر

خطة لحفر نفق ..

توقفنا عن الكلام وبدأنا نفكر ..

وبعد فترة صاح توم :

ـ يا لنا من أغبياء ياهك .. لماذا لم تأتنا هذه الفكرة من قبل .. لقد عرفت المكان الذى سجن فيه جيم ! .. انه ذلك الكوخ المجاور للمطبخ .. ألم تلاحظ ذلك .. هل تذكر أننا حينما كنا نتناول طعام الغداء. رأينا أحد الخدم يتجه نحو هـــذا الكوخ ومعه بعض الطعام .. ؟!

ـ نعم ·· أذكر ذلك ··

ـ طعام من هذا ·· ؟!

ـ طعام للكلب ·· ربما !

ـ كنت أعتقد أيضا أنه طعام للكلب ·· ولكني الآن أجزم بأنه ليس طعاما للكلب ··

ـ لماذا ·· ؟!

ـ لأن الطعام كان يتضمن بعض الفواكه ··

ـ هذا صحيح ·· لقد لاحظت ذلك ·· وقلت لنفسي عندئذ ان الكلاب لا تأكل الفواكه ·· ومع ذلك فقد فاتت على هذه الفكرة ·· ان هذا يدل على أن الانسان يمكنه أن يرى ولا يرى في نفس الوقت ·· !

ـ لقد لاحظت أيضا أن الخادم قد فتح باب الكوخ بالمفتاح حين دخل ·· وأغلق الباب بالمفتاح حين خرج ·· وانه أعطى المفتاح للعم سيلاس فلبس حين كنا قد فرغنا من تناول الطعام ·· الأمور اذن واضحة :

فالفاكهة تعنى أن الطعام لرجل .. واغلاق باب الكوخ بالمفتاح يدل على أن الرجل سجين .. وجميع الأحوال تدل على أن هذا السجين هو جيم .. الآن يمكننا أن نضع خطة محكمة لسرقة هذا السجين واطلاق سراحه !

وبعد فترة من التفكير شرح لى توم جميع تفاصيل الخطة التى يراها مناسبة .. وهى خطة يمكن أن تؤدى الى اطلاق سراح جيم .. ويمكن أن تؤدى أيضـا الى صدور الحكم باعدامنا جميعا .. ومع ذلك فقد اقتنعت بالخطة وتحمست لها ..

هناك حقيقة واحدة مؤكدة : وهى أن توم سوير انسان ذكى وحاذق .. وأنه مصمم على تنفيـذ خطته لاطلاق سراح جيم .. ولا أدرى ما الذى يدفع غلاما محترما مثله ينتمى الى عائـلة محترمة لكى يقدم على مغامرة اطلاق سراح عبد هارب .. وهى عمل يقول الناس انه عمل شائن يجلب العار عليه وعلى عائلته..

لم أفهم الدوافع التى جعلت توم سوير يقوم بهذا العمل ‥ وقد أشفقت عليه بصدق ‥ فأنا أعلم أن توم يعتبرنى صديقا مخلصا له ‥ ولهذا فقد رأيت أن من واجبى أن أنبهه الى خطورة هذا العمل ، وأطلب منه أن يبتعد عن الموضوع بأكمله ‥ وحين هممت بفعل ذلك ، أسكتنى توم قائلا :

ـ هل تظن أننى لا أعرف ما أنا مقبل عليه ‥ الم أعدك بأننى سأساعدك فى سرقة جيم واطلاق سراحه ‥ ؟

ـ نعم ‥

ـ اذن دعنا ننفذ هذه الخطة ‥

وكان هذا هو كل ما قلناه ‥ ولم يعد أمامنا أن نضيف الى هذا الموضوع كلمة واحدة ‥

وعندما عدنا الى البيت ‥ توجهنا مباشرة الى الكوخ المجاور للمطبخ لنفحصه ونفحص المكان المحيط به ‥ ولأن الكلاب أصبحت تعرفنا ، فلم تنبح ولم تحدث ضجة ‥

فحصنا باب الكوخ وجانبيه الآخرين ·· وكانت هناك نافذة مربعة الشكل بالجانب الشمالى للكـــوخ ولكنها مغلقة بلــوح من الخشب الســـميك · **فقلت لتوم :**

ـ هذه النافذة تكفى لمرور جيم من خلالها ·· اذا قمنا بانتزاع هذا اللوح الخشبى ··

فقال توم :

ـ ولكن هذا الحل سهل مثل حروف الهجاء الف باء ·· دعنـــا نبحث عن حـــل يكـــون أكثر تعقيدا يا هكلبرى فين !

ـ ما رأيك اذا قمنا بنشر هذا اللوح الخشـــبى بالمنشار ·· هذه هى الطريقة التى اتبعتهـــا عنـــدما هربت فى المرة السابقة وادعيت مصرعى ·· !

ـ هذه فكرة جيدة فعلا ‥ ومثيرة للغمـــوض ونجر المتاعب ‥ ولكنني أراهن أننا سنجد فكرة أخرى أفضل من هذه الفكرة مرتين على الأقل ‥ !

ولاحظنا وجود عشة مسقوفة تقـــع بين الكوخ وسور البيت ‥ وكان سقفـها مصنوعـــا من الواح متجاورة من الخشب ، ولا يزيد عرض هـذا السقف عن ستة أقدام ‥ وكان للعشة باب خشبى مغلق يقع في الجانب الجنوبى ‥

وأحضر توم قضيبا ثقيلا من الحديد استعمله فى خلع ترباس الباب ‥ وما أن دخلنا الى العشة حتى أغلقنا الباب وأشعلنا عودا من الثقاب ‥ ولم يكن فى داخل العشة سوى بعض الادوات الزراعية الخاصـــة بالحديقة ‥ وتبين لنا أن جانب العشـة كان ملاصقا لجانب الكوخ الذى سجن فيه جيم ‥ وخرجنـــا ‥ وأغلقنا باب العشة كما كان من قبل ‥

وكان توم فى قمة السعادة وهو يقول :

ـ الآن فقط يمكننا أن نبدأ العمـــل ٠٠ سنحفر نفقا الى الكوخ ٠٠ وسيستغرق الحفر حوالى اسبــوع كامل ٠٠ !

واتجهنا الى غرفتنــا لكى ننــام ٠٠ دخلت أنا من الباب الخلفى للبيت لأن العائلة لا تغلق أبواب البيت حتى أثناء الليل ٠٠ أما توم فقد كان الدخـــول من الباب الخلفى يعتبر أمرا سهلا بالنسبة له ٠٠ وبحث عن طريقة أخرى أكثر تعقيدا ٠٠ فتسـلق الســقف المائل ٠٠ وتسلل الى الغرفة من خلال النافذة ٠٠ هذه هى الطريقة التى ترضيه ٠٠ !

وعندما انبلج نور الصــباح ٠٠ نزلنا الى فناء البيت ، واخذنا ندلل الكلاب ونربت على شعرها لنكسب مزيدا من صداقتها ٠٠ وقابلنا الخادم الزنجى نات الذى يقوم بحمل الطعام الى جيم ٠٠ وكان يحمل فى يده صــينية صــغيرة عليها بعض الخبز واللحم ، ومتخذا طريقه الى الكوخ ٠٠

كان نات ذا وجه بشوش ويضفر شعره المجعد عدة ضفائر مربوطة بالدوبار .. وقال لنا انه يفعل ذلك لتحاشى أعمال الساحرات الشريرات .. وقال لنا أيضا أنه أصبح يعانى فى هذه الليالى من أعمال الساحرات الشريرات .. حيث أصبح يرى جميع أنواع الأشكال الغريبة ، ويسمع جميع أنواع الأصوات الغريبة .. !

وسأله توم فى بساطة :

ـ طعام من هذا .. ؟

فابتسم نات ابتسامة طيبة **وقال :**

ـ اذا كنتما تريدان الذهاب معى لتعرفا طعام من هذا .. فتعاليا .. !

وذهبنا معه نحو الكوخ .. وكنت أخشى ما سوف يحدث عندما يفاجأ جيم برؤيانا .. وحدث بالفعل ما توقعته .. **فبمجرد أن شاهدنا جيم حتى صاح فرحا :**

ـ ماذا ؟! .. هكلبرى فين .. وسـيدى مستر توم .. ؟!

وعندئذ قال نات مندهشا :

ـ ياللسماء .. هل يعرفكما يا سيدى .. ؟

فنظر توم الى نات نظرة متعجبة ، وقال :

ـ من هو الذى يعرفنا .. ؟.

فقال نات :

ـ هذا العبد الهارب .. !

فقال توم بثبات :

ـ لا .. لا أعتقد أنه يعرفنا !

ـ ولكنه يا سيدى صـاح فرحـا وناداكما باسميكما ..

فنظر اليه توم نظرة مواسية ، ومدعيا القلق على حالة المسكين نانت ·· **وقال مندهشا :**

ـ هذا أمر عجيب يا نانت ·· من ذا الذى صاح فرحا ·· ومتى صاح فرحا ؟·· وماذا قال عندما صاح فرحا ··

ثم نظر توم الى **وسألنى :**

ـ هل سمعت أحدا صاح فرحا ·· ؟!

فقلت على الفور :

ـ لا ·· لم أسمع أى شىء ··

وعندئذ التفت توم الى جيم ، وأخذ يتفحصه كما لو كان يشاهده لأول مرة ، **وسأله بعد فترة :**

ـ هل صحت فرحا ·· ؟!

فقال جيم بعد ان فهم اللعبة :

ـ لا ·· لم أقل شيئا ·· !

وسأله توم :

ـ هل تعرفنا .. هل رأيتنا من قبل .. ؟

ـ لا ياسيدى .. لا أعرفكما .. ولا رأيتكما من قبل .. !

وعندئذ نظر توم الى نات وسأله بغضب :

ـ هاه .. والآن ما رأيك ؟

فقال نات مستسلما بصوت مرتعش :

ـ لا أدرى يا سيدى .. انها أعمال الساحرات الملعونات .. ولكننى أرجوك يا سيدى ألا نخبر أحدا بذلك .. فسيدى مستر سيلاس فلبس سيعاقبنى .. لأنه قال لى مرات عديدة انه لا توجد في الدنيا ساحرات شريرات مثلما اعتقد .. !

وأعطاه توم قطعة معدنية من النقود ، ووعده بأنه لن يخبر أحدا بحالته تلك .. وعندما خرج نات

من باب الكوخ ليرى القطعة المعدنية فى ضوء النهار ، وليجز عليها بأسنانه ليتأكد من أنها غير مغشوشة .. تقدم توم الى جيم وهمس له :

ـ تظاهر دائما بأنك لا تعرفنا .. واذا سمعت أصوات حفر أثناء الليل ، فاعلم أننا نحفر نفقا يصلح لهروبك .. اننا ننفذ خطة لاطلاق سراحك .. !!

الفصل السادس عشر

فن اختراع المصاعب ..!

مازالت أمامنا ساعة كاملة قبل أن يحل موعد الافطار .. لذلك فقد توجهنا الى الغابة ، لأن توم قال اننا سنحتاج الى ضوء عندما نقوم بحفر النفق أثناء الليل .. وقد استبعد فكرة الاستعانة بضوء المصباح لأنه أكثر من القدر المطلوب للحفر ، كما قد يكشفنا فتفسد العملية ، بالاضافة الى تعرضنا للمتاعب ..

ولذلك فقد قمنا بجمع حزمة من « النار

النعلبية » (١) .. التى تشع ضوءا ناعما خافتا أثناء الظلام .. وقمنا باخفاء ما جمعنـاه من هـــذه النار الثعلبية .. وجلسنا لنستريح . **وقال توم :**

ـ المصيبة أن هذه العملية قد أصبحت سـهلة تماما .. بحيث يصعب تنفيذها كخطة صعبة ! .. فمن الضرورى مثلا أن يكون هناك حـــارس نقـــوم بتخديره .. أو يكون هناك كلب نعمل على اسكاته .. ولكن عمليتنا للأسف سهلة جدا وخالية من التعقيدات والصعوبات ! .. ان رجل جيم مربوطة بسلسلة مثبتة فى رجل السرير .. ومن السهل جدا أن نقوم برفع رجل السرير ونفك السلسلة .. فما هذا .. أليس هناك شىء أكثر صعـــوبة ؟! .. كما أن العم سيلاس فلبس يثق فى الجميع ولا يشـــك فى أحد .. انه يعطى المفتاح ببساطة الى نات ، دون أن يرســـل وراء نات

---

(١) Fox Fire مادة شبه فوسفورية تنتج من تحلل بعض قطع الاخشاب والفرع النباتات بعد تعطنها « المترجم »

شخصا يراقبه ·· لماذا أصبح كل شيء سهلا على هذا النحو ·· أين الصعوبات اذن ؟! ·· واذا لم تكن هناك صعوبات في تنفيذ هذه العملية ، فان علينا أن نخترع هذه الصعوبات بأنفسنا ·· أليس كذلك ياهك ؟! ·· وعلى أية حال فان علينا الآن أن نبحث عن شيء يصلح كمنشار ·· !!

فقلت مندهشا :

ـ وماذا سنصنع بهذا المنشار ·· ؟!

فقال توم على الفور :

ـ تقول ماذا سنصنع بهذا المنشار ·· هه ·· أليس علينا أن ننشر رجل السرير حتى نفك السلسلة التى ربطت فيها رجل جيم ·· ؟!

ـ ولكنك قلت منذ لحظة ان فى استطاعتنا أن نرفع رجل السرير فقط ونمرر السلسلة من تحتها ونفكها ·· وهذا أمر سهل جدا يا توم ·· !

ـ لماذا تقول ذلك يا هكلبرى فين ٠٠ ألم تقرأ في حياتك كتابا واحدا ؟! ٠٠ ان الكتب تقول ان اطلاق سراح سجين بمثل هذه الطريقة الصبيانية السهلة أمر لا يستحق العناء ولا التفكير ولا تشغيـل الذهن ٠٠ وجميع الخبراء يقولون فى مثل هذه الحالة ، ان من الضرورى نشر رجل السرير بالمنشار ٠٠ وأن نبتـلع النشارة حتى لا يعثر عليها أحد ويكشف الأمر ٠٠ كما يجب أن نلطخ مكان النشر ببعض الشحم والقذارة حتى يصعب على العـين الخبيرة ، مهما كانت خبيرة ، أن تكتشف أن رجل السرير منشورة ٠٠ وبذلـك تتم الخديعة ٠٠ لا بد أن ننشر أولا رجل السرير ، حتى اذا حل موعد تنفيذ عملية اطلاق سراح السجين ، فلن يكون علينا الا أن نضرب رجل السرير ضربة خفيفة ، فيسقط الجزء المنشور منها ، ونسحب السلسلة ٠٠ وبذلك تنتهى أول عقبة ٠٠ وليس عليك بعدئذ الا أن تفتح النافذة وتمرر من خلالها الحبل المجدول الذى ستستخدمه كسلم للهبـوط الى الأرض ٠٠ وفجـأة

ستكتشف أن الحبل الذى استخدمته يقل تسعة عشر قدما عن الطول المطلوب ، فتضطر عندئذ الى القفز الى الأرض ، فتنكسر رجلك ٠٠ ولكنك تحتمـــل الألم ، ويأتى خدمك المخلصون ومعهم حصان يساعدونك فى الصعود الى ظهره ٠٠ وعندئذ تنطلق الى عالم الحريـة وتعوْد الى موطنك ٠٠ انه عمل عظيم يا هك ، وليس بالعمل الهين ٠٠ صدقنى ٠٠ ليتنا نجدحفرة بجـوار الكوخ لنسقط فيها بعد أن نهبط بالحبل المجدول الذى سنستخدمه كسلم ٠٠ على أية حال فاذا كان لدينا وقت كاف فى ليلة الهروب ٠٠ فلا بد أن نقوم بحفر حفـرة تصلح لذلك ٠٠

وهنا سالت توم سؤالا ذكيا :

ــ لكن ٠٠ ما فائدة مثل هذه الحفرة ٠٠ ما دمنا سنطـــلق سراح جيم عن طريق حفـــر نفق تحت الأرض ٠٠ ؟!

ولكنه لم يسمعنى ٠٠ كان مستغرقا فى تفكير

عميق ، وتبدو عيناه سارحتين فى مكان بعيد ‥ وتنهد بعد لحظة ، وقال وهو يهز راسه يائسا :

ــ لا ‥ لا ‥ هذا ليس ضروريا بالمرة ‥ !

فسألته :

ــ ما هذا الذى ليس ضروريا بالمراة ‥ ؟

ــ أن نقوم بنشر رجل جيم وقطعها ‥ !!

ــ يا حفيظ ! ‥ ان هذا ليس ضروريا بالطبع ‥ ولماذا بحق السماء تفكر فى أن تنشر رجل جيم وتقطعها ‥ ؟!

ــ كثير من الخبراء يقولون ذلك ‥ وعملوها فعلا ‥ فعندما تعذر فك السلسلة قاموا بقطع أيديهم وأفلتوا بذلك من السجن ‥ ولكن ما دامت السلسلة مربوطة فى رجل جيم وليست مربوطة فى يده ، فعندئذ يمكن قطع الرجل بدلا من قطع اليد ‥ ولكن جيم لن يتفهم الأسباب التى تدعونا الى قطع رجله طبقا للخطط المتبعة فى أوربا ‥ ولهذا فسوف نستبعد هذه الفكرة ،

ولكن بشرط واحد ، هو أن يستعمل جيم الحبــل المجدول كسلم للهبوط ٠٠ ولذلك فعلينـــا أن نقطع ملاءات السرير الى أشرطة نجدلها فى بعضها على شكل سلم ٠٠ وبعد أن نصنع هذا السلم علينا أن نقــوم بتهريبه الى جيم حتى يكون مستعـــدا لاستعماله فى الوقت المناسب ٠٠ ويمكننا أن نهرب هذا السلم بداخل فطيرة ٠٠ وهى الطريقة المفضلـــة لدى الخبراء ٠٠ وكثيرا ما هربوا مثل هذه الأشياء داخل الفطائر التى ترسل الى المسجونين بطريقة سرية ٠٠ وأنا شخصيـا أكلت بعض الفطائر السيئة التى يحتمل أن تكـــون مصنوعة لمثل هذا الغرض ٠٠ !

ـ ما هذا الذى تقوله يا توم سوير ٠٠ ولماذا تفكر فى مثل ذلك ٠٠ ان جيم لن يكون بحاجة أبدا الى مثل هذا الحبل المجدول على شكل سلم !

ـ هه ٠٠ من الأفضل لك أن تقول أنك لا تعرف شيئا عن مثل هذه الأفكار ٠٠ يجب أن نقوم بتهريب الحبل المجدول الى جيم ٠٠ الجميع يفعلون ذلك !

ـ ولكن بحق السماء ·· ماذا سيصنع جيم بهذا الحبل المجدول ·· ؟!

ـ تقول ماذا سيصنع به ؟! ·· أن فى امكانه أن يخفيه تحت السرير ·· ألا يستطيع ذلك ·· هذه وسيلة سهلة صنعها الجميع من قبـــل ·· ولنفرض أيضا أن جيم لن يستخدم هذا الحبـــل المجدول ·· يكفى أن يخفيه تحت السرير ، وليصـــبح هذا الحبل المجدول لغزا عندما يكتشفون مكانه بعد أن يهرب ·· وربما سيصبح هذا الحبل المجدول دليلا . بالنسبــة للمحققين الذين يبحثون عن الأدلة !

قلت مستسلما :

ـ حسن يا توم ·· ولكننا اذا مزقنــــا ملاءات السرير فسنخلق لأنفسنا الكثير من المتاعب مع الخالة سالى ·· ولدى فكرة أخرى ·· سأقوم بسرقة « حبال الغسيل » التى تنشر عليها الملابس ·· ما رأيك ·· ؟!

فوافق توم على تلك الفكرة التى أوحت اليه بفكرة أخرى ، فقال لى موصيا :

ـ وعليك أيضا أن تسرق قميصا يا هك !

ـ وماذا سنصنع بهذا القميص يا توم ؟

ـ سنعطيه لجيم ليكتب على كمه بعض الكلمات والذكريات التى يصادفها أثناء سجنه ٠٠ !

ـ ولكن جيم أمى لا يعرف كيف يكتب ٠٠

ـ هذا لايهم ٠٠ يمكنه أن يكتب بعض العلامات ٠٠ أليس فى وسعه أن يقوم بذلك ٠٠ ولكن علينا أيضا أن نهرب اليه مع القميص قلما ٠٠ قلما مصنوعا من يد معلقة أو من قطعة قديمة من الحديد ٠٠ !

ـ ولماذا نستخدم ملعقة أو قطعة قديمة من الحديد فى صنع القلم ٠٠ أليس من الأفضل والأسرع أن نصنع قلما من ريشة نخلعها من جناح أحد الطيور ٠٠ ؟!

ـ هاه ٠٠ يا لك من غبى ٠٠ ان المساجين يوضعون فى سجون مغلقة لا تطير فيها الطيور رائحة

غادية حتى يخلعوا ريشة من أحد أجنحتها ·· أنهم دائما يصنعون أقلامهم من بقايا شمعدان نحاسى قديم أو شيء مثل ذلك ·· وقد يستغرق منهم هذا العمل شهورا وشهورا ·· لأنهم يبردون المعدن بحكه فى الحائط الى أن يتم صنع القلم فى النهاية ·· وحتى لو كانت لديهم ريشة من جناح أحد الطيور ، فلن يستخدموها كقلم للكتابة ·· لأن هذه الطريقة غير شائعة بين المساجين ·· !

ـ طيب ·· وكيف سيستخدم جيم القلم فى الكتابة دون أن يكون لديه حبر ·· ؟!

ـ بعض المساجين يصنعون حبرا من صدأ الحديد المخلوط بالدموع ·· ولكن مثل هذا النوع من الحبر مستخدم كثيرا بواسطة النساء السجينات ·· أما الخبراء من الرجال المسجونين فيستخدمون دماءهم كحبر للكتابة ·· وفى استطاعة جيم أن يفعل ذلك ·· فعندما تكون لديه الحاجة لارسال رسالة سرية غامضة ، ليبلغ فيها العالم بالمكان الذى يقع فيه سجنه ، أو أية رسالة

أخرى من هذا القبيل ، فان عليه أن يكتب هذه الرسالة على سطح قطعة من الصفيح ويلقيها من النافـــذة .. بعض المشهورين من المساجين كانوا يفعلون ذلك .. وهى طريقة جيدة فى الوقت نفسه ..

ــ ولكن جيم ليس لديه قطع من الصفيح تصلح للكتابة على سطحها ..

ــ هذه ليست مشكلة عويصـــة .. يمكننا أن نهرب اليه بعض قطع الصفيح .. !

ــ ولكن ما فائدة هذه الرسائل التى سيكتبهــا جيم على قطع الصفيح .. ؟!

ــ قد لا تكون هناك أية فائدة على الاطلاق .. بل ربما ستضيع وقتك كله فى محاولة قراءة ما كتبه أحد السجناء على قطعة من الصفيح .. !

وتوقف توم عن الكلام عندما سمعنا صوت النفير المصنوع من قرن أحد الحيوانات ، معلنا حلول موعـد تناول طعام الافطار .. فأسرعنا عائدين الى البيت ..

وبعد ذلك قمت بسرقة ملاءة وقميصا أبيض كانا منشورين على حبل الغسيــل .. ووضــعت هــذه المسروقات فى حقيبة قديمة .. ثم ذهبنا الى الغابــة وأحضرنا « النار الثعلبية » ووضعناها فى الحقيبــة أيضا ..

وأخذنا نراقب المكان جيدا حتى تأكد لنــا عدم وجود أى شخص فى فناء البيت ، وعندئذ تسلل توم ووضع الحقيبة فى العشة الملاصقة للكوخ ، بينما تو.. أنا أعمال المراقبة ..

وجاءنى توم بعد أن خرج من العشة وقال بثبات .

ـ الآن أصبحنا مستعدين بكل شىء ، فيما عدا الأدوات التى سنستعملها فى حفر النفق .. !

فقلت لأذكره بالأشياء والأدوات الزراعية الموجودة بالعشة :

ـ ألا تكفينا هذه الادوات الموجودة بالعشة .. ؟!

فضحك ساخرا وقال :

ـ يا هك فين ! .. هل سمعت من قبل أن سجينا كان لديه جاروف وعتلة من الحديد .. وهل هـذا معقول .. ان مثل هذا السجين قد يكون لديه أيضـا مفتاح السجن .. هل هذا معقول .. ؟!

ـ طيب .. لنفرض أننا لن نستخدم الجاروف والعتلة الحديدية .. كيف سنحفر النفق .. ؟!

ـ سنستخدم السكاكين ! .. اننا فى حاجة الى سكينين .. !

ـ هذه فكرة غبية جدا يا توم .. هل سنحفر النفق بالسكاكين .. ؟!

ـ لا يهم اذا كانت هذه الفكرة غبية أو ذكية .. فجميع المساجين قد استخدموا السـكاكين فى حفـر أنفاقهم .. كانوا يحفرون بالسكاكين ليس فى التربة الترابية الهشة فقط ، بل وفى الصخور الصلدة أيضا .. وكان هذا العمل يستغرق فى العادة فترات طويلة جدا .. هناك مثلا ذلك السجين الذى كان محبوسا فى

قلعة دى ايف بميناء مارسيليا بفرنسا ‥ لقد حفر لنفسه نفقا هرب منه ‥ هل تدرى ما هو الزمن الذى استغرقه حفر هذا النفق ‥ ؟!

ــ لا أدرى ‥ ربما استغرق شهرا ، أو شهرا ونصف ‥ !

ــ هه ‥ لقد قضى هذا السجين سبعة وثلاثين عاما حتى انتهى من حفر النفق الذى امتد من فرنسا حتى الصين ! ‥ هذه هى الطريقة المثلى لحفر الانفاق التى يهرب منها المساجين ‥ !

ــ لنفرض ‥ ولكن جيم لا يعرف أحدا فى الصين ‥ !

ــ وهل تظن أن السجين الفرنسى كان يعرف فى الصين أحدا ؟! ‥ هذا لا يهم ‥ !

ــ وهو كذلك يا توم ‥ ولكننى أرجوك أن تتذكر أن جيم رجل عجوز ‥ ولا يمكنه البقاء حيا حتى ننتهى من حفر النفق بالسكاكين بعد سبعة وثلاثين عاما ‥ ليخرج بعد ذلك حرا فى الصين ‥

ـ ليس من الضرورى أن يخرج فى الصين ٠٠ يمكنه أن يخرج من النفق فى نيو أورلينز ٠٠ كما أن هناك شيئا أريد أن أقوله ٠٠ فليس من الضرورى أن نستمر في الحفر لمدة سبعة وثلاثين عاما ٠٠ ان بوسعنا أن ننتهى من حفر النفق بأقصى سرعة وفى أقصر وقت ممكن ، ولكن علينا أن نتظاهر بيننا وبين أنفسنا ، أننا قد قضينا فى الحفل سبعة وثلاثين عاما ٠ فما رأيك ؟!

وعندئذ تنهدت قائلا :

ـ هذا كلام معقول جدا ٠٠ وأنا شخصيا لن يهمنى أن أتظاهر بيني وبين نفسى ، أنى قضيت فى حفر النفق خمسين أو حتى مائة سنة ٠٠ سأذهب فورا لاحضار السكينين !

فقال توم :

ـ بل أحضر ثلاث سكاكين ٠٠ اننا نريد سكينا اضافية لنستخدمها كمنشار !

فقلت وقد أوشك صبرى أن ينفد :

ـ توم بحق السماء .. واذا كان هذا غير مخالف للنظام أو غير مخالف للدين .. هناك منشار قديم صدىء ملقى فوق السور .. يمكننى أن أحضره لك اذا كنت تريد حقا أى منشار .

فقال توم بصوت يائس :

ـ يبدو أنك لن نتعلم شيئا يا هك مهما حاولت أن أعلمك .. اذهب فورا وأحضر السكاكين الثلاث كما قلت لك !

وذهبت .. وأحضرت السكاكين !

الفصل السابع عشر

الحفر ..

وبعد أن تأكدنا من أن الجميع قد ذهبوا للنوم فى تلك الليلة ، غادرنا غرفتنا من خلال النافذة ، وهبطنا على السقف المنحدر ، ثم على عمود النور ، واتجهنا مباشرة الى العشة . ودخلنا وأغلقنا الباب من الداخل .

وعلى الفور أخرجنا « النار الثعلبية » وبدأنا عملية تجهيز أرض العشة لحفر النفق الموصل الى الكوخ . ثم بدأنا بعد ذلك عملية حفر الأرض بالسكاكين .

وأخذنا نحفر ونحفر بالسكاكين الى أن انتصف

الليل وشعورنا بالتعب والارهاق الشديد ، وتوقفنا عن الحفر عندما صارت أيدينا تؤلمنا غاية الألم وأصبح من المستحيل مواصلة الحفر باستخدام السكاكين .. فبعد كل هذا العناء والألم ، تبين لنا أن السكاكين لا تصلح لحفر النفق بهذه الطريقة . وارتمينا على الأرض منهكين . وعندئذ قلت لتوم :

ـ هاه .. ما رأيك يا توم .. ماذا نفعل الآن ؟!

فقال توم بعد أن فكر قليلا :

ـ سأخبرك .. ليس أمامنا سوى حل واحد .. أنه حل غير سليم وغير أخلاقى ، وكنت أريد أن أتجنبه وأتحاشاه .. ليس أمامنا سوى أن نستخدم الجاروف والعتلة الحديدية .. بشرط أن نتظاهر بيننا وبين أنفسنا أننا نستخدم السكاكين !

عندئذ صحت فرحا :

ـ هذا هو الكلام المعقول .. وأنا شخصيا لا أهتم بالجانب الأخلاقى لهذا الحل .. ان الجاروف والعتلة

الحديدية هما أصلح الأدوات لحفر النفق الذى سيؤدى الى اطلاق سراح جيم ٠٠ !

فقال توم بحزم :

ـ ان لنا بعض العذر لاستخدام العتلة الحديدية فى الحفر مع التظاهر بأنها سكين ٠٠ والآن ٠٠ أنا لا أريد أن أقف هكذا وأرى جميع القواعد وهى تتحطم أمامى ٠٠ اعطنى السكين !!

قال توم ذلك وهو يمسك بسكينه فى يده ٠٠ لذلك لم أجد أمامى الا سكينى فأعطيتها له ٠٠ فأخذها منى وألقاها على الأرض ، وقال آمرا :

ـ قلت لك اعطنى السكين !!

احترت قليلا ولم أدر ماذا أفعل ٠٠ ولكنى فهمت أخيرا أن توم كان يريد أن أعطيه العتلة الحديدية ، وأتظاهر بأنى أعطيه السكين ، وفى الحال ، أعطيته العتلة التى كانت مركونة على أحد جدران العشة ٠٠

فأمسكها في يده ٠٠ وجلس على الأرض ٠٠ وبدأ يحفر بهمة دون أن ينطق كلمة واحدة ٠

وأمسكت بالجاروف وبدأت أرفع التراب ٠٠ ثم تبادلنا الادوات فأعطاني العتلة الحـــديدية وأعطـــيته الجاروف ٠٠ وواصلنا الحفر على هذا النحو لمدة نصف ساعة ثم توقفنا لأننا كنا منهكين ٠٠ وخرجنا من العشة وأغلقنا بابها من الخارج ، ثم توجهنا الى البيت ٠

دخلت أنا من الباب الخلفي ، وصعدت درجـــات السلم حتى وصلت الى الغرفة ٠٠ وعنـــدما نظرت من النافذة ، شاهدت توم وهو يحاول أن يتسلق عمـــود النور ليقفز منه الى السطح المائل ليدخل بعد ذلك من خلال النافذة ٠٠ ولكن جميع محاولاته قد باءت بالفشـل، لأن يديه كانتا تؤلمانه ، وسمعته يقول :

ــ لا فائدة ٠٠ يبدو أن تنفيذ هذه العملية أصبح صعبا ومستحيلا ٠٠ ماذا ياهك ٠٠ أليس لديك فكرة لتساعدني على الخروج من هذا المأزق ٠٠ ؟!

فقلت له مترددا :

ـ نعم لدى فكرة سهلة ولكنها قد تكون مخالفة للقواعد الاخلاقية ·· ما رأيك، أن تصعد على درجات السلم ، وتتظاهر بينك وبين نفسك أنك تتسلق عمود النور ·· ؟!

واقتنع توم بهذه الفكرة ·· ·

وفى صباح اليوم التالى ، قام توم بسرقة ملعقة وشمعدانا صغيرا من النحاس ليصنع منهما القلم الذى سنهربه الى جيم ، كما سرق أيضا ست شمعات ·· أما أنا فقد سرقت ثلاث قطع من الصفيح ·· وقال توم ان قطع الصفيح هذه غير كافيـــة لكتابة الرسائل التى سيلقيها جيم من نافذة السجن ·· فقلت له انها كافية للاستخدام فى هذه المهمة ، فعندما يقوم جيم بالقـــاء الرسائل المكتوبة على قطع الصفيح من النافذة ·· فان هذه الرسائل ستسقط على الأعشاب التى تنبت بجوار الكوخ ، وعندئذ يكون بامكاننا أن نلتقطها ونعيـــدها

اليه ليكتب عليها من جديد ·· وهكذا ·· واقتنع توم بتلك الفكرة !

وفى الساعة العاشرة من تلــك الليلة ، وبعد أن تأكدنا من أنّ الجميع قد خلدوا الى النوم ·· غادرنــا الغرفة من خلال النافذة هابطين على السقف المائل ثم على عمود النور ، وانجهنــا فــورا الى العشــة ، وأمسكنا بالجاروف والعتلة الحديدية ، وبدأنا نحــفر بهمــة شديدة لمدة ساعتين ونصف ساعة الى أن انتهينا تماما من حفر النفق ·· !

وكانت فتحة النفق تقع تماما تحت السرير الذى ينام عليه جيم بداخل الكوخ ·· وزحفنا عبر النفــق وأصبحنا بداخل الكوخ حيث كــان جيم نائمــا ·· وأشعلنا شمعة ·· وتبين لنا على الفور أن جيم يبدو فى صحة جيدة ، فأيقظناه بلطف وبالتدريج حتى لا يفاجأ بوجودنا ·· ولكنه أصبح فى غاية السرور عندما رآنا أمامه ·· فأخذ يشكرنا ويعترف بفضلنا بكلمات طيبة .

وطلب منا جيم أن نبحث عن أداة لكسر السلسلة

التى تربط قدمه لينطلق هاربا دون أن يضيع الوقت ..
ولكن توم أقنعه بأن هــذه الطريقــة تخالف القواعــد
الصارمة .. وأخذ يشرح له الخطط التى وضعها لاطلاق
سراحه طبقا للقواعد والأصول التى يتبعها الخبراء ..
وأبدى له استعداده لتغيير هذه الخطط أو تعديلها متى
كانت هناك ضرورة لذلك .

وطمأنه توم بأن كل شىء على ما يرام ، ولا داعى
للعجلة ولا مكان للخوف .. وعلى هذا فقد اطمأن جيم
وبدأ يتحدث عن ذكريات الماضى وعن المغــامرات التى
قمنا بها .. كما شرع توم فى القاء العديد من الأسئلة
.. وقال جيم أن العم سيلاس فلبس كان يزوره كل يوم
أو يومين ليشترك معه فى أداء الصــلاة .. وأن الخالة
سالى تحضر اليه أيضا لتطمئن على راحته وتقــدم اليه
مزيدا من الطعام .. وأثنى جيم على العم والخالة ثناء
طيبا .. وقال انهما عطوفان ورحيمان ويستحقان كل
شكر وعرفان ..

وهنا طرأت فى ذهن توم فكرة جديدة ، فقـــال فرحا :

ـ شىء عظيم ٠٠ لا بد أن نستخدم كلا من العم والخالة فى حمل الرسائل اليك دون أن يشـــعر أى منهما بذلك ٠٠ انى أعرف تماما كيف أتـــولى تنظيم وتنفيذ هذه الخطه !

فصحت مذعورا .

ـ لا يا توم ٠٠ أرجوك ٠٠ لا تفعل شيئا مثـــل ذلك ٠٠ ان هذه أغبى فكرة سمعتها فى حياتى ٠٠ !

ولكنه لم يهتم بما قلت وتجاهلنى ٠٠ وكانت هذه هى طريقته المفضلة عندما تطرأ مثل هذه الأفكار عـــلى ذهنه ويصمم على تنفيذها ٠٠

وأخذ توم يحكى لجيم تفاصيل خططه ٠٠ وأخبره بأنه سوف يرسل اليه الحبل المجدول على شكل ســلم بداخل كعكة كبيرة سيحضرها اليه الخادم نات ٠٠ وأن عليه أن يخرج الحبل من الكعكة دون أن يلاحـــظ نات ذلك ٠٠

وقال توم أيضا انه سيرسل الى جيم بعض الأشياء الصغيرة بداخل جيـــوب المعطف الذى يرتديـــه العم سيلاس . وأن على جيم أن يقوم بسرقة هذه الأشياء دون أن يلاحظ العم ذلك .. كما قال أيضا انه سيعلق بعض الرسائل بأربطة المريلة التى ترتديها الخالة ، ليلتقطها جيم عندما تحضر الخالة لزيارته .. كما طلب من جيم أن يكتب مذكراته على قماش القميص وأن يستخدم دمه كحبر للكتابة .. الى آخر مثل هذه الأفكار والخـــطط الغريبة ..

وبطبيعة الحال لم يقتنـــع جيم بهـــذه الأفكـــار والخطط ، ولكنه قال لتوم انه سيحاول أن يقوم بتنفيذها .. وكانت لدى جيم كمية من الطباق ، فحشونا البايب وأخذنا ندخن ، وقضينا وقتا سعيدا ..

وبعد فترة خرجنا من الكوخ زاحفين خلال النفق ، واتجهنا الى غرفننا بالبيت .. وكان توم فى قمة السعادة والاحساس بالراحة والفخر .. وقال لى ان مثـل هذا العمل يعتبر من المغامرات الكبرى .. وأننا سنظل نذكره

طوال حياتنا .. وبوسعنا أن نمضى فيه فترات طويلة .. بل وندع مهمة تحرير جيم واطلاق سراحه لاولادنا بعد أن نموت .. تذكر يا توم أن جيم نفسه سيحب هذا العمل بعد أن يعتاد عليه .. كما أكد أن قصة هذه المغامرة ستشاع بين الناس بعد ثمانين سنة .. وعندئذ نصبح جميعا من المشهورين ..

وفى صباح اليوم التالى . ذهبنا ناحيــة كومة من الاخشاب كانت موضوعة بأقصى فنــاء البيت واختبأنــا خلفها . وقام توم بتكسير الشمعدان النحاسى الى قطع صغيرة ووضعها فى جيبه مع الملعقة .. ثم توجهنا بعد ذلك الى المطبخ ..

ودون أن يشعر نات بشىء . قام توم بوضع قطعة صغيرة من الشمعدان بداخــل رغيف الخبز المخصص لجيم .. ثم ذهبنا الى الكوخ فى صحبة نات الذى حمل الطعام الى جيم .. كنا نريد أن نطمئن الى كيفية سير العمل .. !

وقد تم العمل بالفعل على خير وجه كان يـريده

ترم . فعندما قضم جيم رغيف الخبز ، أطبقت أسنانه على قطعة النحاس المخبأة بداخل الرغيف ، وأوشكت أن تتحطم .. وعندما فهم جيم أن قطعة النحاس هذه مهربة اليه ، تظاهر بأنه قضم قطعة من الحجر ، حتى لا يفهم نات أى شيء من هذه الأسرار والأشياء الغامضة . ولكن جيم أصبح لا يضع أى طعام فى فمـــه قبل أن يغرز الشوكة فيه مرة أو اثنتين ليتأكد من عدم وجود أى شيء آخر من تلك الأشياء المخبأة .

وكنا قد نسينا أن نغلق باب العشة فى الليلـــة السابقة .. لذلك فقد فوجئنا بظهور كلبين يخرجان من تحت سرير جيم بعد أن تسللا الى الكوخ عبر النفق .. ثم ظهر كلبان آخران .. ثم ثلاثة كلاب وهكذا الى أن أصبح بداخل الكوخ أحد عشر كلبا ولم يعد هناك مجال للتنفس ..

ارتمى نـــات على الأرض راكعـــا على ركبتيـــه بين الكلاب وقد أصابه الذعر فأخذ يئن وينوح كما لو كان يحتضر .. وقال وهو يرتعش :

ـ الساحرات .. الساحرات !

وفي هذه اللحظـة فتح توم باب الكـوخ وألقى بقطعة من اللحم خارج الكوخ ، فاندفعت الكلاب كلها نحوها .. وخرج توم من الكوخ لحظة ، أغلق فيها باب العشة ، وعاد الى الكوخ مرة أخرى ..

انحنى توم على نات وأخذ يواسيه ويطيب خاطره ، و... ... شـفقة عما اذا كان قد تخيل شـيئا من الأ... التي تحدثها له الساحرات ..

ر... ئذ وقف نات مذهولا وقال :

ـ ... مستر سيد .. ... ظن أني قد جننت .. أنا لست ... نا يا مستر سيد .. ولكنى رأيتهم بنفسي .. أكثر من مليون كلب وشيطان لقد لامستهم ولامسوني .. آه لو استطعت الامساك بواحدة من تلك الساحرات الشريرات لا ادرى لماذا يلاحقنني على هذا النحو .. لماذا لا يبتعدن عني ... كنني في حالى .. ؟

فقال توم ناصحا :

أتدرى لماذا جاءتك الساحرات الشريرات في هذا الوقت المبكر وانت تحمل طعام الافطار لجيم .. انهن ببساطة يشعرن بالجوع .. وما عليك الا أن تصنع لهن « كعكة الساحرات » .. !

فتساءل نات حائرا :

ـ ولكنى يا مستر سيد .. لا أعرف كيف تصنع كعكة الساحرات هذه .. لم أسمع عن شيء مثل ذلك من قبل ..

ـ لا تهتم .. سوف أصنعها لك بنفسى .. !

ـ حقا يا مستر سيد .. هل ستصنع لى كعكة الساحرات .. انى أشكر لك هذا الصنيع الجميل .. يجب أن أقبل الأرض تحت قدميك !

فقال توم بثبات :

ـ لا داعى لمثل ذلك .. سوف أصنع لك كعكة الساحرات لأنك انسان طيب .. وتعاملنا باحترام ..

ولكن هناك بعض الشروط لابد أن تنفذها بدقة ·· فيجب أن تكون حريصا وتحتفظ بهذا السر ·· وعندما ترانا قادمين اليك فى المطبخ عليك أن تعطينا ظهرك ، وعليك أن تتظاهر بأنك لا ترانا ولا ترى ما سوف نضعه بداخل الكعكة ·· وعندما تعطى الكعكة لجيم ، أدر وجهك عنه وابعد عينيك حتى لا تراه وهو يفرغ الكعكة من محتوياتها ·· يجب أن تفعل كل هذه الأشياء بدقة ، والا فسوف تتعرض الى متاعب الساحرات وغضبهن عليك ·· كما أن هناك شيئا آخر ·· اياك أن تلمس الأشياء الخاصة بالساحرات التى ستوضع فى الطعام الخاص بتوم بين حين وآخر اياك أن تلمسها ·· !

فقال نات موافقا :

ـ كيف ألمسها يا مستر سيد ·· هل أنا مجنون حتى أفعل شيئا مثل ذلك ·· اننى لن ألمس باصبعى أى شيء يخص الساحرات ولو أعطونى مليون دولار ·· !!

الفصل الثامن عشر

- تسع ملاعق أم عشرة ..
والكعكة ذات الحبل المجدول ..

أعددنا لكل شيء عدته .. وتوجهنا إلى كوم القمامه والمهملات الذى يقع خلف فناء البيت .. حيث عثرنا على وعاء قديم من الصفيح رأينا أنه يصلح لعمل الكعكة فأخذناه وذهبنا به الى غرفة الحزين وملأناه بالدقيق .. وعثرنا على مسمارين كبيرين قرر توم أنهما يصلحان للسجين .. حيث يمكن من استخدامهما في حفر اسمه وذكرياته وأحزانه على جدران السجن ..

وأسقطنا أحد المسمارين بجيب المريلة الخاصة بالخالة سالى حيث كانت المريلة معلقة على أحد المقاعد . كما شبكنا المسمار الثانى بحافة السترة الخاصة بالعم سيلاس والتى كانت موضوعة على المنضدة .. وقد قمنا بذلك بعد أن عرفنا عن طريق الأطفال بأن العم سيلاس والخالة سالى سيذهبان الى الكوخ لزيارة جيم . فانتهزنا هذه الفرصة لتوصيل المسمارين اليه ..

وعندما كنا نتناول طعام الافطار ، وضع توم ملعقة فى جيب معطف العم سيلاس الذى لم يشعر بذلك .. وكانت الخالة سالى غير موجودة ولكنها حضرت بعد لحظة وكانت غاضبة محمرة الوجه متعكرة المزاج . وقالت للعم سيلاس فى يأس :

ـ لقد بحثت عنه فى كل مكان .. انى أكاد أجن .. أين اختفى قميصك الآخر .. ؟!

فقال العم سيلاس :

ـ هذا شىء غريب لا أستطيع أن أفهمه .. ولكنى متأكد من أننى قد خلعت هذا القميص

وقالت الخالة :

ـ طبعا خلعته ·· وغسلناه ·· ونشرناه بالأمس على حبل الغسيل ·· لقد رأيته بنفسى ·· كذلك فقد اختفت احدى الملاعق ·· كان لدينا عشر ملاعق ·· انها الآن تسع ملاعق ·· فلو افترضنا ان البقرة قد أكلت القميص وابتعلته ·· فانها لا تستطيع أن تبتلع الملعقة أيضا ·· هذا شيء أكيد ·· وليت الأمر قد اقتصر على ذلك ·· وانما هناك أشياء أخرى ···

فقال العم سيلاس مندهشا :

ـ ما هذا ·· هل اختفت أشياء أخرى ·· ؟!

وقالت الخالة على الفور :

ـ اختفت ست شمعات ·· ربما تكون قد أكلتها الفئران التى تمرح فى البيت بدون أن تفكر فى أن تقوم بسد جحورها ·· لقد طلبت منك ذلك أكثر من مرة ·· ومع ذلك اذا كانت الفئران قد أكلت الشمع ·· فلا يمكن أن نتهمها بأكل الملعقة ·· أين اختفت الملعقة ·· ؟!

وقال العم :

ـ حاضر يا سالى ·· سأقوم غدا بسد جميع الجحور والشقوق التى تعيش بداخلها الفئران ··

وهنا دخلت الخادمة ليزا وقالت مذعورة :

ـ سيدتى ·· لقد اختفت احدى ملايات السرير ··!

فصاحت الخالة :

ـ يا للسماء ·· وأين اختفت هذه الملاءة أيضا ··· ؟!

وهنا قال العم سيلاس وهو يشعر بالأسف :

ـ أعدك يا سالى أنى سأقوم بسد جحور الفئران اليوم ·· ولن أؤجل هذا العمل الى الغد ·· !

فصاحت به الخالة :

ـ الزم الصمت ·· هل تظن أن الفئران قد أكلت ملاءة السرير أيضا ·· ؟!

ونظرت الخالة الى الخادمة ليزا وقالت لها :

ــ وأين اختفت تلك الملاءة ياليزا ٠٠ ؟

ــ لا أدرى يا سيدتى ٠٠ لقد كانت معلقة بالأمس على حبل الغسيل ٠٠ ولكنها غير معلقة الآن !

فقالت الخالة بيأس :

ــ يبدو من نهاية العالم ٠٠ لا بد أن القيامة ستقوم الآن فورا ٠٠ ان هذه الأشياء لم يحدث مثلها طوال حياتى ٠٠ لقد اختفى القميص ٠٠ ثم اختفت الملاءة ٠ ٠واختفت ملعقة وست شمعات ٠٠ !

وأضافت الخادمة ليزا :

ــ يا للمصيبة ٠٠ لقد اختفى أيضا الشمعدان النحاسى !

فصرخت فيها الخالة قائلة :

ــ أغربى عن وجهى والا ألقيت بك على الأرض ٠ !!
وهكذا وصلت الخالة سالى الى قمة الحيرة والغضب

وفقـدت أعصـــابها تماما ·· وأخيرا ·· وضـع العم سيلاس يده فجأة فى جيب معطفه ·· وأخرج الملعقة من جيبه وهو يشعر بالدهشة ··

فقالت الخالة سالى على الفور :

ـ تماما مثلما توقعت ·· لقد كنت تخفى الملعقة فى جيبك طول الوقت ·· ومن المحتمل أنك أخفيت الأشياء الأخرى أيضا ··

فقال العم معتذرا :

ـ والله لا أعلم يا سالى كيف كان ذلك ·· !

وصاحت الخالة فينا جميعا :

ـ اذهبوا كلكم ·· ابعدوا عنى ·· ولا تعودوا مرة أخرى قبل أن يعود السلام الى عقلى ويعود الهدوء الى قلبى !

وخرجنا جميعا من غرفـة الطعـام · وبينما كنا نجتاز غرفة المعيشة ، مد العم سيلاس يده الى المنضدة وأخذ قبعته ·· وسقط المسمار الذى كنا قد تسبكناه

بحافة القبعة .. فمد العم يده الى الأرض ، والتقط المسمار .. وببساطة شديدة وضعه على المنضدة !

وعندئذ قال لى توم :

ـ لن تكون هناك فائدة من استخدام العم سيلاس فى نقل رسائلنا الى جيم .. انه لا يصلح لذلك كما رأيت .. ويجب ألا نعتمد عليه فى شيء من هـــذا القبيل مرة أخرى ..

واحتار توم فى موضوع الملعقة .. وأخذ يفكر قليلا ثم اهتدى الى فكرة .. وأخبرنى بما علينــا أن نفعله .. فذهبنا الى المطبخ .. وأخرجنا السلة التى تحتفظ فيها الخالة بالملاعق .. وانتظرنا ..

وبمجرد أن رأينا الخالة قادمة نحونا .. تظاهر توم بأنه يعد الملاعق بعد أن قام بصفها فى صف واحد وقمت أنا باخفاء احدى الملاعق .. وقال توم للخالة :

ـ ماذا يا خالتى .. ان عدد الملاعق تسع ملاعق فقط وليس عشر ملاعق كما تقولين ..

فقالت الخالة :

ــ اذهب والعب بعيدا ولا تحيرني ·· لقد عددت الملاعق بنفسي ووجدتها عشرا ··

ويبدو ان الخالة قد فقدت صبرها وأعصابها مره أخرى حين عدت الملاعق ووجدتها تسعا ·· **فقالت وهي لا تصدق نفسها :**

ــ يالها من مصيبة ·· انها تسع ملاعق فقط ·· لماذا يا ربي تحدث مثل هذه الأشياء الغريبة ·· سأقوم بعد الملاعق مرة أخرى ·

وهنا وضعت الملعقة في السلة بسرعة بدون أن تلحظ الخالة حركة يدي ·· وعدت الملاعق بعناية ·· واحدة بعد أخرى ·· فوجدتها عشرا ·· فقالت وهي تشعر بشيء من الراحة :

ــ الحمد لله ·· انها عشر ملاعق الآن ·· !

وعندئذ قال توم :

ــ لا أعتقد ذلك يا خالتي ·· انها تسع ملاعق فقط !

ـ كفى غباء .. لقد رأيتنى وأنا أعدها .. !

ـ نعم رأيتك وأنت تعدين تسع ملاعق وليس عشرا كما تقولين ..

ـ اذن سأعدها مرة أخرى .. !

وبسرعة التقطت من السلة ملعقة قبل أن تبدأ الخالة فى عدها .. وقامت الخالة بعد الملاعق ببطء .. ملعقة ملعقة .. فوجدتها تسعا .. ففقدت أعصابها وأخذت ترتعش وقد أوشكت على الجنون ..

وأخذت تعد الملاعق مرات ومرات .. حتى اختلط عليها الأمر فى النهاية ، لدرجة أنها أخطأت وقامت بعد السلة نفسها واعتبرتها ملعقة .. وهكذا عدت الخالة الملاعق ست مرات .. فوجدتها تسع ملاعق فى ثلاث مرات ، وعشر ملاعق فى المرات الثلاث الأخرى ..

وأخيرا أمسكت الخالة بسلة الملاعق وألقتها على الأرض ، وطردتنا من المطبخ بعد أن قالت لنا ألا نريها وجهينا قبل الظهر ، والا فانها ستقوم بسلخ جلودنا .

وفى أثناء ثورتها ، أسقطنا الملعقة فى جيب

مريلبيا .. ونحن على يقين أن جيم سيأخذ الملعقة والمسمار عندما نزوره الخالة قبل الظهر .. وهذا ما حدث بالفعل .. !

وفى تلك الليلة وضعنا ملاءة السرير مرة أخرى على حبل الغسيل .. وسرقنا ملاءة أخرى من الدولاب ثم أخذنا نعيد الملاءة الى الدولاب ونأخذ الملاءة المنشور على حبل الغسيل لعدة أيام تاليه ، حتى اختلط الأمر تماما بالنسبة للخالة ، وأصبحت لا تعرف على وجه اليقين عدد الملاءات التى تمتلكها .. بل وأعلنت بصراحة انها لن تهتم بعدد الملاءات أيا كان . ولا كيف تختفى الملاءات ثم تظهر .. وقالت انها بذلك تنقذ حياتها بدلا من أن تموت من شدة الحسرة والحيرة .

وهكذا أصبح الموقف سليما فى النهاية ، بالنسبة القميص والملاءة والملعقة والشمعات الست .. وكان يفضل ذلك راجعا الى البقرة والى الفئران والى الحيلة التى صنعناها فى خلط عدد الملاعق والملاءات .. أما بالنسبة الشمعدان النحاسى . فلم يكن موضوعه ذا أهمية وسرعان ما نسى الجميع أمره .. !

أما المشكلة الحقيقية ، فقد صادفتنا عند قيامنا بصنع « كعكة الساحرات » التي كنا نريد تهريب الحبل المجدول عن شكل سلم بداخلها ·· لقد استغرق صنعها عدة أيام ، وبذلنا فيه مزيدا من الجهد ·· لقد اضطررنا للذهاب الى غرفة الخزين ثلاث مرات متوالية لتحصل على عبوات من الدقيق ·· وقد احترقت العجينة في كل مرة محدثة دخانا أسود يكاد يعمى العيون ·· كنا نريد أن يكون السطح العلوى للكعكة محمرا بلون داكن جدا حتى يخفى الحبل المجدول المخبأ بداخل الكعكة ·· وفى كل مرة كانت الكعكة نفسها تحترق هى وسطحها العلوى طبعا ··

وأخيرا عثرنا على الطريقة الصحيحة لصنع كعكة ذات سطح داكن اللون ، وتكون كافية في الوقت نفسه لاخفاء الحبل المجدول ·· وقمنا بزيارة جيم في الليلة التالية وأخذنا معنا ملاءة السرير ·· وأخذنا نمزق الملاءة الى شرائط طويلة جدلناها في شكل ضفيرة متينة ·· وقبل أن تشرق شمس الصباح ، كنا قد صنعنا حبلا مجدولا قويا يمكن أن يستخدم في الشنق

من شدة متانته وطوله ٠٠ وتظاهرنا بيننا وبين أنفسنا بأن صناعة هذا الحبل المجدول قد استغرقت منا تسعة أشهر كاملة !

وكنا قد قررنا أن نقوم بطهى الكعكة فى الغابة بعيدا عن الأنظار ٠٠ لذلك فقد حملنا معنا معداتنا وذهبنا الى الغابة فى صباح اليوم التالى ٠٠

وما أن شرعنا فى عمل كعكة الساحرات بالطريقة الصحيحة ، حتى تبين لنا أن الحبل المجدول الذى صنعناه يكفى وحده لصناعة أربعين كعكة ٠٠ وما يتبقى منه بعد ذلك يكفى لعمل كميات هائلة من الشوربة. وما يمكن أن تتخيله من أطعمة أخرى ٠٠ وعلى هذا فقد قررنا أن نكتفى بقطعة صغيرة من هذا الحبل ونرمى أغلبة ٠٠!

وكنا قد استولينا على « مدفأة السرير » الخاصة بالعم سيلاس ٠٠ وهى عبارة عن كانون مصنوع من النحاس له غطاء، كان العم يستعملها لتدفئة السرير

فى الليالى الباردة .. وكانت هذه المدفأة خير وعاء يصلح لصنع الكعكة ..

وملأنا المدفأة النحاسية بعجينة الكعكة ووضعنا بداخلها قطعة الحبل المجدول ، وغطيناها وأشعلنا النار تحتها ، ووضعنا فوق الغطاء أيضا بعض الأعشاب المشتعلة لنضمن تحمير السطح العلوى للكعكة بلون داكن ..

وبعد نحو خمس عشرة دقيقة من الطهى ومراقبة النار .. نجحنا فى صناعة كعكة الساحرات .. وكان منظرها الخارجى معقولا الى حد بعيد ..

وهكذا حملنا الكعكة الى البيت .. وأدار نات عينيه عندما دخلنا الى المطبخ ، ووضعنا كعكة الساحرات ضمن محتويات صينية الطعام التى ستقدم الى جيم فى الوجبة التالية .. كما وضعنا أيضا قطع الصفيح الثلاث التى سيقوم جيم بالكتابة عليها ..

وبعد أن قدم نات صينية الطعام الى جيم ، تحاشى النظر اليه .. وقام جيم بتكسير الكعكة بنفسه ..

واخرج منها قطعة الحبل المجدول ، وخبأها بداخــل قش المرتبة الموضوعة على السرير ٠٠ ثم قام جيم بعد ذلك بنبش بعض العلامات على قطع الصفيح ، وألقاها من نافذة الكوخ ٠٠ !! ٠

الفصل التاسع عشر

القيام ببعض الأعمال الفظيعة ..!

وكانت صناعة الأقلام التى سيكتب بها جيم رسائله تعتبر عملا صعبا وشنيعا للغاية .. وكذلك كانت صناعة المنشار ..

وقال لنا جيم ان كتابة ذكرياته وأحزانه على جدران الكوخ ستعتبر بالنسبة له أصعب الأعمال قاطبة .. ولكن توم أصر على ذلك ، وقال ان كل سجين لابد أن يترك مذكراته مدونة ومحفورة على جدران السجن .. وقام توم بكتابة بعض النماذج التى يدونها المساجين ،، وأخذ يقرأها لنا ..

● هنا تحطم قلب ســجين نبيل .. نساه أصدقاؤه ونساء العالم .. !

● هنا عاش سجين كسـير القلب .. ألقوا به فى غياهب هذا السجن العفن لمدة ســبع وثلاثين ســنة !

● هنــا مات سجين غـريب ، بلا بيت ولا أصدقاء ، وتجرى فى عروقه دماء ملكية ، بعد استمر لسبع وثلاثين سنة يعانى المر والهوان .. !

كان صوت توم يرتعش وهو يقرأ لنــا هذه النماذج التى كتبها .. وكان ينفعل بشدة حتى خشينا أنه قد أصيب بانهيار عصبى ..

وبعد أن انتهى توم من قراءة تلك النماذج .. احتــار فى اختيار النموذج الذى سيكتبه جيم على جدران سجنه .. لقد كانت كل النماذج جيدة وصالحة، ولذلك فقد قرر توم أن يقوم جيم بكتابتها جميعا .. !

واعترض جيم قائلا بأن كتابة كل هذه النماذج على الجدران الخشبية للكوخ قد يستغرق منه أكثر

من عام كامل .. خصوصا وأنه سيستعمل مسمارا في حفر الكلمات على ألواح الخشب .. بالاضافة الى أنه لايعرف الكتابة أصلا ..

ولكن توم طمأنه .. وقال له انه سيكتب الكلمات بالقلم ، وأن على جيم أن يحفر الخطوط بالمسمار .. وفجأة قال توم :

- ولكن المساجين لايحفرون ذكرياتهم وأحزانهم على الألواح الخشبية .. ان جدران السجون لاتصنع من الخشب ، ولكنها تبنى من الصخور والأحجار .. لابد اذن أن نقوم باحضار احدى الصخور التى تصلح لهذا الغرض !

وأصيب جيم بالذعر .. وقال ان الكتابة على الصخر أسوأ بكثير من الكتابة على الواح الخشب .. وأنه سيقضى بقية عمره حتى ينتهى من كتابة كل هذه النماذج .. ولكن توم طمأنه مرة أخرى .. وقال انه سيسمح لى بأن أساعد جيم فى كتابة ذكرياته وأحزانه ..

وأخذ توم يراقبنا ـ أنا وجيم ـ ونحن نصنع بعض الأقلام التى سيستخدمها جيم فى الكتابة على الصخر .. وكنا نصنع هذه الأقلام من قطع الشمعدان النحاسى التى جهزها تـوم بعد تكسير الشمعدان .. وكنا نعـانى صـعوبة بالغة فى عمـل سنون لتلك الأقلام ..

وقال توم بعد أن برقت فى ذهنه فكرة جديدة :

ـ لقد جـاءتنى فكرة عظيمة سنضرب بهـا عصفورين بحجر واحـد .. هنـاك رحى صـخرية موجودة بطاحونة الحبوب .. علينا أن نسرقها فورا ونحضرها الى هنا لأنها تحقق لنا غرضين هامين .. حيث يقوم جيم بحفر ذكرياته على سطحها ، وحيث يمكن ان نستخدمها فى برى الأقلام وعمـل سنون الأقلام .. كما يمكن أن نسن بها حواف المنشار .. !

وهكذا ذهبت مع توم لاحضار الرحى الصخرية من الطاحونة .. وقد عانينـا صعوبات عظمى فى زحزحة الرحى الصخرية الثقيلة من مكانها ، ومحاولة



الرحى الصخرية فى طريقها الى الكوخ ..

دحرجتها أو تحريكها ·· بل لقد كادت أن تدهمنـا الرحى وتسقط فوقنا ··

وعندما وصلنا الى منتصف الطريق الى الكوخ ؛ سقطنا منهكين من شدة التعب ، وكان العرق يتساقط منا بغزارة ·· ولم نجد أمامنا وسيلة سوى استدعاء جيم واخراجه من الكوخ ليساعدنا فى هذا العمـــل الشاق !

وقام جيم من فوق سريره ·· وفك السلسلة من رجل السرير ولفها حول رقبته ·· ثم ســاعدناه فى الزحف عبر النفق الذى حفرناه ، وخرجنا به حتى موضع الرحى الصخرية ·· وساعدت جيم فى تحريك الرحى ودحرجتها ·· بينما وقف توم يلقى الينـــا بتعليماته وأوامره ·· لقد كان توم أقدر انسان شاهدته فى حياتى على اصدار الأوامر والتعليمات !

وعندما وصلنا بالرحى الصخرية الى العشـــة التى يبدأ عندها النفق الذى حفرناه ·· تبين لنا أن فتحة النفق ضيقة ولا تتســـع لمرور الرحى وعندئذ

تقدم جيم وأمسك بالعتلة الحديدية ، وحضر لتوسيع فتحة النفق حتى أدخلنا الرحى من خلالها ..

وقام توم بكتابة النماذج الخاصة بذكريات السجين جيم وأحزانه على سطح الرحى ، وطلب من جيم أن يحفر الحروف والكلمات باستخدام المسمار ومطرقة صغيرة من الحديد .. وأن يستمر في الحفر باخفاء الرحى تحت مرتبة السرير المحشوة بالقش حتى يذوى ضوء الشمعة .. وعندئذ عليه أن يقوم وينام عليها .

وفي النهاية ساعدنا جيم في ربط السلسلة برجل السرير كما كانت من قبل ، وتأهبنا للانصراف .. ولكن فكرة جديدة برقت في ذهن توم ، فصاح قائلا :

– جيم .. هل لديك هنا بعض العناكب .. ؟

– الحمد لله .. ليس لدى عنكبوت واحد يا مستر توم !

ـ هذا لايهم ·· سنقوم باحضار بعض العناكب ··!

ـ لا ·· أرجوك يامستر توم ·· انى أخاف من العناكب الى درجة الموت ·· وأخاف منها أكثر مما أخاف من الحيات ذوات الأجراس !

وهنا طرأت فى ذهن توم فكرة جديدة ، فقال بعد لحظة تامل :

ـ هذه فكرة جيدة يا جيم ·· لكن أين ستحتفظ بها يا جيم ·· ؟!

ـ احتفظ بماذا يا مستر توم ·· ؟!

ـ بالحية ذات الجرس !

ـ يا للسماء ·· أرجوك يا مستر توم ·· اذا أحضرت حية من ذوات الجرس الى هذا الكوخ فسوف أقفز من النافذة مهما كان الثمن ·· !

ـ ولكن لماذا تخاف من الحية ذات الجرس الى هذا الحد ·· وعلى أية حال يمكنك أن تتخلص من

كل هذا الخوف بعد فترة عندما تعتاد عليها .. انك تستطيع ان تستأنسها ..

ـ استأنسها ؟ .. هذا مستحيل !

ـ لا .. انه أمر فى منتهى السهولة .. جميع الحيوانات يمكن أن تستأنس وتصبح وديعة اذا عاملتها بشفقة وحنان .. ولايمكن أن يؤذى الحيوان شخصا يعطف عليه ويعامله برقة .. ان أى كتاب تفتحه تجد فيه هذه المعلومات .. وأنا متأكد من أن الحية ذات الجرس ستحبك وتنام معك على سريرك .. بل وستلتف حول رقبتك لتداعبك .. وستضع رأسها بداخل فمك !

ـ أرجوك يا مستر توم .. لاتقل مثل هذا الكلام أرجوك .. أنا لا أريد أن تضع الحية رأسها فى فمى .. ولا أريد أن تنام معى على سريرى !

وهنا قبل توم توسله وقال :

ـ طيب .. دعنا من الحية ذات الجرس ..

ما رأيك فى ثعابين الأعشاب ‥ انهـا لاتضر لأنهـا خالية من السم ‥ ويمكنك أن تحتفظ هنا بمجموعة من هذه الثعابين ‥ وتعلق فى ذيولها بعض الأزرار ‥ وتتظاهر بينك وبين نفسك أنها حيـات من ذوات الجرس ‥ واعتقد أن مثل هذا التظاهر يجوز فى بعض الأحيان ‥

ـ انى لا أحب جميع أنواع الثعابين يامستر توم ‥ واستطيع أن أعيش هانئا بدونهـا ‥ لم أكن أتصور أن حياة السجين يمكن أن تصبح صعبة وفظة على مثل هذا النحو ‥

ـ انها حياة صعبة بالفعل ‥ خصوصـا اذا طبقنا جميع القواعد ‥ قل لى ‥ هل لديك فئران فى هذا الكوخ ‥؟!

ـ لا ياسيدى ‥ لم أشاهد فى هذا الكوخ فأرا واحدا ‥

ـ اذن فسوف نحضر اليك بعض الفئران ‥!

ـ لماذا يا مستر توم ·· أنــا لا أحب الفئران ولا أريدها ·· انها أسوأ أنواع المخلوقات ·· ورؤيتها تصيب الجسم بقشعريرة !

ـ ولكن يا جيم ·· لابد ان تكون هناك بعض الفئران ·· لايمكن تصور أن هناك ســـجينا بدون فئران ·· فالمساجين دائما يتعايشون مع الفئران ، ويعطفون عليها ، ويقومون بتدريبها على عمل بعض الخـدع والأشــياء الأخرى ·· وفى النهــاية يصبحون أصدقاء للفئران ، وتصبح الفئران أصدقاء لهم ·

وتنهد جيم مستسلما ·· ومرت لحظات كان توم يفكر خلالها ·· وعندما انتهى من تفكيره قال :

ـ هناك شيء آخر كدت أنساه ·· هل تستطيع أن تزرع زهرة فى هذا الكوخ ·· ؟

فقال جيم :

ـ يمكن استنبات أحــد الأعشـــاب البرية الموجودة بكثرة خارج هذا الكوخ ·· ولكن هذا عمل لايستحق العناء ولا الجهد الذى سيبذل فيه ··

وقال توم معترضا :

ـ لا ٠٠ من الضرورى ان تكون هناك زهرة ٠٠ وسنحضر اليك أحد أعواد النبات لتزرعه هنا فى هذا الركن من الكوخ ٠٠ وليس من اللائق أن تسميه عشبا بريا ٠٠ بل من الأفضل أن تسميه « بهجة السجين » ٠٠ ويجب عليك أن ترعاه الى أن يكتمل نموه ويزدهر ٠٠ وعليك أن ترويه بدموع عينيك ٠٠!!

ـ ولماذا أرويه بالدموع يامستر توم ٠٠ لدى الكثير من الماء ٠٠ ويمكننى أن أسقيه بسهولة ٠٠

ـ هذا ضد القواعد ٠٠ وجميع المساجين يروون زهورهم الخاصة بالدموع ٠٠ انهم يفعلون ذلك دائما٠٠

ـ ولكنى لا أستطيع أن أذرف الدمع هكذا بسهولة ٠٠ بل انى لم أبك فى حياتى سوى مرات قليلة جدا ٠٠ فكيف أروى الزهرة بدموعى ٠٠؟!

وشعرت بأن توم قد انهزم أمام هذا المنطق ٠ ولكن توم لايغلب أبدا ٠٠ فظل يفكر للحظة بسيطة ٠٠

وقال بعدها أن جيم يستطيع ان يذرف الدمع بسهولة اذا شم بصلة ·· ووعده بأنه سيتسلل فى الصباح الى المطبخ ويسرق بصلة كبيرة سيهربها له بداخل ابريق القهوة !

واعترض جيم على ذلك قائلا بأن وضع البصلة بداخل الابريق سيفسد طعم القهوة ·· واعترض أيضا على قيامنا من قبل بتهريب الطباق بداخل ابريق القهوة ·· لأن ذلك قد أفسد الطباق وجعله غير صالح للتدخين ·· كما اعترض كذلك على كثرة الواجبات التى أصبحت ملقاة على عاتقه ·· فعليه أن يقوم برعاية هذا العشب البرى حتى يزدهر ·· وأن يعقد صداقة مع الفئران ويعطف عليها ويسليها ·· وأن يتعايش أيضا مع الحيات والثعابين والعناكب وغيرها من الحشرات الأخرى ·· وفوق هذا كله عليه أن يقوم بحفر الرحى الصخرية ليكتب ذكرياته وأحزانه على سطحها بواسطة المسمار ·· وهذه كلها واجبات ثقيلة ومسئوليات صعبة لايستطيع أن يتحملها ··

وهنا فقد توم صبره ، وعاتب جيم قائلا بان أمامه أعظم الفرص لكى يصبح من أشهر المساجين فى هذا العالم ، ولكنه يريد أن يضيعها بهذه الاعتراضات غير المعقولة ..

واعتذر جيم لتـوم .. ووعده بأنه لن يعترض مرة أخرى على أى شيء ..

وعندئذ خرجنا أنا وتوم من الكوخ .. وتوجهنا الى البيت ..!

الفصل العشرون

الفئران والثعابين والرسائل المجهولة !

وفى الصباح ذهبنا الى القرية ، واشترينا مصيدة للفئران مصنوعة من السلك .. ووضعناها فى مواجهة أحد الجحور الكبيرة بالبيت .. وفى خلال ساعة واحدة اصطدنا خمسة عشر فأرا من أحسن الفئران ..

ووضعنا كل هذه الفئران فى قفص خبأناه تحت سرير الخالة سالى .. ولكن أحد أبنائها الصغار تسلل تحت السرير وفتح باب القفص ليرى ما اذا كانت الفئران ستفر من القفص أم تبقى فيه ..

وعدنا الى البيت على صراخ الخالة سالى ..
ووجدناها واقفة فوق السرير ، وتصرخ بأعلى صوتها ..
والفئران تجرى تحت قدميها وفوق السرير وفى كل جوانب الغرفة .. وضربتنا الخالة بعصا كانت فى يدها .. فجرينا الى الخارج .. وقضينا نحو ساعتين حتى اصطدنا خمسة عشر أو ستة عشر فارا آخرين..!

كذلك فقد اصطدنا مجموعة كبيرة من العناكب ومختلف الحشرات والمخلوقات الأخـــرى .. كمـــا اصطدنا نحو دستتين من ثعابين الأعشـــاب وثعابين البيوت وضعناها فى كيس خبأناه بغرفتنا ..

وبعد أن انتهينا من تنـــاول العشاء فى تلك الليلة ، وتوجهنا الى غرفتنا ، فوجئنـــا بأن جميع الثعابين قد هربت من الكيس ، لأننا فيما يبدو لم نكن قد أحكمنا اغلاق الكيس الذى يحتويها .. غير أننا لم نهتم كثيرا بهروب الثعابين فهى مازالت فى البيت وربما اخذت تتجول هنـــا وهناك فى بعض

الحجرات ، لذلك فان من السهل أن نقوم بجمعها مرة أخرى .

ولكن الثعابين انتشرت في معظم أنحاء البيت .. وكانت تظهر من مخابئها بين حين وآخر .. كنت تراها مثلا وهي تتسلل اليك من بين الشقوق أو من عوارض النوافذ .. أو تجدها فجأة قد سقطت في طبقك وانت جالس الى المائدة تتناول طعامك .. أو تزحف بنعومة على قفاك وتدخل الى ظهرك من خلال فتحة قميصك .. !!

ومع ذلك فقد كانت جميع الثعابين طيبة وغير مؤذية ، بالاضافة الى أنها كانت جميلة وهي تتهادى بيننا بأجسامها ذات الخطوط الملونة !

ولكن الخالة سالى كانت تخاف من جميع أنواع الثعابين .. لافرق بين المؤذية منها أو غير المؤذية ، أو الملونة منها أو غير الملونة .. كانت الثعابين لديها سواء .. وكانت تصاب برعب قاتل حين ترى ثعبانا يزحف نحوها ، أو حتى يزحف بعيدا عنها .. أما اذا تجاسر ثعبان وزحف على ذراعها أو على صدرها ، فان

الخالة كانت تلقى بأى شىء يكون فى يدها .. وتهب مذعورة ، وتنتفض بشدة ، وتصرخ بأعلى صوتها .. فى الحقيقة لم أر فى حياتى أمرأة مثلها .. !

أما المصيبة الكبرى ، فكانت تحدث حين تجد الخالة أحد الثعابين وقد تمدد على سريرها .. فعندئذ كانت تطلق صراخها ، وكأن البيت قد شب فيه حريق هائل ..!

وظلت الخالة تخاف من سيرة الثعابين حتى بعد أن اختفى آخر ثعبان كان بالبيت وحين كنا نراها جالسة تستريح أو لتفكر فى شىء ، كنا نعبث فى رقبتها بطرف ريشة لأحد الطيور نمررها بلطف على قفاها أو على طرف أذنها ، وعندئذ كانت تنتفض مذعورة كأن الشيطان نفسه قد مسها .. وتبدو كما لو كانت تريد أن تقفز بجسمها خارجة من ملابسها !.. وقد أفهمنى توم أن جميع النساء يتصرفن على مثل هذا النحو .. وأنهن قد خلقن هكذا ربما لسبب أو لآخر .. !

وكانت الخالة تضربنا بالعصا فى كل مرة يظهر فيها أحد الثعابين فى أى مكان بالبيت ·· وكانت تقول لنا فى كل مرة ، ان الضرب بالعصا لن يعتبر شـيئا عاودنا جمع الثعابين مرة أخرى ··!

غير أننا لم نهتم كثيرا بعصا الخالة ، فقد كانت غير مؤلمة ، كما كانت الخـالة تضربنـــا برقة ·· أما اهتمامنـا كله ، فقد انصرف نحو تجميع الثعابين الهاربة بالاضافة الى تجميع ثعابين جديدة ·· !

وبعد أن جهزنا كل شيء ·· وأصبح لدينا كل مانطلبـه من الثعابين والفئران والعناكب والحشرات والمخلوقات الأخرى ·· ذهبنـــا الى جيم ، وأطلقناها جميعا بداخل الكوخ ·· وعلى الفور بدأت تمرح فى جميع الانحاء وجميع الأركان ··

كان جيم لايحب العناكب ·· كما كانت العناكب لا تحبه ·· أما بالنسبة للفئران والثعـــابين والرحى الصخرية ، فقد قال لنا توم أنها تملأ عليه الكوخ ،

لدرجة أنه أصبح لايجد مكانا للنوم ٠٠ وقال لنا جيم انه اذا خرج من هذا الكوخ بعد أن نطلق سراحه ، فلن يصبح سجينا مرة أخرى ، حتى ولو أعطوه مرتبا مقابل ذلك !!

وفى خلال الأسابيع الثلاثة التالية ٠٠ كان كل شيء يسير على مايرام وبشكل مقبول ٠٠ فقد هربنا القميص الى جيم بداخل كعكة ٠٠ وذلك حتى يتمكن جيم من كتابة أو نقش بعض العلامات بدمه على قماش القميص ٠٠ ونبهنا عليه بأنه اذا عضه فأر من الفئران وسال منه الدم ، فان عليه أن يغمس سن القلم فى دمه ويكتب على القماش بهذا الحبر الطازج ٠٠!

وفى خلال نفس الفترة أيضا انتهينا من صنع جميع الأقلام وتوضيب سـنونها ، كما دونا جميع الذكريات والأحزان على سطح الرحاية الصخرية ٠٠ كما قمنا بنشر رجل سرير جيم وقسمناها الى نصفين وقد ابتلعنا كل النشارة التى تخلفت عن عملية النشر ٠٠ فأصبنا جميعا بالمغص ووجع البطن حتى كدنـا

نشعر باقتراب الموت .. ولكن ذلك لم يحدث كما كان متوقعا .

وفى النهاية أصبحنا كلنا متعبين منهوكى القوى .. وكان جيم أكثرنا تعبا وانهاكا .. !

وكان العم سيلاس فلبس قد كتب عدة خطابات للمزرعة المجاورة لنيوأورلينز ليحضروا لاستلام عبدهم الهارب .. ولكن العم لم يصله أى رد على خطـــاباته لسبب بسيط .. فليست هناك مزرعة اسمها المزرعه المجاورة لنيو أورلينز !

لذلك فقد قرر العم ســـيلاس أن يكتب اعلانا ينشره فى الجرائد التى تصدر فى نيو أورلينز ، والجرائد التى تصدر أيضا فى سان لوبس .. وقد أصبت بصدمة حين سمعت العم يذكر جرائد سان لويس ، فمعنى ذلك أن جميع جهـــودنا ستضيع فى لمح البصر .. وقلت لتوم : لم يعد لدينا أى وقت نضيعه ، ويجب أن نتصرف فورا ..

وقال توم موافقا :

ـ نعم ٠٠ لقد حان الآن وقت ارسال الرسائل المجهولة !

فتساءلت مندهشا :

ـ وما هى هذه الرسائل المجهولة ٠٠ ؟!

فقال توم ببساطة :

ـ هى رسائل تحذير بدون توقيع ٠٠ تكتب بطريقة أو بأخرى ٠٠ وترسل أو تسلم بعدة طرق غامضة ٠٠ وفى أحيان كثيرة يكون هناك شخص ما ، يقوم بابلاغ حاكم القلعة بالأخبار اللازمة ٠٠ ان لويس السادس عشر نفسه حين غادر قصر التويلرى ، أعطى احدى رسائله المجهولة لاحدى الفتيات التى قامت بنقلها ٠٠ انها طريقة جيدة لارسائل تلك الرسائل المجهولة الخالية من التوقيع ٠٠ سوف نتبع تلك الطريقة فى ارسال رسائلنا ٠٠ كما أن هناك

شيئا آخر فى غاية الأهمية ٠٠ فمن المعتاد غالبا أن تقوم أم السجين بزيارته بين حين وآخر ٠٠ وفى احدى هذه الزيارات تقوم الأم باعطاء ملابسـها للسجين ليتنكر بهـا حين يهرب ، وتقوم هى بارتداء ملابس السجين وتحل مكانه ٠٠ لابد أن نستخدم هذه الطريقة أيضا ٠٠ !!

ـ أرجو أن تسمعنى ياتوم ٠٠ لماذا بحق الله نقوم بتحذير الناس مما سنفعله ٠٠ لماذا لاندعهـم يكتشفون الأمر بأنفسهم ٠٠ فهذا هو شغلهم ٠٠ !

ـ نعم أعرف ذلك ٠٠ ولكنك لاتستطيع أن تعتمد عليهم فى مثل هذه الأمور ٠٠ انهم فى كثير من الأحيان يكونون أغبياء أو يثقون بأنفسهم لدرجة أنهم لا يلاحظون شيئا ٠٠ ولذلك فان من واجبنا أن ننبههم ونحذرهم والا فان جميع الجهود التى بذلناها ستضيع هبـاء ولن يلحظها أحد ٠٠ وبذلك تصـبح جميع أعمالنـا بلا قيمة !

ـ بالنسبة لى ٠٠ فان هذا الأمر لايهم !

واشمأز توم من قولى ٠٠ وقال باستهتار :

ـ ولكن بالنسبة لى ٠٠ فان هذا الأمر فى غاية الأهمية ٠٠ !

فقلت وأنا أضع حدا للخلاف :

ـ وهو كذلك ياتوم ٠٠ اننا لن نختلف أبدا٠٠ أنا موافق على كل أمر يروقك ٠٠ ولكن قل لى ٠٠ من أين سنحضر الفتاة الخادمة التى ستقوم بتوصـــيل الرسـائل المجهولة ٠٠ ؟!

ـ هذا موضوع فى غاية البساطة ٠٠ ستقوم أنت بأداء دور الفتاة الخادمة ٠٠

ـ أنا ٠٠ ؟!

ـ نعم ٠٠ وكل ما عليك أن تتسلل الى غــرفة الخادمة ليزا بعد أن ينتصف الليل ٠٠ وتسرق ملابسها لترتديها وتمثل بها الدور المطلوب ٠٠ !

ـ ولكن أرجو [illegible]ن تلاحظ ياتوم أن هذه العملية [illegible] [illegible] كبيرة فى صباح اليوم التالى ·· ومن [illegible] يكون لدى ليزا الخادمة أية ملابس أخرى [illegible] تلك التى سأسرقها ·· فماذا ستكون النتيجة ··؟

ـ انى أعرف ذلك تماما ·· أننا لن نحتاج هذه الملابس لأكثر من ربع ساعة فقط ·· مجرد أن ترتديها، وتذهب فورا لوضع الرسالة المجهولة الأولى تحت عقب الباب ، ثم تعود فورا لتعيد ملابس الخادمة ليزا فى مكانها ·· هذا هو كل المطلوب ·· !

ـ وهو كذلك ·· ولكن ما أهمية قيامى بتوصيل الرسالة المجهولة وأنا أرتدى ملابس الخادمة ؟ · انى أستطيع أن أؤدى هذه المهمة بملابسى العادية ·· ما الفرق ·· ؟!

ـ اذا ذهبت لتوصيل الرسالة المجهولة وأنت تلبس ملابسك العادية ·· فانك لن تبدو مثل الفتاة الخادمة ·· هذا هو الفرق !

ـ ولكن ياتوم ٠٠ هذا لايهم مادمت سأقوم بأداء هذه المهمة سرا ودون أن يرانى أحد ٠٠ أو يعرف أحد ان كنت أرتدى ملابس الخادمة أم لا ٠٠ !

ـ اسمع ياهك ٠٠ أن علينا أن نؤدى واجباتنا دون أن نضع فى الاعتبار ما اذا كان الآخرون يروننا أو لا يرون شيئا على الاطلاق ٠٠ !

ـ طيب ياتوم ٠٠ وهو كذلك ٠٠ سأقوم أنا بدور الفتـــاة الخادمة ٠٠ ولكن من ســـيقوم بدور أم السجين ٠٠ ؟!

ـ بسيطة ٠٠ ســـأقوم أنا بدور أم الســجين وسأسرق رداء من ملابس الخالة سالى ٠٠ !

ـ معنى ذلك أنك ستعطى ملابس الخالة لجيم ليتنكر بها ويهرب وتبقى أنت سجينا بالكوخ ٠٠ !

ـ لا ٠٠ من ذا الذى قال ذلك ٠٠ سآخذ ملابس جيم بعد أن يخلعها ٠٠ وأحشوها بالقش وأمددها على السرير فتبدو مثل الشخص النائم ٠٠ وبعد أن يرتدى

جيم ملابس أم السجين سيكون فى استطاعتنا عندئذ أن نهرب جميعا ، وننطلق الى آفاق الحرية ..

وهكذا لم نضيع الوقت .. وكتب توم رسالة مجهولة .. وقمت بسرقة ملابس ليزا وأرتديتها .. وأخذت الرسالة ، ومررتها الى داخل البيت من تحت عقب الباب الأمامى .. وكانت الرسالة تقول :

« احذروا وكونوا متنبهين .. ان المتاعب قادمة .. افتحوا عيونكم جيدا .. »

« الصديق المجهول »

وفى الليلة التاليــة .. أرسلنا رسالة مجهولة أخرى دسسناها من تحت عتبة البـــاب الأمامى .. وكانت هذه الرسالة عبارة عن رسم لجمجمة وعظمتين متقاطعتين كشعار القراصنة .. وقد رســم توم هذا الشعار بالدم ..

وفى الليلة الثالثة أرسلنا رسالة أخرى تتضمن رسما لتابوت من توابيت الموتى ..

وقد قلبت هذه الرسائل جميع أحوال العائلة ر أسا على عقب .. ولم أر في حياتي عائلة بأكملها أصبحت تخاف ، وتتصبب عرقا من شدة الرعب هكذا .. كانوا كلهم مذعورين وكأن البيت قد امتلأ عن آخره بجميع أنواع العفاريت والأشباح ..

وأثناء تناول العشاء ، سمعناهم يقولون بأنهم قد وضعوا خادما لحراسة الباب الأمامي للبيت وخادما آخر لحراسة الباب الخلفي ..

وقبيل طلوع الفجر .. كنا قد أعددنا رسالة مجهولة طويلة .. وقفز توم من نافذة الغرفة الى السقف المائل ، ثم الى عمود النور ثم الى الأرض .. وتسلل ليستطلع الأمر .. فوجد أن حارس الباب الخلفي للبيت قد استغرق في النوم .. وانتهز توم هذه الفرصة ، وقام بتعليق الرسالة المجهولة على ظهر الحارس ..!

وكان نص هذه الرسالة الخطيرة كما يلي :

« ان عصابة متوحشة من قاطعي الرقاب ستقوم بسرقة العبد الهــارب هذه الليلة ·· وقد قامت هذه العصابة بتخويفكم وملأت قلوبكم بالرعب حتى تلزموا البيت ولا تخرجوا الى مطاردتها أثنــاء قيامهـا بسرقة العبــد الهارب ·· وأنا عضـــو بهذه العصابة ولكنني متدين وأردت أن أتوب عن فعل الأشياء الشريرة وأعود الى الحياة الطيبة ·· ولهذا ·· فهأنذا أفشي لكم كل أسرار العصابة وكل خططها ·· انهم سيجيئون من ناحية شمال السور ·· وسيكون معهم مفتاح مزيف سيفتحون به باب الكوخ ويستولون على العبد الهارب ويهربون ·· وقد كلفتني العصابة بأن أقف في مكان ما فوق السور لأراقب المكان أثناء قيـــام العصـــابة بعملية السرقة ، وكلفوني بأن أنفخ في نفير من الصفيح لأحذرهم اذا تعرضوا لأى خطر ·· ولكن لأجل خاطركم فلن أنفخ في النفير ·· وعندما تدخـل العصابة الى الكوخ لتفك السلسلة التى ربط فيها العبد الهارب ·· سأقوم بالمأماة مثـل الخروف ·· ولتكن هذه علامة إتفق عليها معكم ·· ويمكنكم بمجرد سماع تلك المأماة

أن تهجمـــوا على أفراد العصـــابة وهم بداخل الكوخ ،،
وتقتلوهم عن آخرهم .. عليكم أن تنفذوا تعليمـاتي
هذه حرفا حرفا .. والا فان كل شيء سينهار وتحدث
متاعب لاحد لها .. وأنا لا أريد منكم مكافأة على ذلك
.. يكفيني انى أرضيت ضـــميرى وفعلت شـــيئا
طيبا .. ! »   « الصديق المجهول »

الفصل الحادى والعشرون

جيم .. هانتذا حر من جديد !

تناولنا افطارا طيبا فى الصباح .. وأخذنا معنا طعام الغداء .. وتظاهرنا بأننا سنذهب لصيد السمك. ولكن ما أن وصلنا الى المكان الذى خبأت فيه قاربى الخفيف بين أعشاب شاطىء النهر ، حتى ركبنا القارب واتجهنا فورا الى المكان الذى اخفيت فيه الطوف ..

وعندما وجدنا الطوف سليما وفى حالة جيدة ، اطمأن قلبانا .. وقضينا وقتا سعيدا ممتعا ..

ولكن عندما عدنا قرب المســاء لتناول طعام

العشاء ، وجدنا البيت كله مقلوبا ٠٠ وكان الجميع في حالة من الاضطراب يفوق الوصف ٠٠ وبمجرد أن انتهينا من تناول الطعام ، حتى أرسلونا فورا الى غرفة النوم ٠٠ ولم يقل لنا أحد ولو كلمة واحدة عن الرسالة المجهولة الأخيرة ٠٠ وبطبيعة الحال فقد كنا فى غنى عن ذلك ٠٠ لأننا نعرف ما جاء بتلك الرسالة أكثر من أى شخص آخر ٠٠

وعندما أصبحنا فى منتصف درجات السلم . أدارت الخالة سالى ظهرها لنا ، فتسللنا فورا الى دولاب الخزين وأخذنا بعض الطعام استعدادا للمغامرة التى سنقوم بها هذه الليلة ٠ وحملنا الطعام معنا الى غرفتنا ٠٠ ونمنا نوما متقطعا حتى أصبحت الساعة الحادية عشرة والنصف قبيل منتصف الليل ٠٠ وعندئذ ارتدى توم ملابس الخالة التى سرقها من قبل ٠ وفحص الطعام الذى سيحمله معه عندما يقوم بدور أم السجين ٠ وقال توم :

- أين الزبد ٠٠ ؟!

فقلت :

ـ لقد وضعت قطعة من الزبد على رغيف الخبز ..

ـ لا .. ليس هناك زبد .. !

ـ ولنفترض انه ليس هناك زبد .. فما أهمية ذلك .. ان فى استطاعتك أن تقوم بدورك بدون ـ زبد ..!

ـ ويمكننى أيضا أن أقوم بدورى بالزبد .. هيا اذهب الى الدولاب وخذ بعض الزبد .. ثم ... أن تتسلل عبر النافذة وتهبط على عمود النور و... بى فى الكوخ .. وسأذهب أنا الى هناك ... لأحشو ملابس جيم بالقش وكن مستعدا للمأمأة مثل الخروف عندما أعطيك اشارة بذلك ..

وتسللت ببطء الى حيث يوجد دولاب الخزين وتناولت قطعة من الخبز وضعت عليها قطعة كبيرة من الزبد .. وأطفأت الشمعة التى كنت أحملها لتساعدنى على الرؤية فى الظلام .. وتسللت بهدوء

مرة أخرى آخذا طريقى الى الطابق السفلى ٠٠ وبغتى فجأة رأيت الخالة سالى قادمة وهى تمسك فى يدها شمعة مضاءة ٠

وعلى الفور وضعت الخبز والزبد فى القبعة ، ووضعت القبعة فوق رأسى ٠٠ وفى نفس اللحظة شاهدتنى الخالة على ضوء شمعتها ٠٠ فقالت لى مندهشة :

ـ ماذا تفعل بغرفة الخزين فى هذا الوقت من الليل ٠٠ ؟!

ـ لا أدرى يا سيدتى ٠٠ لا أدرى !

ـ لاتدرى ؟! ٠٠ هه ٠٠ اذهب الآن وانتظرنى فى غرفة الجلوس ٠٠ لابد أن أعرف ماذا كنت تفعل فى غرفة الخزين ٠٠!

وذهبت الى غرفة الجلوس كما قالت ٠٠ وهناك فوجئت بوجود جمهور غفير ٠٠ خمسة عشر من المزارعين ٠٠ وكل واحد منهم يمسك بندقية ! ٠٠ وطبعا لم أستطع أن أرفع قبعتى تحية لهم ٠٠ !

كان هؤلاء المزارعون قلقين رغم تظاهرهم بالهدوء
.. وكنت أود أن تحضر الخالة فورا لتنتهى من أمرى
.. اذ كان على أن أذهب الى الكوخ بأقصى سرعة لاخبار
توم بما يحدث ، ولكى نقـــوم بتهريب جيم ونتمــكن
جميعا من الافلات من هذا الجيش القادم ..

وجاءت الخالة .. وبدأت تسألنى عدة أسئلة ..
ولكننى تلعثمت ولم أستطع الرد بطريقة مقنعة .. لقد
كنت مضطربا غاية الاضطراب لأنى لاحظت ان المزارعين
قد بدأوا يفقدون صبرهم وأخذوا يتململون وكأنهــم
يريدون أن يدخلوا المعركة فورا .. فالســاعة الآن
تقترب من منتصف الليل .. وهو الوقت المحدد لقيام
عصابة قاطعى الرقاب بسرقة العبد الهارب ..

وقال أحد المزارعين بعد أن نفد صبره تماما ..
أنه سيذهب الآن الى الكوخ وسيختبىء بداخله ليقوم
بقتل العصابة بمجرد مجيئهم الى الكوخ ومحاولتهــم
فتح بابه .. وقال مزارعــون آخرون ان من الأفضــل
أن ينتظروا جميعــا حتى يسمعوا مأمأة الخــروف

باعتبارها الاشارة التى سيعطيهم ايها الصديق المجهول ليشرعوا فورا فى الهجوم على العصابة ..

كل هذا كان يحدث أمامى بينما كانت الخالة تواصل سؤالى سؤالا تلو سؤال .. وأنا غارق فى خوفى ومضطرب غاية الاضطراب .. وبدأت الزبد تسيح فوق رأسى .. وسالت على خدى ..

وفجأة شحب وجه الخالة وأصبح فى لون الملاءة البيضاء .. **وقالت وهى تشعر بذعر هائل :**

ـ وبلاه .. ماذا حدث للغلام .. انه يعانى من حمى شديدة فى مخه .. ان مخه قد بدأ يسيل من رأسه .. !!

وانتبه الجميع الى صياح الخالة ، والتفوا حولى ينظرون ماذا حدث .. وتقدمت خالتى ورفعت القبعة عن رأسى فسقط الخبز وبقايا قطعة الزبد .. وعندئذ احتضنتنى الخالة وأخذت تربت على ظهرى ، **وقالت بعطف :**

ـ يا بنى العزيز .. أمن أجل هذا تد..!!

الى غرفة الخزين .. لقد قلقت عليك حين رأيت هذا الزبد يسيل من رأسك .. لقد اعتقدت ان مخك قد انفجر وبدأ يسيل على وجهك .. والآن .. فلنصعد الى غرفتك لتنام في هدوء ولاتجعلنى أرى وجهك الا فى صباح الغد .. !

وفى ثانية واحدة صعدت الى غـــرفتى .. وفى الثانية التالية ، كنت أهبط على عمود النور ، وانطلقت بأقصى سرعة تجاه العشة ومنها تسللت عبر النفق الى داخل الكوخ ..

وبصعوبة بالغة بدأت ألتقط أنفاسى .. وقلت لتوم بأن علينا الآن أن نغـــادر الكوخ بأقصى سرعة حيث لم يعد أمامنا سوى دقيقة واحدة .. وأن البيت مملوء بالرجال الذين يحملون البنادق .. وهم قادمون نحونا بين لحظة وأخرى ..

وهنا برقت عينا توم وقال بفخر :

ـ حقا ؟! .. هل وصل الأمر الى هذا الحد ؟!..

لقد كان باســـتطاعتى أن أدبر بعض الأشياء الأخرى

حتى يصل عدد هؤلاء الرجال ذوى البنادق الى نحو مائتين ٠٠ على أية حـــال ففى المرة القادمة سأحاول ذلك ٠٠

فقاطعته متلهفا :

ـ أسرع أسرع ياتـوم ٠٠ ليس هنـاك وقت لذلك ٠٠ أين جيم ٠٠ ؟!

ـ هاهو بجوارك ٠٠ لقد ارتـدى الملابس التى اتفقنا عليها ٠٠ وكل شىء الآن جـاهز ٠٠ وسنهرب جميعا عبر النفق ٠٠ وبمجرد خروجنا سأعطيهم اشارة مأمأة الخروف التى ينتظرونها لبدء الهجوم ٠٠

ولكننا تسمرنا جميعا فى مكاننا بعد أن سمعنا خطوات الرجال بقرب الكوخ ، وبدأوا يفتحون قفله ٠٠ وسمعنا أحد الرجال يقول :

ـ لقد جئنا مبكرين قبل وصول العصابة ٠٠ فقفل الباب مازال مغلقا ٠٠ والآن سـأفتح البـاب ليختبىء بعضكم بداخل الكوخ ٠٠ وفى الظلام ٠٠

انتظارا لوصول العصابة ٠٠ وعندما تبدأ العصابة فى الدخول من باب الكوخ أطلـــقوا عليهم النـــار فورا وأردوهم قتلى ٠٠ وسيبقى بعض الرجـال فى الخارج للمراقبة ، أو للهجوم على العصابة فور وصولها ٠

وفى لحظة كان الرجال قد دخلوا الى الكوخ ومعهم بنادقهم ٠٠ ولكنهم لم يرونا فى الظلام ٠٠ واختبـأنا جميعا تحت السرير ٠٠ ثم تسللنا بهدوء وصمت تام عبر النفق وأصبحنا الآن بداخل العشة ٠٠ ولكنــا توقفنا تماما عن الحركة حين سمعنا وقع أقدام بالقرب من باب العشة الخارجي ٠٠ وانتظرنا لحظات قلقـة بينما كانت الاقدام تقترب وتبتعد ثم تقترب مرة أخرى ٠٠ وقال توم فى همس انه سيعطينا اشارة الخروج فى الوقت المناسب ٠٠ ويجب أن نكون مســـتعدين تماما ٠٠ وأن يخرج جيم أولا ، ثم أتبعه أنا ، ثم يلحق بنا توم فى النهاية ٠٠ وأخذ تـوم يتصنت الى وقع الأقدام ويقدر الموقف ٠٠ وأخيرا أعطانا الاشارة ٠٠ !

وفى لمح البصر أصبحنا جميعا خارج العشة ٠٠ وانطلقنا فوق السور وتسلقناه ٠٠ ولكن ملابس توم

اشتبكت فى أحد المسامير ، فجذبها توم بقوة ، فحدثت جلبة وفرقعة مسموعة ٠ وعندئذ صاح أحد الرجال :

ـ من هنـــاك ٠٠ أجب والا أطلقت عليك النار ٠٠ !!

وبطبيعة الحال لم يجب أحد ٠٠ بل انطلقنـا فارين بسرعة البرق ٠٠ وانهمرت علينـا طلقـــات الرصاص التى كانت تئز بجوار آذاننـا ٠٠ وسمعنا بعض الرجال يصيحون فى سكون الليل :

ـ هاهم أفراد العصابة ٠٠ انهم يتجهون صوب النهر ٠٠ فلنلحق بهم يارجال ٠٠ وأطلقوا الكلاب فى أثرهم !

وانطلقوا جميعا وراءنا ٠٠ وقبل أن نصل الى الطاحونة ، كانوا قد اقتربوا منا الى درجة خطيرة ٠٠ فراوغناهم واختبأنا بداخل الأعشاب الى أن تجاوزونا٠٠ ثم جـــاءت بعدهم الكلاب ٠٠ وكانت لحسن الحظ كلابنا ٠٠ وشعرنا كأن الكلاب كانت تحيينا بسرعة ،

ثم انطلقت وراء الرجال حيث الصياح والاضطراب على أشـــده ..

وما أن ابتعد الرجال عنـا قليلا حتى انطلقنا وراءهم الى أن وصلنا الى مبنى الطاحونة ، وهنـاك عرجنا الى الغابة حيث كنت أخفى قاربى .. فرمينا أنفسنا فيه وبدأنا نجدف بأقصى همة الى أن أصبحنا في منصف النهـر .. ثم اتجهنا الى الجزيرة حيث أخفينا الطوف .. وكانت تتطرق الى أسماعنا بين حين وآخر ، أصوات الرجال وهم يتصايحون على الشاطىء الآخر .. وظلت أصواتهم تخفت رويدا رويدا الى أن اختفت تماما **وعندئذ قلت لجيم وأنـا أشعر بفوح عـارم :**

ـ جيم .. هأنتذا حر من جديد !

فقال جيم معبرا عن عرفانه بالجميل :

ـ يا لهـــا من مغامرة رائعة .. لقد خططت باحكام .. ونفذت بدقة وسلاسة .. ان أحدا لايمكنه

ان يصدق أو يتصور أية مغامرة أخرى أكثر صعوبة وأشد تعقيدا من تلك المغامرة !

لقد كنا جميعا نشعر بقمة السرور والفرح . ولكن توم كان أكثرنا سرورا وفرحا .. فقد أصيب برصاصة فى رجله .. !!

وما أن سمعنا أنا وجيم بهذا الخبر المفاجىء حتى تلاشى على الفور سرورنا وفرحنا .. لقد كان جرح توم ينزف دما ، ويؤلمه بشدة .. فقمنا بتمزيق أحد قمصان الدوق على شكل أشرطة وربطنا الجرح حتى يتوقف النزيف .. وقال توم لاهثا :

– اعطونى الأربطة لأضمد هذا الجرح بنفسى .. أما انتم فلا تضيعوا الوقت .. ولنهرب جميعا من هذا المكان فورا .. هيا .. ليفك أحدكما رباط الطوف .. وليمسك الآخر بمجداف التوجيه .. هيا يا أولاد .. لاتضيعوا الوقت عبثا .. فلننطلق. بالطوف بأقصى سرعة .. لقد نفذنا الخطة باحكام يا أولاد .. لقد كان بوسعنا أن نضع خطة لتهريب

لويس السادس عشر ملك فرنسا ·· لو أن أحدا طلب منا القيام بذلك ·· !!

وبينما كان توم يصدر أوامره هكذا ·· تحادثنا أنا وجيم فى الأمر وأخذنا نفكر فيما يجب أن نفعله لانقاذ توم ·· وقال جيم فى النهاية :

ـ لن أتزحزح عن هذا المكان ولو بوصة واحدة قبل أن يحضر الطبيب ليعالج رجل توم ·· حتى ولو بقيت سجينا فى هذا المكان لمدة أربعين سنة أخرى !

لقد كان جيم شهما ويملك قلبا من ذهب ·· وقد توقعت منه أن يتخذ هذا الموقف النبيل .. وأخبرت توم بأنى سأذهب الى القرية لاحضار الطبيب ·· فرفض توم ذلك رفضا قاطعا وحاول أن يقوم بنفسه بفك رباط الطوف ، ولكننا منعناه من ذلك ·· .

وعندما رآنى توم وقد قفزت الى القارب وأوشكت أن أنطلق به تجاه القرية استسلم للأمر وبدأ ينصحنى قائلا :

ـ طيب ·· عندما تصل الى القـرية لتحضر الطبيـب ·· فعليك أن تربط منديلا حول عينيه ·· وضع فى يده حقيبة مملوءة بالذهب ·· وتعـال به خلال طريق غير مباشر ·· واختر طريقا متعرجا بين الجزر ·· وعليك ان تقوم بتفنيش الطبيب جيدا ·· وخذ منه قطعة الطباشير اذا كانت معه أية قطعة ·· ولا ترد قطعة الطباشير اليه مرة أخرى الا بعد أن يعود الى القرية مرة أخرى ·· فمن المحتمل أن يسـتخدم الطباشير فى عمل علامة على الطوف ويفشى أسرارنا ·· فهذه هى الطريقة التى يستخدمها الجميع دائما ·· !

فوافقته على كل ذلك ·· وذهبت لاحضـار الطبيب ·· واختبأ جيم عندما رأى الطبيب قادما ··!

الفصل الثانى والعشرون

ماذا جرى لهذا الولد ..؟!

كان الطبيب العجوز ذا مظهر طيب .. وعندما ذهبت اليه فى منزله لاستنجد به .. ادعيت له أن أخى قد ركل بندقيته أثناء النوم بينما كان مستغرقا فى أحد الأحلام .. فانطلقت رصاصة وأصابته فى رجله .. وعلى الفور أعد الطبيب حقيبته ، وأشعل مصباحا ليضىء له الطريق .. وذهبنا معا الى شاطى النهر ..

ولكن ما أن رأى الطبيب قاربى الخفيف ، حتى تراجع وقال أنه قارب صغير جدا ·· وحاولنا البحث عن قارب آخر ، ولكن جميع القوارب كانت مربوطة بالسلاسل ·· فاضطر الطبيب الى أن يركب قاربى مشترطا ألا أركب معه ، لأن هذا القارب الصغير فى اعتقاده لايصلح لركوبنا معا ·· فوصفت له الطريق وكيفية الوصول الى الطوف الراسى على شاطىء الجزيرة ·· فانطلق الطبيب بعد أن طلب منى أن انتظره هنا على شاطىء النهر ··

واختبأت خلف كومة من الأخشاب ·· وسرعان ما استغرقت فى النوم ·· ولم أستيقظ الا بعد أن لفحت وجهى حرارة الشمس · وعلى الفور اتجهت رأسا الى بيت الطبيب لأطمئن منه على الحالة ، ولكنهم أخبرونى هناك بأن الطبيب لم يعد حتى الآن ·· فازداد قلقى على توم ·· وقررت أن أذهب فورا الى الجزيرة وبأى شكل ··

وفى الطريق رآنى العم سيلاس فصاح مناديا :

ـ توم .. أين كنت طوال هذا الوقت أيها الشقى .. ؟!

ـ لقد ذهبت مع أخى سيد لمطاردة العبد الهارب ليلة أمس !

ـ أين ذهبتما اذن ؟ . ان الخالة سالى فى غاية القلق .. !

ـ لا داعى للقلق فنحن بخير .. لقد انطلقنا مع الرجال والكلاب لمطاردة العبد الهارب ، ولكننا تهنا وضللنا الطريق .. واعتقدنا أن الرجال قد عبروا النهر لمواصلة المطاردة ، فذهبنا فى أثرهم ، ولكننا لم نجدهم على الشاطىء الآخر ، فنمنا هناك حتى الصباح ، وعدنا الى هنا منذ نحو ساعة لنعرف الأخبار .. وقد ذهب أخى سيد الى مكتب البريد ليسمع

الأخبار بنفسه ‥ اما أنا فاني أبحث عن طعام لى وله ‥ وسوف نعود الى البيت معا ‥ !

وذهب معى العم سـيلاس الى مكتب البريـد لاحضار « سيد » ‥ ولكننا لم نجده طبعا ‥ واستلم العم من مكتب البريد خطابا خاصا ‥ وانتظرنا حضور « سيد » مدة طويلة ‥ وبعدئذ قرر العم سيلاس أن نذهب الى البيت عسى أن يحضر سـيد فيما بعد ‥ وذلك حتى تطمئن الخالة سالى على أننا مازلنا بخير ‥

والحقيقة أن الخالة قد فرحت كثيرا عنـدما شاهدتنى قادما نحوها ‥ وقلت لها ان الضجة التى أحدثها المزارعون ليلة أمس قد أيقظتنـا أنـا وأخى « سيد » من النوم ‥ فهبطنا على عمود النـور لنرى ما يحدث ‥ وحكيت لها نفس القصـة التى اخترعتها وقصصتها من قبل على العم سيلاس ‥

وقالت الخالة الطيبة أنهـــا سامحتنا وغفت عنا .. ولكنها أبدت قلقهـــا لعدم عودة ســيد حتى الآن ..

ومر بعض الوقت وازداد قلق الخالة .. **وقالت بعد أن نفد صبرها :**

ـ ولكن بحق السماء .. لقد أوشكت الشـمس على المغيب ولم يعد سيد حتى الآن .. ماذا جرى لهذا الولد .. ؟!

قلت لأطمئنها :

ـ دعينى أذهب لاحضاره .. !

فقالت على الفور :

ـ لا .. لن تذهب أنت .. واذا لم يحضر سيد فى موعد العشاء .. فسيذهب العم سيلاس للبحث عنـــه !

وجاء موعد العشاء ولم يحضر توم ـ أو سيد كما يعتقدون ـ وخرج العم سيلاس للبحث عنه ·· وعاد فى الساعة العاشرة متعبا وقلقا ·· وقال انه بحث عنه فى كل مكان فلم يعثر له على أثر ·· وازداد بالتالى قلق الخالة سالى وعلت وجهها مسحة من الحزن

ولكن العم سيلاس أخذ يطمئنها قائلا بأن سيد سيعود حتما فى صباح اليوم التالى ··

واقتنعت الخالة بهذه الفكرة بصعوبة ·· ومع ذلك فقد أصرت على أن تقضى الليل كله ساهرة بجوار النافذة ·· وأن يبقى المصباح مضاء حتى ينير له الطريق عندما يحضر ··

وأخذت الخالة بيدى وصعدت بى الى غرفة نومى ، وأرقدتنى على السرير ، وقبلتنى، وأخذت تربت على كتفي بكل ما فى قلبها الطيب من حنان ورقة ·· لدرجة أنى قد شعرت بالخجل من نفسى ولم أستطع أن أرفع عينى للنظر فى وجهها ··

وقبل أن تبارح الخالة غرفتى ، قالت لى بحنان وبصوت طيب :

ـ لن نغلق أبواب البيت بعد الآن ياتوم ·· ولا داعى أن تهرب من النافذة هابطـا على عمود النور ·· أرجو ألا تفعل ذلك مرة أخرى ·· لأجل خاطرى··!

ويعلم الله أنى كنت أريد أن أفعـــل ذلك مرة أخرى لأطمئن على توم ·· وأنى لن أفعل ذلك مرة أخرى ولو عرضوا على ممالك الأرض ··

وبعد انصراف الخالة ، لم يغمض لى جفن وظللت حائرا بين حالة من اليقظة وحالة من النعاس المتقطع ·· وحائرا بين الأخذ بنصيحة الخـالة الطيبة وواجبى نحو توم ··

ولمرتين متواليتين أثناء الليل ·· تسللت عبر النافذة وهبطت على عمود النور ·· ولكنى كنت أرى الخالة مازالت سـاهرة على ضوء الشمعة بجوار النافذة

.. تطل بعينيهـا على الطريق .. وكانت عينـاها مغرورقتين بالدموع ..

وفى المرة الثالثة قرب الفجر .. كان ضـوء الشـمعة قد خبا .. وكانت الخالة لم تزل جالسـة جوار النافذة .. ولكنها أسندت وجهها بين يديها .. واستغرقت فى النوم .. !

الفصل الثالث والعشرون

اعادة توم وجيم الى البيت ..!

وفى الصباح المبكر وقبل موعد الأفطار .. ذهب العم للبحث عن توم أو لمعرفة أخباره ، ولكنه عاد خائبا ، وازداد بالتالى قلق الخالة ، وتضاعفت أحزانها فجلست تتنهد فى صمت ..

وبعد فترة قال العم سيلاس :

ـ ألم أعطك الخطاب الذى استلمته أمس من مكتب البريد .. ؟

فقالت الخالة وهى تتنهد فى حزن :

ـ لا ‥ لم تعطنى أى خطاب ‥

فقام العم سيلاس ، وذهب الى احدى الحجرات وأحضر الخطاب وقدمه لها ‥ وما أن نظرت الخالة الى هذا الخطاب حتى صاحت قائلة :

ـ أنه من أختى بوللى‥إنه من سان بطرسبورج!

وشرعت على الفور فى فتح الخطاب ولكنها توقفت فجأة ، فقد حدث شيء غريب ‥ رأينا توم سوير محمولا على نقالة ، ويمشى بجواره الطبيب العجوز ، ومن خلفه كان جيم مرتديا ملابس الخالة ، وكانت يداه مقيدتين خلف ظهره ، وحولهم مجموعة كبيرة من الناس ‥ !!!

فزعت الخالة وهبت واقفة ، وسقط الخطاب من يدها ، وارتمت على توم سوير واخذت تولول :

ـ لقد مات ‥ مات ‥ كنت أعرف من قبل أنه مات !!

وهنا حرك توم رأسه بضعف ‥ وتمتم ببعض

همهمات غير مفهؤمة ولكنها تدل على أنه فى غير وعيه .. فصاحت الخالة فرحة مهللة :

ـ انه حي .. انه حي الحمد لله .. يكفينى هذا !!

واندفعت الخالة داخل البيت لتعد السرير الذى سيرقد عليه توم .. وأخذت تلقى أوامرها وتعليماتها ذات اليمين وذات اليسار .. وتصدر التنبيهات الى الخدم ، والى كل شخص آخر بالبيت .. وانتهزت هذه الفرصة ، وأخفيت الخطاب .. !

وحمل توم الى داخل البيت ، وتبعه الطبيب العجوز والعم سيلاس .. أما أنا فذهبت لأرى ماذا سيكون مصير جيم ..

كان الرجال يلعنون جيم ويشتمونه بوقاحة .. ولم يقل جيم شيئا ولزم الصمت .. بل وتظاهر بأنه لا يعرفنى حين اقتربت منه .. وأدخله الرجال الى نفس الكوخ الذى كان مسجونا فيه من قبل .. وخلعوا عنه

ملابس الحالة التى كان متنكرا فيها ٠٠ وألبسوه ملابسه القديمة ٠

وفجأة ظهر الطبيب العجوز جوار باب الكوخ **وقال للرجال :**

ـ لا تعاملونه بمثل هذه القسوة أيها الرجال ٠٠ انه صديق طيب ومخلص ٠٠ !

وبدأ الطبيب يشرح الأمر للرجال قائلا :

ـ عندما وصلت الى مكان الولد المصاب ، وفحصت جرحه ٠٠ تبين لى أن الرصاصة قد استقرت فى رجله ٠٠ وكان لا بد أن أجرى له عملية جراحية فى أسرع وقت ممكن ٠٠ ولكنى لم استطع فعل أى شىء لأنى كنت فى حاجة الى شخص يعاوننى عند اجراء العملية ٠٠ وكان من المستحيل أن أترك الولد المصاب فى تلك الحالة السيئة لأذهب لطلب المعونة من أقرب مكان ٠٠ واحترت فعلا فى هذا الأمر ٠٠ وأخيرا قلت للولد المصاب يائسا : لابد أن أذهب للبحث عن معونة ٠٠

لا بد أن يكون معى شخص يعاوننى ! ٠٠ وفجأة ظهـر هذا الصديق الطيب الذى كان مختبئا بين الأعشاب ٠٠ وتبينت على الفور أنه عبد هارب ولكنه تقدم لمعاونتى على خير وجه ٠٠ وقد أدى عمله بمنتهى الاخلاص والتفانى ٠٠ وظل ساهرا طوال الليل ومستيقظا طوال النهـــار لمراقبة الولد المصاب ورعايته وتمريضه ٠٠ لقد كان له فضل كبير فى معاونتى لانقاذ حياة المصاب ٠٠ ولقـد كان فى استطاعته أن يفر ويواصل هربه ، ولكنه ضحى بحريته ليبقى معى ٠٠ وفى هذا الصباح كان هـــذا الصديق الطيب نائما حين اقترب منا قارب كبير فيـــه مجموعة من الرجال ٠٠ فخشيت أن أصبح مسئولا عن التستر على عبد هارب ، فأفهمت الرجال بذلك ، فهجموا عليه بغتة وكتفوا يديه خلف ظهره ٠٠ فاستسلم لهم بكل طيبة ولم تبدر منه أية بادرة أو مقاومة ٠٠ وأركبه الرجال فى قاربهم ٠٠ ثم قاموا بربـــط الطـــوف الى القارب ٠٠ وسحبونا ٠٠ وكنت أنا بجوار المصاب على سطح الطوف ٠٠ صدقونى ٠٠ ان هذا الرجل صديق

طيب ومخلص وله قلب من ذهب ·· صدقونى يا سادة
··ان أى رجل مثله يعتبر جوهرة ثمينة ·· !!

وقد شكرت للطبيب هذا الدور الطيب الذى أداه
خدمة لجيم ·· وقد سعدت فعلا لأن رأى الطبيب فى جيم
كان مطابقا تماما لرأيى ·· فمنذ أن شاهدت جيم لأول
مرة ·· عرفت أنه صديق طيب ومخلص ·· وأسعدنى
أكثر وأكثر ان الرجال الذين كانوا يلعنون جيم منـــذ
لحظة ، أصبحوا الآن يشكرونه ·· ويقولون انه قام بعمل
يستحق عليه مكافأة ··

وفى صباح اليوم التالى ، سمعت أن حالة توم قد
تحسنت قليلا ·· وكانت الخالة سالى قد لازمته وبذلت
كل عناية ورعاية طوال النهار وطوال الليل ·· وعندما
ذهبت الخالة لتستريح قليلا ، تسللت الى حجرة تـــوم
للتفاهم معه على اختراع قصة تبدو معقولة لتبرير كل
هذه الأحداث التى وقعت ·· ولكنى رأيت تـوم مازال
مستغرقا فى النوم ·· وكان وجهه يبدو شاحبا ولكنــه

استعاد حرارته الطبيعية .. وجلست صامتا بجـــوار سريره ، منتظرا لحظة إستيقاظه ..

وبعد حوالى نصف ساعة دخلت الخالة سالى الى الغرفة ، وأفهمتنى بهمس أنه الآن يتحســـن .. وأنها نعتقد انه سيستعيد وعيه تماما عنـدما يستيـــقظ .. وجلست بجانبى تنتظر ..

وأخيرا فتح توم عينيه .. وما أن رآنا حتى قال مندهشا :

ـ هاللو .. لمـــاذا أنا فى البيت مرة أخرى .. كيف كان ذلك .. وأين الطوف .. ؟!!

فقلت له باختصار :

ـ كل شيء على ما يرام !

فتساءل فى لهفة :

ـ وجيم .. ؟!

ـ على ما يرام !

ــ عظيم ·· عظيم جدا ·· لقد عدنا جميعا سالمين ·· ألم تخبر خالتي بما حدث ·· ؟!!

ر مكت أن أقول « نعم » ·· ولكن الخالة سرعان ما تدخلت في الموضوع ، **وقالت لتوم متسائلة :**

ــ ما هذا الذي حدث يا سيد ·· ؟!

فقال توم بث ت كعادته :

ــ هذه الأشيا؛ كا ·· !

ــ وما هي هذه الأشياء كلها يا سيد ·· ؟

فقال توم بثبات أكثر :

ــ الخطة التي دبرناها ــ أنا وتوم لاطلاق سراح جيم ·· !!

فقالت الخالة مذعورة :

ــ يا ربي ·· عن أي شيء يتحدث الولد ·· لقد فقد وعيه مرة أخرى وبدأ يخرف ·· !

وقال توم :

ـ لا يا خالتي ٠٠ لقد وضعنا خطة محـــكمة أنا وتوم ٠٠ خطة عظيمة لاطلاق سراح جيم ٠٠ ولقد نفذناها أيضا بطريقة عظيمة ٠٠ !

وبدأ توم في سرد القصة من أولها الى آخرها ٠٠ وأخذ يحكي ويحكي ٠٠ وقد جلست الخالـــة مبهورة وتكاد لا تصدق أذنيها وهي تستمع الى كل التفاصيل ٠٠ أما أنا فقد لزمت الصمت تماما ولم أنطق بكلمة ٠٠
وقال توم لخالته :

ـ لقد كان عملا شاقا يا خالتي ٠٠ لقد استغرق جهدنا لأسابيع طويلة ٠٠ وكنا نعمل لساعات وساعات كل ليلة بعد أن تستغرقوا في النوم ٠٠ وكان علينـا أن نسرق الشمعات الست ٠٠ والملاءة ٠٠ والقميص ٠٠ ورداء من ملابسك ٠٠ والملاعـــق ٠٠ والأطبـــاق ٠٠ والسكاكين ٠٠ ومدفأة السرير النحاسية ٠٠ والرحى الصخرية ٠٠ وعبوات الدقيق ٠٠ وأشياء أخرى كثيرة ٠٠ لا يمكن أن تتصوري يا خالتي مـــدى المتعة التي

وجدناها فى هذا العمل .. لقد كان علينا أيضـــا أن نرسم صورا للجمجمة والعظمتين المتقاطعتين .. وصورة لتابوت الميت .. ونكتب الرسائل المجهولة التى كانت ترسلها عصابة قاطعى الرقاب .. وكان علينا أن نتسلق عمود النور عند النزول من غرفتنا وعند الصعود اليها .. وقمنا بحفر نفق بين العشة والكوخ .. وصنعنا حبلا مجدولا على شكل سلم وهربناه الى جيم بداخل كعكة .. كما كنا نهرب بعض الملاعق والأشياء الصغيرة الى جيم عن طريقك .. كنا نضـــــع هـــــذه الأشياء فى جيب مريلتك .. !

فصاحت الخالة وهى لا تصدق نفسها :

ــ فى جيب مريلتى أنا .. ؟!!

وواصل توم حكايته :

ــ لقد ملأنا الكوخ بالفئران والثعـــابين لتؤنس جيم فى وحدته بداخل سجنه .. ولـــكنك يا خالتى

احتجزت توم لفترة طويلة في تلــك الليلة بعــد أن اكتشفت الخبز والزبد الذى كان يخفيه بداخل قبعته ٠٠ وبسبب ذلك أوشكت الخطة على الانهيار تماما بعد كل هذا العناء والتعب ٠٠ فقد وصــل المزارعـــون ومعهم بنادقهم الى الكـــوخ قـبل أن نتمـــكن من الفرار ٠٠ فاضطررنا الى عمل كل شىء بسرعة واستعجـــال ٠٠ وانطلقنا كلمح البرى ٠٠ وانطلق المزارعـون خلفنـــا وأطلقوا علينا النار ٠٠ فاخذت نصيبى ٠٠ ومع ذلــك ظللنا نراوغهم حتى تجاوزونا وأفلتنا منهم ٠٠ وحــين أطلقوا علينا الكلاب ٠٠ كانت الكلاب كـــلابنا ، فلم تمسك بنا ٠٠ وعندئذ قفزنا الى القارب وجدفنا نحـــو شاطىء الجزيرة حيث أخفينا الطوف ٠٠ وانتهت العملية بسلام وأصبح جيم رجلا حرا ٠٠ لقد وضعنا هذه الخطة ونفذناها بأنفسنا ٠٠ لقد كانت مغامرة عظيمة ٠٠ بل هى العظمة نفسها يا خالتى ٠٠ !!

وقالت الخالة وهى تتنهد فى عمق :

ـ هل فعلتم كل هذا أيها العفاريت الصغار ؟

انى لم أسمع شيئا مثل هذا طول حياتى منذ أن ولدت حتى الآن ٠٠ هل أنتم الذين أوقعوا فى قلوبنـا الرعب والفزع حتى أوشكنا أن نموت ٠٠ سـوف أعرف كيف أعاقبكم على ذلك بعد شفائك يا سيد ٠٠ سوف أسلخ جلودكم وأنتم أحياء ! ٠٠ والآن ٠٠ عليك أن تنسى كل متعاتك فى هذه المغامرة ٠٠ واياك أن تتدخل فى شئونه مرة أخرى ٠٠

فقال توم على الفور وهو يشعر بكثير من الدهشة :

ـ شئون من ٠٠ ؟!

وقالت الخالة :

ـ شئون من ؟ ٠٠ شئون هذا العبد الهارب !

فنظر الى توم بحزن **وقال :**

ـ توم ٠٠ ألم تخبرنى بأنه على ما يرام ٠٠ ألم يطلق سراحه بعد ٠٠ ؟!

ولكن الخالة سارعت بالقول :

ـ هذا العبد الهارب .. لقد قبضوا عليه سليمـا وفى صحة جيدة ، وحبسوه بنفس الكـــوخ الذى كان سجينا فيه من قبل .. ولن نقدم اليه سوى الخبــز والماء .. !

فهب توم من سريره وقد برقت عيناه غضبا **وأخذ يصيح قائلا :**

ـ لا حق لكم فى معاملته بهذه الطريقة .. اذهبوا فورا وأطلقوا سراحه ولا تضيعوا دقيقـــة واحـدة .. أطلقوا سراحه لأنه انسان حر .. حر مثل أى مخلوق يسير على الأرض !

وتساءلت الخالة فى دهشة :

ـ ماذا تقصد بهذا الكلام .. ؟

ـ أقصد كل كلمة قلتها يا خـــالتى .. واذا لم تذهبوا الآن فورا لاطلاق سراحه فسأذهب أنا لأفعل هذا بنفسى .. لقد عرفت جيم طوال حياتى .. وكان يعمل

لدى العجوز مسز وطسون التى شعرت بتأنيب الضمير بعد أن رحل ·· وكانت تؤنب نفسها لأنها فكرت فى بيعه ·· وقد ماتت مسز وطسون منذ شهرين ·· ولكنها أعتقته قبل موتها ·· وهو الآن حر مثلنا ·· !

وقالت الخالة :

ـ ولكن بحق الشيطان ·· هل دبرت كل هــذه الخطط وقمت بكل هذه الأعمال لاطلاق سراح رجــل حر ·· ؟!

ـ نعم يا خالتى ·· هذا هو السؤال ·· لقد كنت أريد « المغامرة » ·· كنت أريد ·· كنت أريد ·· رباه ·· من أرى ·· خالتى بوللى ·· ؟!!

وفى نفس اللحظة كانت الخالة بوللى واقفة بالغرفة ·· وقد فوجئت الخالة سالى بوجودهـــا فهبت واقفــة واحتضنتها وأخذت تبكى من شدة الفرحة بلقاء أختها على هذا النحو المفاجىء ·· وفى لمح البصر ، أخفيت نفسى واختبأت تحت السرير ·· !



وقال توم : أطلقوا سراحه فورا ... !

لقد أصبح الأمر محرجـــا بالنسبة لى وبالنسبة لتوم ·· بل وبالنسبة لنا جميعا ·· لقد تعقدت الأمور تماما وكل شيء سينكشف··ووقفت الخالة بوللى بجوار سرير توم **وقالت :**

ـ طبعا ·· تريد أن تدير وجهك على يا توم ·· !!

فقالت الخالة سالى بسرعة :

ـ يا خبر ! ·· هل تغير الولد الى هذا الحد ·· هذا ليس توم يا أختى ·· هذا سيد ·· أما توم ·· توم ·· ولد يا توم ·· أين ذهب ·· لقد كان هنا منذ دقيقة ·· ؟!!

فقالت الخالة بوللى :

ـ تقصدين هكلبرى فين ·· أخرج ياهك من تحت السرير ·· !!

وخرجت ·· وشـــعرت أن الأرض تميـد تحت قدمى ·· !!

وأخذت الخالة بوللى تحكى لهم من أنا ·· وكانت

اختها الخالة سالى تستمع فى لهفة وهى تكاد لا تصدق أذنيها ·· أما العم سيلاس فقد أخرسته الدهشة حين جاء وحكوا له الحكاية ·· وكان على أن أحكى لهم السبب فى مجيئى الى بيت مستر فلبس ومسز فلبس ·· وهنا قاطعتنى الخالة قائلة :

ـ لا تقل مسز فلبس ·· بل قل الخالة سالى كما كنت تدعونى من قبل ·· لقد اعتدت على ذلك ولا داعى للتغيير ··

وشرحت لهم أيضا الأسباب التى جعلتنا ندعى أن توم هو سيد ·· وأن انتحل أنا اسم توم ··

وقالت الخالة بوللى أن جميع ما ذكره توم عن مسز. وطسون صحيح ·· وأنها أعتقت جيم قبل أن تموت ·· وأن جميع المغامرات والأعمال الغريبة التى قام بها توم كانت لاطلاق سراح رجل مطلق السراح ·· !

وقالت الخالة بوللى أيضا انها عندما استلمت خطاب اختها سالى الذى تخبرها فيه بوصول توم ومعه سيد ·· أصيبت بالدهشة ·· واضطرت الى السفر لأكثر

من ألف ميل حتى تحضر بنفسها لترى أى حيل أو خدع يرتكبها توم ضد خالته .. خصـــوصا بعد أن قامت بارسال رسالتين لم تتلق عنهما ردا .. **وهنـا قالت الخالة سالى :**

– انى لم أستلم منك أية رسالة ..

فقالت الخالة بولى :

– لقد ارسلت اليك رســـالتين متعـاقبتين .. لأسالك فيهما ماذا تقصدين بوجود سيد عندك ..

وقالت الخالة سالى مرة اخرى :

– لا .. لم تصلنى منهما رسالة واحدة ..

وهنا التفتت الخالة بولى الى توم **وصاحت فيه :**

– أين هاتين الرسالتين يا توم .. ؟

فقال توم متظاهرا بالدهشة :

– أية رسالتين .. ؟!

– أين الرسالتين .. والا ..

ـ طيب طيب ·· لقد حفظتهما في الصندوق دون ان أفتح أية واحدة منهما ·· لأني كنت أعرف أن هـذه الرسائل ستجلب المتاعب ·· وستوقف المغامرات ··

ـ انك تستحق العقاب على ذلك ·· وعلى أية حال فقد أرسلت رسالة ثالثة لعله ··

فقاطعتها الخالة سالى قائلة :

ـ نعم لقد وصلت هذه الرسالة بالأمس ·· ولكنى لم أقرأها بعد ··

وبمجرد أن اختليت بتوم وأصبحنا وحدنا ، سألته عما كان يدخره من خطط اذا كانت عملية الهروب قد نجحت وابحرنا بالطوف في مجرى النهر ·· وقال توم انه كان قد وضع خطة للتوجه بالطوف حتى مصب النهر ·· على أن نقوم خلال الطريق بعدة مغامرات ·· وعندئذ كان سيخبر جيم بأنه قد أصبح حرا منذ أن أعتقته مسز وطسون قبل موتها ·· ثم نقوم بالعودة الى بلدنا على باخرة نهرية ·· وعندما نصل الى هناك سنقيم

حفلة يدور فيها رقص الزنوج وتعـــزف فيها الموسيقى النحاسية ·· ونزف جيم بالمشاعل فى البلدة كلها ·· وسيصبح جيم بطلا ·· وسنصبح نحن أبطالا أيضا ··

وذهبنا جميعا الى الكوخ وأخرجنـــا جيم وأفهمناه بأنه قد أصبح الآن حرا ·· وقد شكره الجمـــيع ·· الخالة بوللى ·· والخالة سالى ·· والعم سيلاس ·· على ما قام به من معاونة الطبيب ورعاية توم أثناء اصابته ·· وقدموا اليه طعاما طيبا ، وطلبـــوا منه أن يتصرف براحته ··

وعندما ذهب جيم ليطمئن على توم ·· أعطاه توم أربعين دولارا كأجـر له على تحمله السـجن بالطريقـة وبالخطة التى كانت موضوعة ·· وشعر جيم بغايـــة السرور وقمة السعادة ·· !

وأخذ توم يتحدث ويتحدث ·· **ثم قال فجأة :**

فلنخرج معا فى احدى الليالى ·· ونصطحب معنا كل ما نحتاجه ·· لنقضى أسابيـــع كاملـة فى المغامرات مع ذوى البشرة الحمراء !

فقلت على الفور :

ـ أنت تعرف يا توم أن ذلك يروقنى تماما ٠٠ ولكنى لا أملك نقودا كافية لدفـــع التكاليف ٠٠ فمن المحتمل أن يكون أبى قد اســـتولى على كل أموالى من القاضى تانشر ٠٠

فقال توم على الفور :

ـ انه لم يفعل ذلك ولم يحصل على دولار واحــد ٠٠ ما زالت هناك ستة الاف من الدولارات وربما أزيد من ذلك ٠٠ ان أباك لم يظهر فى البلدة بعد رحيلك ٠٠

وهنا قال جيم :

ـ بل ولن يظهر بعد ذلك أبدا فى أى مكان آخر ٠

فسألته :

ـ ماذا تقصد بذلك يا جيم ٠٠ ؟

فأجاب :

ـ هل تذكر البيت الخشبى الذى كان طافيا فوق

سطح النهر فى تلك الليلة ·· هل تذكر الشخص الميت الذى وجدناه مقتولا هناك فغطيت وجهه بقطعة من القماش ·· ان هذا الشخص كان أباك ·· ويمكنك الآن أن تحصل على نقودك كاملة !

وبعد فترة استعاد توم كامل قواه وأصبح فى صحة جيدة ·· وكان يعلق الرصاصة التى أصابته فى سلسلة ساعة يلفها حول رقبته ·· وكثيرا ما يقوم بالنظر فى تلك الرصاصة ليعرف الوقت !

والآن ··

لم يعد هناك شىء لأكتبه وأضيفه ·· ولو كنت اعلم مدى العناء الذى يعانيه الانسان لكى يكتب كتابا مثل هذا لما أقدمت على الكتابة منذ البداية ··

ويبدو أننى سأقوم بمغامرة عظيمة مع ذوى البشرة الحمراء ·· وكان من الأفضل أن أذكرها فى هذا الكتاب أيضا ·· ولكن الخالة سالى تبنتنى ·· وتولت رعايتى وتربيتى ·· فهل سيتحقق ذلك ·· ؟!

فهرس

صفحة

رقم الإيداع : ١٣٨٩٨/ ٢٠٠٣

I.S.B.N. 977-01-8734-8



وبعد أكثر من عشرة أعوام من عمر مكتبة الأسرة نستطيع أن نؤكد أن جيلاً كاملاً من شباب مصر نشأ على إصدارات هذه المكتبة التى قدمت خلال الأعوام الماضية ذخائر الإبداع والمعرفة المصرية والعربية والإنسانية النادرة وتقدم فى عامها الحادى عشر المزيد من الموسوعات الهامة إلى جانب روافد الإبداع والفكر زادا معرفيا للأسرة المصرية وعلامة فارقة فى مسيرتها الحضارية.

سوزان مبارك



السعر
١٠٠ قرش